

الرسائل الجامعية

اتابكية دمشق ودورها في الجهاد ضد فرنجة الشرق

رسالة تقدم بها

حسن فرحان

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد

كجزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ

2002

شكر وتقدير

لا يسعني الا ان اقدم شكري وتقديري لأساتذتي وفي مقدمتهم الأستاذ الفاضل المشرف الجليل الدكتور بهجت كامل عبد اللطيف التكريتي الذي واكب مسيرة بحثي بحرص الأب المشفق على ولده والأستاذ الحريص على تلميذه وشكري للدكتور مرتضى النقيب والدكتور نافع توفيق العبود والدكتور حمدان الكبيسي والدكتورة صباح الشيخلي الذين شددت بهم ازري للخوض في بحر التاريخ الإسلامي المتلاطم الأمواج ، كما اقدم شكري وتقديري إلى كل من اسهم في مراجعة البحث بغية تقويمه ولكل من مد لي يد العون وليبارك الله دعواي لهم بالخير ومن الله العون والتوفيق .

الباحث

الإهداء

اهدي هذا البحث المتواضع إلى السيد الرئيس

القائد المناضل صدام حسين ((حفظه الله ورعاه))

قائد الحملة الوطنية الإيمانية والتي بفضلها

استطاع المسلمون في العراق معرفة دينهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين الذي لا نبي من بعده ، إمام الموحدين المبعوث إلى الخلق أجمعين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العدناني العربي صلى الله عليه وسلم وعلى اهل بيته وصحابته الاطهار الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

يدور موضوع الرسالة حول ظاهرة تاريخية من ظواهر التاريخ الإسلامي بشكل عام وتاريخ الشام بشكل خاص وتتمثل بزعامة أسرة طغتكين (497-549هـ/1104-1154م) التي كان لها الدور الواضح في جهاد فرنجة الشرق الذين مكنتهم الظروف من تأسيس كياناتهم الأربعة وهي إمارة الرها [1] (491-546هـ/1097-1151م) وامارة إنطاكية [2] (492-667هـ/1098-1168م) وامارة طرابلس [3](449-686هـ/1102-1288م) ومملكة بيت المقدس (492-690هـ/1198-1291م) وهي من اكبر اماراتهم التي أقاموها

---

[1] الرها :مدينة تقع في الجزيرة فوق حران.شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م):معجم البلدان ، دار صادر، (بيروت 1376هـ/1969م) ، ج3، ص106 .

[2] انطاكية : مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة . ياقوت : معجم البلدان ،ج1، ص266 .

[3] طرابلس:مدينة على الساحل الشامي تقع بين اللاذقية وعكا. ياقوت:معجم البلدان ج1، ص 26 .

بين ظهراني المسلمين كحاجز بشري غريب يختلف عنهم في الدين واللغة والعادات والتقاليد يفصل بينهم ، ولا يمت بأي صله إليهم يرمي إلى تمزيق أوصالهم [1] ، كما هو(الهدف من وراء تأسيس اليهودية العالمية للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة) بمساعدة المستعمرين البريطانيين والفرنسيين أحفاد أولئك الفرنجة الغزاة المعتدين الذي شيدوا هذه الكيانات الأربعة [2] .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في انه تناول حقبة مهمة من حقب تاريخنا العربي الإسلامي التي مرت بها امتنا والتحديات التي واجهتها متمثلة بالفرنجة كقوة غازية محتلة للأرض العربية الإسلامية سعت لقتال العرب والمسلمين تحت شعار الصليب مدفوعة بعاطفة دينية هوجاء يحركها التعصب الأعمى ضد الإسلام والمسلمين[3]، مستفيدة من وقوف الباطنية ذات الأفكار الغالية المناهضة للإسلام

---

[1] احمد بن يوسف بن الأزرق الفارقي (ت 590هـ /1193م) : تاريخ ميافارقين المسمى تاريخ الفارقي ، تحقيق عبد اللطيف عوض ، بيروت دار الكتاب اللبناني 1974،ص 268؛ السيد الباز العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1963 ، ج1، ص454 ؛ هارولد لامب : شعلة الإسلام ، ترجمة محمود عبد الله يعقوب ، مطبعة الإرشاد (بغداد ، 1976) ، ص3 .

)Macdonald and Jans : the ancyclopedia of military history. (u . s . A . revised editoon . 1976)(. p 315 .

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور(الدكتور):الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط2 ، مطبعة الانجلو- المصرية (القاهرة ، 1982) ، ج1، ص6 .

[3] مؤلف مجهول (ق5 هـ/11م) : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1958م ،ص 98 ؛ محمد أديب ال تقي

والساعية إلى بث التفرقة والانقسام في صفوف المسلمين إلى جانبها في تصفية زعماء المسلمين المجاهدين الذين كان لهم الدور المشرف في محاربة الفرنجة أمثال الأمير مودود بن التونتكين (507هـ /1113م) الذي اقض مضاجع الفرنجة في جهاده [1] وبيان موقف اتابكية دمشق من هذه التحديات.

وموضوع بهذه الأهمية جدير بالدراسة وتسليط الضوء عليه لإظهار حقيقته التاريخية، ويمت فكري صوب أمهات كتب التاريخ لاستحصال صورة عن اتابكية دمشق بعبارة حديثة محتفظة بنكهة الماضي الخالد اضعها بين يدي باغيها ممن لا يتاح له الاطلاع على المصادر او لا يرتاح الا للتعبير المعاصر ، ولم اكتف بالجمع الكمي من الأخبار والروايات من الكتب بل قمت بالنقد والتحليل لها وصولا إلى الحقيقة بقدر ما استطعت وقد اقتضت خطة البحث الموسوم (اتابكية دمشق ودورها في الجهاد ضد فرنجة الشرق) ان تكون على النحو الأتي :

الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق ، ط2 ، تقديم الدكتور كمال الدين الصليبي ، دار الأفاق الجديدة ، (بيروت 1399هـ/1979م، ج1، ص94 ؛ محمد كرد علي : خطط الشام مطابع دار القلم (بيروت ، 1390هـ/ 1970م) ،ج1 ، ص248 .

[1] ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597 هـ/1200م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1415هـ/1995م) ، ج10، ص ص112-113 ، محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسة نقدية تاريخية ، تقديم الدكتور سعيد عبد الله البيشاوي ، عمان دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1419هـ/ 1999م ، ص 164-165 ؛ قاسم عبدة قاسم (الدكتور) : ماهية الحروب الصليبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (الكويت ، 1410هـ/ 1990 م) ، ص 125 .

- المقدمة يتلوها مبحث في وصف ونقد مصادر ومراجع البحث ومدى مساهمتها في إنجازه ثم الدخول إلى الموضوع من خلال بابين :

- الباب الأول :تناول موضوع الاتابكية من خلال أربع فصول :

الفصل الاول تناول المعنى اللغوي والاصطلاحي للاتابكية واوضاع الشام السياسية قبل نشوء الاتابكية وموقف المصادر العربية من اتابكة دمشق وعلاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية والفصل الثاني تناول الأوضاع الداخلية للاتابكية وحركات التمرد التي ثارت ضد نظام الحكم في دمشق وخاصة حركات الباطنية ودورها في زعزعة الاستقرار الداخلي وكيفية تعامل الاتابكية معها .

والفصل الثالث تطرق إلى البناء الداخلي والأنظمة الإدارية كديوان الإنشاء والاستيفاء والمؤسسات المهمة كالجيش والإقطاع والتركيبات الدينية والقومية للمجتمع والنشاط الاقتصادي في الاتابكية والفصل الرابع يتحدث عن الحركة الفكرية وسماتها ومظاهرها وعوامل تطورها وموقف الاتابكة من التيارات الفكرية في دمشق .

أما الباب الثاني فقد خصص لحركة الجهاد ضد الفرنجة ويحتوي على أربعة فصول ، الفصل الأول تناول حركة الجهاد في عهد الأتابك طغتكين (497-522هـ/1104-1128م) وسلط الضوء على سياسة التحالفات بين دمشق والقوى الإسلامية الأخرى كالفاطميين والسلاجقة والاراتقة ودورها في خدمة حركة الجهاد وتطرق الفصل إلى النشاطات العدوانية التي قامت بها مملكة بيت المقدس ضد دمشق .

اما الفصل الثاني فالحديث فيه عن علاقة حكام دمشق بالأتابك عماد الدين زنكي (521 -541هـ/1127-1146م) وتأثيرها السلبي على حركة الجهاد

ودورها في دفع حكام دمشق للارتماء في أحضان الفرنجة والتحالف معهم ضد المسلمين،والفصل الثالث بحث في العلاقات بين الملك العادل نور الدين محمود زنكي(ت569هـ/1173م) ملك حلب والأمير معين الدين أنر (ت544هـ/1149م) المتحكم بأمور دمشق ونائب الملك فيها بين عامي (541-544هـ/1146-1149م)،والنتائج التي أحدثتها هذه العلاقات على حركة الجهاد.

والفصل الرابع بحث في العلاقات بين حلب ودمشق بعد موت الأمير الذين انر سنة 541هـ/1149م، وتحكم مجير الدين ابق (ت564هـ/1169م) في شؤون دمشق (544-549هـ/1149-1154م) وموقفه السلبي من أحداث الشام وسياسته العدائية ضد الملك العادل نور الدين محمود وتحالفه مع الفرنجة ضده والنتائج المرتبة على هدا الموقف وترحيب الدمشقيين بالملك العادل نور الدين محمود سنة 549هـ/1154م ملكاً عليهم ، مع توضيح العوامل والنتائج المتعلقة بهذا التحول ، والخاتمة واخيرا سرد قائمة مصادر ومراجع البحث والفهرست .

وقد نجحت في تجاوز بعض الصعوبات التي واجهتها منها كيفية التعامل مع المادة المتعلقة بموضوعات أبواب وفصول الرسالة التي جمعت من المصادر والمراجع المختلفة صياغتها بما يتلاءم مع روح العصر مع الحفاظ على الحقيقة التاريخية بعيدا عن السرد التاريخي التقليدي ، والاختلاف والاضطراب في بعض نصوص المصادر الأولية واستعمال الموازنة في حل هذا الاختلاف والاضطراب وعرضها على المنهج التاريخي الصحيح من اجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية والله من وراء القصد .

وفي بحثي هذا لا ادعي بلوغ الكمال فالكمال لله وحده بل أرى في جهدي إسهامه متواضعة لم ادخر وسعا في سبيل سبر اغوار المصادر والمراجع بقدر المستطاع لأجلاء صفحة ناصعة من تاريخ امتنا المشرق في جهادها ضد أعدائها، ان أصبت الحقيقة فهو فضل من الله وان أخطأت فأنا أتحمل وزري وحدي والآخرون منه براء واوجه شكري وامتناني لمن وجد في هذا البحث هفوة فقومها وسيجدني إن شاء الله آهلا للأخذ بها خدمة للعلم .

تحليل المصادر :

كما هو الحال في الدراسات الإنسانية ، بل والعلمية تعتمد البحوث التاريخية على أمهات الكتب القديمة مستعينة بالمؤلفات الحديثة سواء في ذلك ما له مساس بالموضوع او ما كان سانداً له ، ولكي تكون حصيلة هذه الرسالة مادة تاريخية علمية فقد عمدنا إلى وصف ونقد المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة الرسالة ومنها :-

كتاب تاريخ الحملة إلى القدس للقس فوشيه دي شارتر الشارتري (ت 522هـ/ 1128م) ، تناول هذا الكتاب أحداثا مفصلة عن تاريخ الحروب الصليبية في سنواتها الأولى ، وتكلم عن فكرة الحروب الصليبية التي نشأت في أوربا الغربية بالتفصيل ، ثم دون أخبار الحملة الصليبية الأولى (488-92هـ/1095-1099م) وطريق مسيرتها من اوربا إلى بلاد الشام ، والتي تمكنت قواتها من احتلال بعض أجزاء الشام كإنطاكية سنة 491 هـ/1097 م، وبيت المقدس سنة 492 هـ /1098م ، وذكر أخبار استقرار الفرنجة في بلاد الشام ، وتحدث عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرنجة ، والكتاب يعتبر من الوثائق المهمة عن الحروب الصليبية ، والتي دون فيها المؤلف مشاهداته، ومما يؤخذ على هذا الكتاب انه يمثل وجهة النظر الفرنجية حول الحرب الصليبية كون المؤلف قساً رافق تلك الحروب متأثرا بنزعة التعصب للفرنجة والكراهية للمسلمين التي سيطرت عليه . وقد تطرق هذا المصدر إلى معلومات مهمة ذات الصلة باتابكية دمشق وعلاقتها بمملكة بيت المقدس وخاصة الحروب والمعارك

التي وقعت بينها وقد غطت هذه المعلومات فقرات العلاقة بين دمشق وبيت المقدس في الرسالة[1].

وكتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ت 555هـ / 1160 م) ، واعتمد ابن القلانسي في نقل تاريخه على مصادر متعددة منها المشاهدة فقد دون بعض الأحداث السياسية والعسكرية التي عايشها وشاهدها في دمشق باعتباره من رجالها الرسميين والوثائق التي اطلع عليها عندما تولى رئاسة ديوان دمشق ، والرواة في نقل الأحداث التي وقعت خارج دمشق في بلاد الشام وغيرها ولكنه لم يصرح بذلك ، وكتاب ذيل تاريخ دمشق من المصادر المعتمدة والموثقة في تاريخ دمشق وبلاد الشام في الحقبة الواقعة بين مقتل الملك تاج الدولة تتش(ت 488هـ/1095م) ووفاة ابن القلانسي (555هـ/1160م) .

ومع أهمية ذيل تاريخ دمشق باعتبار مؤلفه شاهد عيان لأحداث الشام في عصر الأتابكية ، فانه لا يخلو من تحيز واضح للأسرة الطغتكينية الحاكمة في دمشق مما يدل على ذلك كثرة الإشادة بمحاسنها والتغاضي عن مساؤها ، وأهمية هذا المصدر انه تناول الأحداث السياسية في بلاد الشام والأوضاع السياسية والجوانب الحضارية في دمشق في عصر الاتابكية واستفدنا من هذه المعلومات في تغطية فصول الرسالة [2].

---

[1] **فوشيه دي شارتر الشارتري (ت522هـ/1128م) : تاريخ الحملة إلى لقدس ترجمة الدكتور زياد العسلي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، (عمان ، 1990) ص 8-9.**

[2] **ابو يعلي حمزة بن اسد القلانسي (555هـ/1160م) : ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، (بيروت ، 1908) مقدمة الناشر ، ص10-11.**

وكتاب الاعتبار للأمير الشاعر اسامة بن منقذ (ت584هـ/1187م) وهو من أمراء الأسرة المالكة في شيزر[1] ، يعد كتاب الاعتبار من الوثائق المهمة للحروب الصليبية وأسلوبه في نقل الأحداث اقرب إلى أسلوب المذكرات منه إلى أسلوب المؤرخين ، فأعتمد فيه على أسلوب المشاهدة مدوناُ كل ما شاهده ،ورغم قيمة هذا المصدر باعتبار مؤلفه شاهد عيان لأحداث الشام في حقبة الحروب الصليبية ، فأن اهتمامه تركز حول الجوانب الحضارية من زراعة وصناعة وتجارة ولم يتطرق إلى الجوانب السياسية والحربية الا بشكل ضئيل ، ورغم ان الأمير أسامة بن منقذ قد عاش في دمشق حوالي سبع سنوات (533-539هـ/1138-1145م) وكان صديقاً للامير معين نائب ملك دمشق ولكنه لم ينقل عن الأوضاع السياسية والحضارية في دمشق الا معلومات قليلة غطت بعض مواضيع الرسالة ذات العلاقة بالجانب السياسي والحضاري[2].

وكتاب المنتظم لأبن الجوزي (ت597هـ/1200م) فأن مؤلف هذا الكتاب عراقي تكلم عن أحداث العراق بشكل مفصل وكان يستخدم الإسناد في نقل اغلب معلومات كتابه ، هذا ولم يتطرق إلى أخبار المناطق الأخرى ، ورغم ان المؤلف كان معاصراً لأحداث الشام في عصر الأتابكية فأنه لم يتطرق إلى أحداثها الا بما يتعلق بأحداث العراق ، وخاصة العلاقة بين السلاطين السلاجقة واتابكة دمشق ،

---

[1] شيزر : مدينة تقع قرب معرة النعمان بينها وبين حماة يوم واحد . ياقوت : معجم البلدان ج3، ص 382 .

[2] ابو المظفر مؤيد الدبن أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني الشيزري (ت584هـ/1187م) الاعتبار ، تحرير فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون (برنستون ، 1930م) ، مقدمة المحرر ق .

ومع ان هذه المعلومات التي ذكرها عن بلاد الشام في هذه الحقبة قليلة بالمقارنة مع ما ورد في بقية المصادر ، فأننا استفدنا منها في تغطيـــة بعــض مواضـــيع الرسالة ذات الصلة بعلاقة اتابكية دمشق بالسلاجقة [1].

وكتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير (ت 630هـ/1232م) فهو من كتب التواريخ العامة ذات القيمة الممتازة ونقل فيه معلومات غزيرة عن تاريخ الشام في الحقبة التي نتحدث عنها ، ومن هذه الأحداث الصراعات التي قامــت بـــين المسلمين والفرنجة وعــــــــلاقات دمشق بـــالقوى المختلفـــة بـــبلاد الشـــام كالفرنجة والسلاجقة وغيرهـــــم ، وساهمت هذه المعلومات في تغطية أغلبيـــة فصول الرسالة [2].

وكتاب التاريخ الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل لأبن الأثيـــر أيضا وتحدث فيه المؤلف عن الدولة الأتابكية في الموصل فهو تاريخ مفصل لها ، وقد نقل ابن الأثير بعض معلومات هذا الكتاب عن والده ، الذي كـــان يعمـــل موظفاً في الإدارة الزنكية . والبعض الأخر نقلها من الوثائق التي اطلع عليهـــا عندما كان يعمل كاتباً للسر لأمير الموصل ، وفي هذا المصدر تغلب علـــى ابـــن الأثير نزعة التحيز والتعصب للأسرة الزنكية الحاكمة في الموصل بالمقارنة مع ما ورد في كتاب الكامل ، ولم يتطرق هذا المصدر إلى أحداث الشام الا بما لـــه

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ج1 ، مقدمة المحقق ب ج .

(2) ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بـــأبن الأثير (ت630هـ/1232م) : الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الـــدقاق ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1405هـ/1985م) مقدمة المحقق ، ج1، ص 12.

علاقة بالأسرة الزنكية بالموصل ، وعالجت هذه المعلومـــات بعــض مواضـــيع الرسالة المتعلقة بعلاقة حكام دمشق بالأسرة الزنكية [1].

وكتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ت 654هــــ/1254م)[2] ، هــو كتاب يجمع بين الحوليات والتراجم ، فيذكر فيه الاعلام الذين توفوا في السـنة نفسها التي وقعت فيها الأحداث السياسية ، وأهميـــة هـــذا المصـــدر انـــه اورد معلومات واسعة عن أحداث الشام السياسية والحضارية التي وقعت في عصـر الأتابكية ومنها الحروب التي وقعت بين دمشق وبيت المقدس وبين حكام دمشق والأتابك عماد الدين زنكي ، وقد اعتمد في نقل هــذه المعلومـــات علـــى ابــن القلانسي وابن الأثير التي غطت أغلبية فصول الرسالة .

وكتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت660هـ/1260م) هــذا الكتاب من تواريخ المدن واحتوى على معلومات واسعة عن تاريخ مدينة حلب لم توجد في غيرها من المصادر وذلك لان المؤرخ كان من أهل المدينة واطلع على مصادر ووثائق لم يطلع عليها احد غيره ، والميزة التي يتميز بها ابن العديم انه اعتمد في نقل أخبار كتابه على الآثار القديمة والسجلات والنقود والوثائق وبهذا قد سبق ابن العديم مؤرخي الغرب بعدة قرون في هذا المجال .

---

[1] ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات دار الكتب العلمية الحديثة ، (القاهرة ، 1383هـ- 1973م) ، مقدمة المحقــق ، ص15-16.

[2] شمس الدين ابي المظفر يوســف بــن قــزا وغلـــي الشـــهير بســبط بـــن الجـــوزي (ت654هـ/1254م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، الهند ، حيدر ابـــاد ، مطبعـــة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (الدكن ، 1370هـ / 1951م) ، ج8 ق 1ص 1 .

ومع ان هذا المصدر تحدث عن مدينة حلب فانه ضم في ثناياه الأخبار المتعلقة بدمشق وعلاقتها بحلب ، ولاسيما علاقة دمشق في عصر الاتابكية بالأسر الحاكمة في حلب كاسرة تاج الدولة تتش والاراتقة والزنكيين وقد استفدنا منه بتغطية بعض فصول الرسالة [1] .

وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة المقدسي (ت665هـ/1265م) والذي تحدث فيه بشكل مفصل عن سيرة الملك العادل نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،واعتمد في نقل معلومات و أخبار هذا المصدر على ابن القلانسي وابن عساكر وابن شداد ، ومع أهمية هذا الكتاب بأنه يلقي الضوء على سيرة نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب الا انه ذكر معلومات غزيرة عن تاريخ دمشق في عصور الاتابكية لما لها علاقة بالملك العادل نور الدين محمود وقد غطت هذه المعلومات بعض مواضيع الرسالة ذات الصلة بعلاقة حكام دمشق بالملك نور الدين محمود [2].

---

(1) ابو القاسم عمر بن هبة الله بن العديم (ت 660هـ/1261م) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ،المطبعة الكاثوليكية، (بيروت 1373هـ/1964م)،ج 1، ص10-11.

(2) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (656هـ/1267م): الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، نشر وتحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة 1956)، ج1، مقدمة الروضتين ، ب .

وكتـــاب مفـــرج الكـــروب فـــي مناقـــب بنـــي أيـــوب لأبـــن واصـــل (ت697هـ/1300م) وتطرق فيه إلى أخبار الأسرة الأيوبية والتي اعتمد في نقل أخبارها على القاضي الفاضل وابن الأثير وابن شداد ، وهذا المصدر يمثل قيمة تاريخية تحدث فيه عن الأسرة الأيوبية ودولهم التي قامت في مصر وبلاد الشام ، ومعلوماته لا بأس بها عن اتابكية دمشق والتي نقلها عنها لمـــا لهـــا علاقـــة بالدولة الزنكية التي كان عميد الأسرة الأيوبية نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه باعتبارهما من الموظفين الذين خدموا هذه الدولة ودورهما في أحـــداث دمشق في عصر الأتابكية ، وساهمت هذه المعلومات فـــي تغطيـــة مواضـــيع الرسالة ذات الصلة بعلاقة نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه بأحداث دمشق في عصر الأتابكية[1].

وكتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر لأبن خلدون (ت808هـ/1405م) وهو من كتب التاريخ العام والذي اتبع فيه المنهج التاريخي الذي يقـــوم علـــى وحدة الموضوع وذلك بجمع المعلومات المتعلقة بالموضوع الواحد في المكـــان الواحد ، والذي خالف فيه المنهج الحولي الذي يقوم بذكر الأحداث على السنين والذي اتبعه المؤرخون المعاصرون لأبن خلدون والسابقون له ، ومـــع القيمـــة العلمية التي يتمتع بها تاريخ ابن خلدون الا انه وقعت فيه بعض الأخطـــاء فـــي أسماء الأعلام والأماكن وسنوات بعض الأحداث ، وأهمية هذا المصدر انه تطرق إلى معلومات مفصلة عن اتابكية دمشق كنشوئها وعلاقاتها وحروبها واســـماء

---

[1] جمال الدين محمد بن سالم بن واصل(697هـ /1299م) : مفرج الكروب في مناقب بني ايوب تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة ،1953) ، ج1، ص 5 –6 .

اتابكتها واوضاعها الداخلية والخارجية وقد نقل معلومات هذه الحقبة عن ابـــن القلانسي وابن الأثير والتي غطت أغلبية فصول الرسالة [1].

ولم تغفل الدراسة قيمة الكتب الجغرافية مثل كتب الرحلات كرحلـــة ابـــن جبير (ت614هـ /1216م) والتي وردت فيها معلومات مفصـــلة عـــن الحيـــاة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام وأوصاف المدن فيها وأسواقها ومدارسها ومساجدها وغيرها من المظاهر الحضارية[2] .

وشملت الرسالة كذلك كتب البلدانيين العرب مثل كتاب معجـــم البلـــدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) وكتـــاب تقـــويم البلـــدان لأبـــي الفـــداء (ت 732هـ/1132م) للاستفادة منها في معرفة أسماء المدن والجبال والأقـــاليم ومعرفة مواقعها ، وقد غطت معلومات هـــذه المصـــادر موضـــوعات الرســـالة المتعلقة بالجانب الحضاري[3] .

واعتمدنا على كتب التراجم مثل كتاب سير أعلام النبلاء والعبر في خبـــر من غبر للذهبي (ت748هـ/1348م) والذي نقل أخبار هذين الكتابين عن ابـــن

---

[1] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ/1405م) : العبر وديوان المبتدأ والخبـــر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبـــر ، مؤسســـة الاعلمي ، (بيروت ، 1361هـ/ 1971م) ،مقدمة الناشر ، ص 5 .

[2] محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت 614هـ /1216م) : تذكرة بالأخبار عـــن اتفاقـــات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير ، دار التراث (بيـــروت، 1388 هــــ/ 1968م) ، ص5 .

[3] ياقوت معجم البلدان ، ج1 ، ص5 ؛ ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 732هـــــ/1132م) : تقويم البلدان ، تصحيح البارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية (باريس ، 1840م) ، ص1 .

القلانسي وابن عساكر وابن الأثير وسبط بن الجوزي[1] ، وكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبن العماد الحنبلي (1089هـ/1679م) وهو تكرار لما ورد في كتابي سير اعلام النبلاء والعبر للذهبي، وقد نقلت لنا هذه الكتب معلومــات مهمة عن اتابكة دمشق وقادتها السياسيين والعسكريين واعلام الفكر والحضارة الذين ظهروا في هذه الحقبة في دمشق ، وقد ساهمت هذه المعلومات في تغطية بعض مواضيع الرسالة ذات العلاقة بالجانبين السياسي والحضاري [2] .

واعتمدنا في بحثنا على المعاجم اللغوية ومنها معجم متن اللغــة للشــيخ احمد رضا في تعريف بعض المصطلحات الإدارية والعسكرية التــي وردت فــي ثنايا البحث من حيث معرفة معناها لغة واصطلاحاً[3] ،واعتمــدنا علــى كتــب الادارة منهــا كتــاب صــبح الأعشـــى فـــي صـــناعة الانشـــا للقلقشـــندي

---

[1] محمد بن احمد بن قايماز الذهبي (ت748هـ /1348م) : سير أعلام النبلاء تحقيق محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة الغمروي ، دار الفكــر للطباعــة والنشــر والتوزيــع ، (بيروت ، 1417هـ/1997م) ،ج1، ص3 ؛ العبر في خبر من غبر ، تحقيــق الــدكتور صلاح الدين المنجد،وزارة الإرشاد والانبا ء (الكويت ،1963 م) ،ج1،مقدمة المحقق ب ،ج .

[2] عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1679م) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار المسرة (بيروت 1399 هـ/ 1979م) ،ج1، ص 3-4

[3] احمد رضا (الشيخ): معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، 1377هـ / 1957م) ، مج 1 ، ص6 .

(ت821هـ/1418م) والذي أمدنا بمعلومات واسعة عــن التنظيمــات الإداريــة والوظائف الحكومية والأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية [1] .

واعتمدت الرسالة على الدراسات الحديثة ومنها الدراســة التــي قــدمها الدكتور خاشع المعاضيدي بعنوان (الحياة السياسية في بلاد الشام في العصــر الفاطمي) وهي عبارة عن رسالة دكتوراه طبعت على شكل كتاب تنــاول فيــه اتابكية دمشق باعتبارها من الظواهر التاريخية التي عاصرت الدولة الفاطمية في بلاد الشام [2]، والدراسة التي قدمها الدكتور عماد الدين خليل بعنــوان (عمــاد الدين زنكي) ،وهي عبارة عن رسالة ماجستير طبعت على شكل كتاب تناول فيه العلاقات بين حكام دمشق وعماد الدين زنكي والحروب النى نشبت بينهمــا [3]، والدراسة التي قدمها الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بعنوان(الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى) التي تناول فيها الحروب الصليبية وخاصة تلك الحروب التي خاضتها دمشق وبعض الأوضــاع المتعلقة بأوضاعها الداخلية [4].

---

[1] ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ/1418 م) : صــبح الاعشــى فــــي صناعة الإنشا ، مطابع كوستا توماس ، (القاهرة 1338هـ/1920م) ، ج1، ص11 .

[2] خاشع المعاضيدي (الدكتور) :الحياة السياسية في بلاد الشام في العصــر الفــاطمي ، دار الحرية ، للطباعة ، (بغداد ، 1967م) ، ص8 .

[3] عماد الدين خليل (الــدكتور) : عمــاد الــدين زنكــي ، مطبعــة الزهــراء (الموصــل 1406هـ/1985م) ، ص23 .

[4] عاشور الحركة الصليبية ، ج1، ص 7 .

والدراسة التي قدمها السيد الباز العريني بعنوان (الشرق الأوسط والحروب الصليبية) والتي تناول فيها اتابكية دمشق باعتبارها من القوى المؤثرة في الشرق الأوسط في عصر الحروب الصليبية ، وتطرق إلى علاقاتها وحروبها واوضاعها الداخلية [1]، والدراسة التي قدمها الدكتور ستيفن رنسيمان بعنوان (تاريخ الحروب الصليبية) تناول فيها بشكل مفصل علاقة اتابكية دمشق مع الفرنجة والحروب التي خاضتها ضدهم والتحالفات التي عقدتها معهم[2] ، فان هذه الدراسات أمدت الرسالة بألاراء القيمة التي عالج بها هؤلاء الباحثون الموضوعات المتعلقة بعنوان الرسالة وبالمنهجية التي استعرضوا به الموصل الموصل ا هذه الموضوعات .

---

[1] الباز العريني ، الشرق الاوسط ، ج1، ط .

[2] ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني دار الثقافة ، (بيروت ، 1967) ، ج1 ، ص8 .

الفصل الأول :

أولاً: الاتابكية لغة واصطلاحا:

الاتابك لفظ تركي يتكون من مقطعين هما (اتـا) بمعنى أب و(بـك) بمعنى أمير فإذا جمع المقطعين فانهما يعطيان معنى الأمير الوالد والأمير الأب [1] ، استحدث هذا اللقب في دولة السلاجقة وأطلق على كل من يتولى الأشراف على تربية أولاد السلاطين، وأول من لقب به الوزير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (ت485هـ/1092م) وزير السلطان ملكشاه بن الب ارسلان (465-485هـ/1072-1092م) الذي فوض اليه تدبير شؤون المملكة[2].

---

[1] احمد رضا : معجم اللغة ، مج1، ص140 ، ، نيكلسون ، مادة (اتا) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وأحمد الشمنتاوي وإبراهيم ركن خورشيد وعبد الحميد يونس ، (القاهرة ، 1933) ، ج1 ، ص423 ؛ احمد عطية الله : دائرة المعارف الحديثة ،ط2، القاهرة ، مكتبة الانجلو – المصرية ، (القاهرة ، 1982م) ، ص16 ؛ فؤاد البستاني : دائرة المعارف الشعب ، (بيروت ، 1964) ، مج5، ص487 ؛ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ط2، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، (بيروت 1980)، ج1،ص44 .

[2] القلقشندي : صبح الأعشى ،ج4، ص18 ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ/1505م) : تاريخ الخلفاء ،ط3؛ تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطابع منير (بغداد 1407هـ/1987م) ، ص422؛ كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1972) ، ج1، ص 351 ؛ رشيد عبد الله الجميلي : دولة الاتابكية في الموصل بعد عماد الدين زنكي 541-631هـ ، ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت ، 1975م) ، ص27 .

ولما قتل السلطان ملكشاه سنة 485هـ/1092 م ، دخلت دولة السلاجقة مرحلة الحروب الأهلية التي أدت إلى أضعافها وتقسيم ممتلكاتهـا بـين أفـراد الأسرة السلجوقية ، فاستقل كل امير من أمرائها بجزء من أجزاء الدولة مكونـا فيه دولة مستقلة ، كدولة سلاجقة الشام التي أسسها الملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان (ت488هـ/1095م) فاتخذوا اتابكة لأولادهم يشرفون على تربيتهم أسوة بأولاد السلاطين السلاجقة [1] .

وكان هؤلاء الاتابكة من المماليك الأتـراك الـذين يجلبـون مـن بـلاد القيجاق[2] ليخدموا في القصور السلطانية ويكلفون بـبعض المهـام فيتقنوهـا ويقومون بها خير قيام ، فينالون رضا أسيادهم فتسند إليهم تربية أبنـائهم [3] ، أمثال الاتابك طغتكين بن عبد الله (ت522 هـ/1128 م) مملـوك الملـك تـاج

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج14، ص433؛ احمد عطية الله :القاموس الإسلامي مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، 1383هـ/1963) ، ج1،ص389؛ عصام الـدين عبـد الرؤوف : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسـي ، دار القـران للطباعـة والنشـر والتوزيع، (القاهرة ، 1975 م) ، ص3 .

[2] القبجاق: هم جنس من الاتراك يغلب عليهم طابع البداوة ويسـكنون الصـحاري وتقـع بلادهم في المناطق الشمالية والغربية المحاذية لبحر الخزر واهم مدنها سراى التـي تقـع على نهر الاتل الذي يصب في بحر الخزر . القلقشـندي : صـبح الاعشـى ، ج4، ص 456-457 .

[3] احمد مختار العبادي : في تاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (القاهرة ، 1971 م) ص 176، سنانلي لين بول :الدول الإسلامية ، ترجمـة صـبحي فزرات مكتبة الدراسات الإسلامية ، (دمشق ، 1393 هـ/1973 م) ص 340 .

الدولة تتش بن الب ارسلان الذي كلفه بالأشراف على تربية ولده الأمير دقاق بن تتش (ت497هـ/1104م)[1].

وهؤلاء كانوا ايضاً من القادة العسكريين الذين يكلفون من قبل السلاطين السلاجقة بالأشراف على تربية أولادهم أمثال الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر (ت541هـ/1146م) والذي كلفة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (ت525هـ/1130م) بالأشراف على تربية ولده الأمير الب ارسلان [2] .

نشأت الاتابكيات من طريقين ، أحدهما طريق التولية وهي قيام السلطان بتوليه احد الاتابكة إحدى الولايات التابعة له ، كما ولى السلطان سنجر بن ملكشاه (ت552هـ/1157م) سلطان سلاجقة خراسان الاتابك محمد بن انوشتكين (ت522هـ/1128م) واليا على خوارزم سنة 490هـ/1097 فكون بذلك اتابكية خوارزم شاه التي استمرت اكثر من قرن وربع القرن (490-628هـ/1097-1228م) وولى السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الاتابك عماد الدين زنكي واليا على الموصل سنة 521هـ/1127م ، مكونا بذلك اتابكية الموصل التي استمرت اكثر من قرن (521-608هـ/1127-1233م) [3] .

---

[1] الذهبي : العبر ، ج4 ، ص51 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،ج4،ص 65-64؛ احمد شلبي (الدكتور) : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، 1968) ، ج5، ص 168 .

[2] ابن الاثير : الباهر ، ص71؛ ابو الفداء : اسماعيل بن عمر (ت732هـ/1332م) : المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، (مصر ، د – ت) ، ج3،ص17 .

[3] تقي الدين احمد علي المقريزي (ت845هـ/1343م) : السلوك في معرفة دولة الملوك ، تصحيح (الدكتور) محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ، 1934)،ج1، ق1، ص35؛ ابو الفضل نور الدين محمد بن ابي بكر احمد الاسدي المعروف بابن قاضي شهبه (ت874هـ/1471م) : الكواكب الدرية في السيرة النورية

وثانيها طريق الوراثة وهي ان يرث الاتابك حكم المناطق التي كان اسياده يحكمونها فينشا اتابكية جديدة تحل محل دولة اسياده ، ومن امثال ذلك وراثة الاتابك طغتكين حكم اسرة سيدة تاج الدولة تتش بن الب ارسلان في دمشق بعد موت الملك دقاق سنة 497 هـ/1104م والتي يطلق عليها اتابكية دمشق والتي استمرت حوالي نصف قرن (497-549هـ/1104-1154م) [(1)]

ووراثة الاتابك بور الدين لؤلؤ (ت657هـ/1257م) حكم اسرة عماد الدين زنكي في الموصل بعد وفاته سيده الأمير ناصر محمود (ت631هـ/-1233م) فكون على انقاضها اسرة جديدة هي اسرة بدر الدين لؤلؤ والتي حكمت الموصل حوالي ثلاثة عقود من الزمن (631-660هـ/1233-1262 م) [(2)] .

تحقيق (الدكتور) محمد زايد ، دار الكتاب الجديد (بيروت ، 1971م)، ص92 ؛ خليل :عماد الدين زنكي ، ص126 ؛ فيليب حتي (الدكتور) ، جبرائيل جبور (الدكتور) ادوارد جرجي (الدكتور) : تاريخ العرب مطول ، (بيروت ، 1965)، ص762 ؛ مرتضى حسن النقيب : عماد الدين زنكي ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، دائرة الشؤون الثقافية ، مجلد 16 ، العدد الرابع ، (بغداد ،1987م) . ص 95 .

(1) ابن الاثير : الكامل ،ج9، ص94؛ زين الدين عمر بن الوردي (ت768هـ/1368م) : تاريخ أبن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف ، 1389-1969) ، ج2، ص21 ؛ ارنست باكر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة ، 1962) ، ص59 ؛ محمد الحضري بك (الشيخ) : محاضرات في تاريخ الامم الإسلامية (الدولة العباسية) ، المكتبة التجارية الكبرى ، (القاهرة 1970م) ج2، ص454 .

(2) ابن خلدون :العبر ، ج5،ص276 ؛ زامباور : معجم الانساب وتاريخ الدول الإسلامية ، ترجمة وتعليق احمد السيد سليمان ، دار المعارف (القاهرة ، 1972) ، ج2، ص354 ؛ لين بول : الدول الإسلامية ، ص334 .

ولم يقتصر ظهور الاتابكيات في هذه المناطق فقط بل ظهـرت اتابكيـات اخرى في المشرق الإسلامي وشمال العراق والجزيـرة الفراتيـة [1]كاتابكيـة سـنجار[2] (566-627هـ/1170-1220 م) واتابكيـة اربـل[3] (539-630هـ/1145-1233م) واتابكية الجزيرة (576-622هـ/1180-1227م) واتابكية فارس (542-685هـ/1147-1286 م) واتابكيـة ارمينيـا (493-604هـ/1100-1207م) وكان بعض هذه الاتابكيات واسعة المساحة كاتابكيـة خوارزم شاه وبعضها لا يتعدى حدود مدينة واحدة كاتابكية سنجار[4] .

ورغم تبعية هذه الاتابكيات من الناحية الرسمية لسلطان السلجوقي الذي كان اسمه يذكر في خطبة الجمعة وينقش على السكة والنقود بعد اسم الخليفـة العباسي [5] ، فانها كانت تتمتع بالاستقلال التام بما فيهـا العلاقـات الخارجيـة وحاول بعض السلاطين السلاجقة القضاء على حكم الاتابكة التابعين لهم ولكنهم فشلوا في ذلك ،فعلى سـبيل المثـال حـاول السـلطان محمـد بـن ملكشـاه

---

[1] الجزيرة : هي المنطقة الشمالية المحصورة بين دجلة والفرات واهم مدنها الرها وحـران . ياقوت : معجم البلدان ، ج2، ص134 .

[2] سنجار:مدينة تقع بالجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام.ياقوت:معجم البلدان،ج3، 263

[3] اربل:مدينة في شمال العراق تقع قرب الموصل. ياقوت : معجم البلدان ، ج1، ص138

[4] عطية الله : دائرة المعارف الحديثة ،مج1،ص16؛ رشيد الجميلي : دراسات فـي تـاريخ الخلافة العباسية ، ، مطبعة المعارف الحديثة (الرباط ، 1395هـ/1975م) ، ص214 كمال الدين حلمي (الدكتور) : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحـوث العلميـة للنشر والتوزيع (الكويت ، 1395هـ/1975 م) ، ص214 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص310 ؛ الباز العرينـي : الشـرق الاوسـط ،ج1، ص587 ؛ فتحية النبراوي ،(الدكتوره):العلاقات السياسية الإسلامية وصـراع القـوى الدولية في العصـور الوسـطى ، دار التضـامن ، (القـاهرة ، 1402 هـ/1982 م) ص186-187

،(ت511هـ/1118 م) سلطان سلاجقة العراق وفارس القضاء على حكم الاتابكة طغتكين في دمشق فجهز اليه حملة عسكرية كبيرة للقضاء عليه سنة 508هـ/1114 م [1]، ولكنها اخفقت في تحقيق اهدافها على اثرها السلطان محمد بن ملكشاه على الاعتراف بسلطة الاتابك طغتكين وتوليته بلاد الشام سنة 509هـ/1115م [2] .

وحاول السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (ت547هـ/1152م) القضاء على حكم الاتابك عماد الدين زنكي في الموصل سنة 529هـ/1135م لكن عماد الدين زنكي تمكن من استمالة السلطان مسعود وعقد الصلح معه واعترف بولايته على الموصل بنفس السنة [3] ، مع ان فشل هؤلاء السلاطين في القضاء حكم هؤلاء الاتابكة يدل على قوة النفوذ الذي كانوا يتمتعون به فانه يشير مدى ضعف النفوذ السلجوقي في هذه المناطق [4] .

---

(1) شمس الدين الذهبي : دول الإسلام في التاريخ ،ط2، الهند حيدر الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1370هـ-1951 م ، ج2، ص 26-27 ؛ محمد سليم الجندي : تاريخ معرة النعمان ، تحقيق وتعليق عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي ، (دمشق 1388 هـ- 1963 م) ، ج2، ص61 .

(2) الحافظ اسماعيل بن كثير (ت774هـ/1374م) : البداية والنهاية ، مطبعة المعارف ، (بيروت ، 1404هـ/1983م) ، ج12،ص 178-179 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص177 .

(3) محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت580هـ/1183م) : الانباء في تاريخ الخلافة ،تحقيق ودراسة قاسم السامرائي ، مطبعة ابريل (ليدن ، 1973 م) ص222 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص91 .

(4) العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص197 .

ثانياً : جذور اتابكية دمشق:

تعود جذور اتابكية دمشق (497-549هـ/1104-1154م) إلى دولة سلاجقة الشام ،(471-511هـ/1079-1118م)التي أسسها الملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان ،(ت488هـ/1095م) فقد خضعت بلاد الشام قبل خضوعها للحكم السلجوقي إلى حكم دول متعددة منها الدولة الفاطمية التي حكمتها حوالي اكثر من قرن (986-1076م) [1]،وقد حاولت الدولة الفاطمية استخدام بلاد الشام كطريق للوصول إلى العراق وذلك في سعيها للقضاء على الخلافة العباسية ووضع العالم الإسلامي تحت سيطرتها [2].

فقد ساندت الدولة الفاطمية التمرد الذي اعلنه ابو الحارث البساسيري (ت451هـ/1054م) [3] ، قائد الجند الترك في بغداد ضد الخليفة العباسي القائم

---

[1] عمر بن علي بن الحسن بن دحية الكلبي (ت633هـ/1233م) : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح وتعليق المحامي عباس العزاوي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، 1365هـ- 1946م ، ص 125-126 ؛ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت764هـ/1363م) : أمراء دمشق في الاسلام ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مطبعة الترقي (دمشق ، 1955م) ، ص 137-145 ؛ فاروق عمر فوزي (الدكتور) : تاريخ العراق في العصور الإسلامية ، الدار العربية للطباعة (بغداد ، 1988) ص369 .

[2] ابن العمراني : الانباء ، ص190 .

[3] ابو الحارث ارسلان بن عبد الله البساسيري (ت 451هـ/1059 م) وهو مملوك تركي ينسب إلى مدينة بسا ببلاد فارس وقد عينه الخليفة العباسي القائم بامر الله (ت467هـ/1075م) قائدا للجند الأتراك في بغداد ، وقد قوى نفوذه في العراق لدرجة ان الخليفة العباسي القائم بامر الله لايتخذ قرارا الا بموافقته واستبد بامور العراق مما اضطر الخليفة القائم بامر الله إلى الاستعانة بالسلطان السلجوقي طغرلبك (ت455هـ/1065م) للتخلص من استبداده ، مما جعله يعمل على ازالة الخلافة العباسية فدخل بغداد (450هـ/1059م) فهرب منه الخليفة القائم بامر الله إلى حديثة والتجئ إلى

بأمـــــــر الله (422-467هـ/1131-1175م) والسلطان السلجوقي طغرلبـك (429-455هـ/1038-1063 م) والـــــــــذي استمر اربع سنوات (447-451هـ/1055-1059 م) بالمال والرجال عقب اعلانه ولائه للدولة الفاطمية [1]

.

وفي اثناء انشغال السلطان طغرلبك في صراعه مع البساسـيري أعلـن إبراهيم ينال (ت451هـ /1059م) اخو طغرلبك من امه التمرد ضـده فسـيطر على مناطق الجبال وهمدان سنة 450هـ/1058م معلنا الولاء للدولة الفاطميـة

اميرها مهارش العقيلي ، وقتل البساسيري وزير الخليفة القائم بامر الله رئـيس الرؤسـاء ابي القاسم علي بن الحسين وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت 487هـ/1093م) ، وقد اعاد السلطان طغرلبك الخليفة القائم بامر الله سنة 451هـ/1060م بعـد هـروب البساسيري منها والتي قبضت عليه القوات السلجوقية وقتلته . ابو العباس احمد بـن ابـي بكر بن خلكان (ت681هـ/1182م) : وفيات الأعيان وانباء الزمـان ، تحقيـق محمـد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1948 م) ، ج1، ص172 ؛ جمال الدين يوسف بن تغري بردى (ت874هـ/1469م) : النجوم الزاهـرة فـي اخبـار مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمـة والنشـر، (القـاهرة ، 1900 م) ،ج5، ص 64-65 .

(1) ظهير الدين علي البغدادي الكارزوني (ت697هـ/1299م) : مختصر التـاريخ مـن اول الزمان إلى منتهى دولة بنو العبـاس ، تحقيـق الـدكتور مصـطفى جـواد ، (بغـداد ،1390هـ/1971 م)، ص240 ؛ عبـد الـرحمن سـنيط بـن قتيبـو الاربلـي (ت717هـ/1318م) : خلاصة الذهب المسبوك فـي مختصر سـير الملـوك ، طبـع وتصحيح مكي السيد جاسم ، (بغداد ، د. ت) ، ص240 .

والخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت487 هـ/1094م) بعد ارساله المساعدات له[1] .

دخل البساسيري بغداد في ذي القعدة سنة 451هـ [2] وقد هرب منها إلى الكوفة عندما قدم اليها السلطان طغرلبك فلحقته القوات السلجوقية وتمكنت من قتله سنة (451هـ / 1060م) [3]، وهكذا خابت أمال الفاطميين في إسقاط الخلافة العباسية في بغداد والانفراد بزعامة دار الإسلام بعد القضاء على حركة إبراهيم ينال والبساسيري الموالية لهم [4] .

توجهت القوات الفاطمية بعد ذلك إلى دمشق وفرضت عليها الحصار سنة 471هـ/1079م ، واستنجد اميرها اتسز بالأمير تاج الدولة تتش بن الب ارسلان فانجده مما اضطر الوزير بدر الجمالي إلى رفع الحصار عنها ، ودخل تاج الدولة تتش إلى دمشق وقبض علي الأمير اتسز وقتله وتولى إمارتها ويعد هذا الحدث بداية لقيام دولة سلاجقة الشام [5].

---

[1] ابن دحية : النبراس ، ص138؛ ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذب المعروف بابن الراهب (ت681هـ/1282م) : تاريخ ابن الراهب نشر الاب لويس شيخو اليسوعي مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، 1903 م) ، ص84 .

[2] ابن العمراني : الأنباء ، ص162 ؛ الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص242 .

[3] ابن الجوزي: ، ج9 ، ص461 ؛ عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي : القدس عشية الغزو الصليبي ، دراسة في احوالها السياسية والإدارية (463هـ/494هـ) ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، (بغداد ، 1998م) ، ص32 .

[4] الفارقي ، تاريخ ميافارقين ، ص156 ؛ عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، (القاهرة ، 1959 م) ، ص 42 .

[5] ابن الاثير : الكامل نج8، ص418 ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص65 .

حاول الملك تاج الدولة تتش ان يفرض سلطته على جميع بلاد الشام الا ان سياسته التوسعية هذه ادت إلى اثارة المشاكل بينه وبين امير الموصل مسلم بن قريش العقيلي (ت 478هـ/1087 م) الذي توجه لنجدة اهل حلب عندما طلبوا المساعدة منه ضد تاج الدولة تتش عندما فرض الحصار عليها سنة 472هـ/1079 م ، مما اضطر تاج الدولة تتش إلى رفع الحصار عنها فتوجه تاج الدولة بعد ذلك إلى البيرة [1] وبزاغة [2]- ، فاستولى عليهما وفرض الحصار على عزاز [3] فلم يتمكن من فتحها فرجع إلى دمشق [4] .

خرج تاج الدولة تتش إلى حلب في جمادى الآخرة سنة 487هـأ/1094م فالتقى بقوات السلطان بركياروق بقيادة اقسنقر وبوزان فاستطاع تاج الدولة الحاق الهزيمة بالجيوش السلطانية وقتل الأمير اقسنقر ثم فرض الحصار على حلب التي ما لبثت ان سقطت امامه فدخلها وقبض على الأمير بوزان وامر بقتله ثم سار إلى الرها وحران واستولى عليهما وتوجه إلى بلاد فارس بعد استيلائه على اذربيجان [5].

واصطدمت قوات الملك تاج الدولة تتش بقوات السلطان بركياروق قرب همدان فالحقت بها الهزيمة فانهزم السلطان إلى اصفهان واعتصم بها فزحف

---

[1] البيرة : بلدة قرب سميساط تقع بين حلب والثغور الرومية . ياقوت : معجم البلدان ،ج1، ص526 .

[2] بزاغة : بلدة تقع في الجهة الشمالية الشرقية من حلب . ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص226 .

[3] عزاز : بلدة تقع شمال حلب . ياقوت : معجم البلدان ، ج3، ص526 .

[4] ابن الاثير : الكامل ،ج8 ، ص429؛ ابو شامة : الروضتين ،ج1، ص65.

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 123-124 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1 ص27 .

أليها تاج الدولة فلحقته جيوش السلطان ، والتقت بقواته قرب الري والحقت بها جيوش السلطان هزيمة منكرة انتهت بمقتل الملك تاج الدولة تتش في صفر سنة 488هـ/1095 م [1].

بعد مقتل تاج الدولة انقسمت بلاد الشام بين ولديه رضوان (ت507هـ/1113 م) الذي اخذ حلب ودقاق (ت 497هـ/1104م) الذي اخذ دمشق وبين الأمراء والقادة الذين استولوا على بعض المدن الشامية واكتفوا بالتبعية الاسمية لولدي تاج الدولة دقاق ورضوان مما عرض بلاد الشام إلى الضعف [2]،وبعد استيلاء دقاق على عرش ابيه في دمشق استقرت الأحوال واستقامت الأمور فيها ، واعتمد على اتابكه وأحد مماليكه أبيه الاتابك طغتكين فقد كان مستشاره وقائد جيوشه وتزوج امه واصبح بذلك نفوذ الاتابك طغتكين يطغى بل يفوق نفوذ الملك دقاق في دمشق [3].

وفي ظل هذه الأوضاع انشغلت دمشق بأوضاعها الداخلية وتحكم الأتابك طغتكين بشؤونها، فقد كان الملك دقاق يعهد أليه بإدارة المدينة عند غيابه عنها [4] ويساعده في قيادة

---

[1] الفارقي : ميافارقين ، ص244 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج10 ، ص11 الزهاوي : القدس ، ص96 .

[2] ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج1، ص246؛ ابو الفداء : المختصر ،ج2، ص11 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،ج12، ص 148-149 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1972م) ص175 ؛ محمد المطوي العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الكتب الشرقية ، (تونس ، 1954 م) ، ص3 ؛ النقيب : عماد الدين زنكي ، ص94 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 131 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص142؛ الفارقي : تاريخ ميافارقين ، ص245.

الجيوش [1] ، ونتيجة للنفوذ القوي الذي كان يتمتع به الأتابك طغتكين والثقة المطلقة التي كان الملك يخصه بها عهد أليه بتدبير المملكة أثناء مرضه والوصاية على ولده الصغير تتش بعد موته فكون حكومة جديدة ورثت دولة سلاجقة الشام بعد موت الملك دقاق في رمضان سنة 497هـ/1104م وهي حكومة الأتابكية في دمشق التي حكمتها على مدى نصف قرن (497-549هـ /1104-1154م) [2].

ثالثاً : اتابكة دمشق في ضوء المصادر العربية :

تولى حكم دمشق في عهد الأتابكية ستة ملوك [3] من بينهم الأتابك طغتكين الذي كان من نتاج المؤسسة السياسية والعسكرية السلجوقية ، فقد كان يرافق تاج الدولة تتش في حروبه ويدير امور دمشق اثناء غياب تاج الملوك

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج8 ، ص504 ؛ ابو الفداء : المختصر ، ج2 ، ص216.

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص145 ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2 ص21

(3) وهم على التوالي سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين نب عبد الله (497-522هـ/1104-1128م) والأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين (522-526هـ/1128-1132م) والأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين (526-529هـ/1132-1135م) والأمير شهاب الدين محمود بن بوري بن طغتكين (529-533هـ /1135-1139م) والأمير جمال الدين محمد بن بوري بن طغتكين (533-534هـ/1139-1140م) والأمير مجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغتكين (534-549هـ/1140-1154م) ، لتحل محلها دولة نور الدين محمود بن زنكي (ت569هـ/1174م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1 ، ص265 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ص8-9 ؛ القلقشندي : صبح الأعشا ، ص115 ؛ ابو العباس احمد بن يوسف القرماني (ت 1019هـ/1610م) : اخبار الدول وأثار الأول ، (بغداد 1282هـ/1862م) ، ص 381 ؛ شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ،ج5 ، ص168.

عنها [1] ، وقـــــد تولـــى طغتكين بعض المناصب الإدارية والعسكرية فـــي دولة سيده تــــــاج الدولة تتش [2] ومنها توليه ولاية ميافارقين من ديار بكر بالجزيرة [3] ، وأن توليه هذه المناصب والعسكرية جعلت منه الرجـل الــــذي يستطيع ان يفرض نفسه على ساحة الأحداث [4] .

وقد وصف الأتابك طغتكين بأنه احد هؤلاء الامراء الذين اســتطاعوا ان يحتلوا مكانة مهمة في التاريخ الإسلامي بشكل عام ، وتاريخ الشام بشكل خاص فهو من المجاهدين الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله ومحاربة كفـــار الفرنجـــة الذين يسعون للكيد للإسلام والمسلمين ، واستطاع ان يوقف الفرنجة فـــي بـــلاد الشام وقد اشار إلى هذه الحقيقة المؤرخ الذهبي قائلاً : (لولا ان الله تعالى قـــد اقام طغتكين ازاء الفرنج الا غلبوا على دمشق فقد هـــزمهم غيـــر مـــرة) [5]، وبواسطة جهاده استطاع المسلمون الاحتفاظ بالمناطق الداخلية من بلاد الشـــام مثل دمشق وحلب وحماة [6] .

وتمكن الأتابك طغتكين ان يرث دولة سيده الملك تتش ويقيم على أنقاضها حكومة جديدة في بلاد الشام استطاعت المشاركة في حركة الجهاد في وقت كانت

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص131.

[2] ابن الأثير : الكامل ، ص248.

[3] الفارقي : تاريخ ميافارقين ، ص224.

[4] الذهبي : العبر ، ج4 ، ص51 ؛ ابن العمـــاد الحنبلـــي : شـــذرات الـــذهب ، ج4 ، ص ص65-66 .

[5] سير اعلام النبلاء ، ج14 ، 434.

[6] ابن الأثير : الباهر ، ص32 ؛ عاشور : الحركـــة الصـــليبية ، ص478 ؛ عبـــد القـــادر الريحاوي : (، دمشق ، 1389هـ/1996م) ، ص9 ؛ النقيـــب : عمـــاد الـــدين زنكـــي ص98 .

فيه بلاد الشام تعاني من فقدان السلطة المركزية وغيـاب الوحـدة السياسـية فكثـــرت فيهـا الإمـارات الإسـلامية بعـد سـقوط مملكـة تـتش سـنة (488هـ/1095م) [1] وبسبب هذه الأوضاع المتردية استطاع الفرنجة احـتلال مناطق الساحل الشامي وشمال بـلاد الشام وبعض مناطق الجزيرة الفراتيـة وكونوا فيها إماراتهم الأربعة [2] .

والواقع ان الأتابك طغتكين لم يحدث في حركة الجهاد التأثير الذي احدثه كل من الأمير عماد الدين زنكي (ت541هـ/1146م) والملك العادل نور الـدين محمود (ت569هـ/1174م) ولسـلطان صـلاح الـدين يوسـف بـن ايـوب (ت589هـ/1193م) . وذلك لان الظروف التي تهيأت لهؤلاء القادة المجاهـدين لم تتهيأ الأتابك المجاهد طغتكين ، فأن الفرنجة في عهده كانوا يتمتعون بـالقوة بينما كان المسلمون على غاية من الضعف والانقسام [3] .

استعاد المسلمون قوتهم وتحولوا من الوضـع الـدفاعي إلـى الوضـع الهجومي وكان يرافق عمليات الجهاد توحيد المسلمين تحت لواء وراية دولـة واحدة [4] ، وفي مجال السياسة الداخلية حقق الأتابك طغتكين العدالة في دمشق

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2 ، ص119.

(2) الفارقي : تاريخ ميافارقين ، ص268؛ ابن واصـل : مفـرج الكـروب ، ج1، ص33؛ كيلاني ، الحروب الصليبية واثرها في الأدب في مصر والشـام ، مطبعـة دار الكتـاب العربي ، (القاهرة ، 1949) ، ص10-11 .

(3) ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج1، ص181 ؛ عاشور : العلاقات بـين الشـرق والغـرب ص399 .

(4) عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، بيـروت ، دار المسـرة ، 1399-1979 م ، ج5، ص288؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ،ج1، ص709 .

ورفع المظالم عن الناس واشاع الاستقرار بها فكثــر الأعمـــار وعــم الرخـــاء والازدهار فكثر عرض البضائع في الأسواق ورخصت الأسعار [1].

أشاد المؤرخون بعد له وجهاده فقد قال عنه المؤرخ ابن الأثير (وكـــان عاقلا خيـــــرا كثير الغــزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة في رعيته مــؤثرا للعدل) [2] ووصفه سبط بن الجوزي فقال عنه (كان حسن السيرة ظاهر العدالة كثيـــــر الإحسان مدبــــر المماليك فحسنت اثارة وعمرت البلاد في ايامه) [3] وقـــد أشاد بـــــه ابـــن كثيـــر وقـــال عنه : (كان من خيــار الملــوك واعدلهم وأكثرهم جهاداً للفرنج) [4] ووصفه ابـــــن خلدون فــاوجز فقــال : (وكان حسن السيرة مؤثرا للعدل محبا للجهاد) [5] واثنى عليه ابن تغري بردي فقال (غزا الفرنج غير مرة وله في الجهاد اليد البيضاء .. يعرف ذلك من همته وشجاعته عادلا في الرعية) [6] ، فضلا عن جهاده وعدله فانـــه كـــان يتمتـــع بصفات كريمة كالشجاعة والشهامة والكرم وهو من اهل التدبير والسياسة وذو شخصية قوية استطاعت ان تفرض هيبتها ومكانتها [7] .

---

[1] ابـــن القلانســـي : ذيـــل تـــاريخ دمشـــق ، ص145؛ محمـــد بـــن شـــاكر الكتبـــي (ت764هــ/1364م) : عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، وزارة الاعلام ، سلسلة كتب التراث ،(بغداد ، 1397- 1977م) ، ج12، ص199 .

[2] الكامل : ج9، ص248 .

[3] مراة الزمان ، ج8، ق1، ص128 .

[4] البداية والنهاية ، ج12، ص199 .

[5] العبر ،ج5 ، ص155 .

[6] النجوم الزاهرة ، ج5، ص234 .

[7] الذهبي : العبر ، ج4، ص51؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،ج4، ص66 .

احب اهل دمشق الأتابك طغتكين بسبب عدله فقد وصف لنا ابن القلانسي نهاية هذا الأتابك المجاهد العادل فقال : (ثم توفى رحمه الله ضحى نهار السبت لثمان خلون من صفر من السنة (522هـ/1128م وذكا القلوب وفت الاعضاد وفتت ألا سجاد واشتد الآسف لفقده والجزع عليه ولم يسمع الا متفجع له وذاكر لجميل أفعاله وشاكرا لأيامه)[1] وصور لنا كل من سبط بن الجوزي والذهبي فقالا : (وحزن اهل دمشق ولم تبق محله ولا سوق الا والمآتم عليه)[2] .

خلفهُ في الحكم ابنه الأمير تاج الملوك بوري (ت526هـ/1132م) وكان هذا الأمير كريم الخلق كأبيه وسار على سيرته في سياسة الجهاد ضد الفرنجة واشاد به ابن الأثير وقال عنه : (كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه)[3] ووصفه ابن كثير قائلا عنه : (كان عاقلا خيرا حازما عادلا عادلا كثير الجهاد في الفرنج)[4] واشاع العدل بين رجال دولته ورعيته في في بداية فترة حكمه واشاد ابن القلانسي بسياسته هذه قائلا (وقام ولده تاج الملوك بالأمر بعده واحسن السيرة في خاصته ورعيته)[5] ، غير ان هذه السياسة تغيرت فيما بعد تجاه الرعية واصحابه وقد يكون للأوضاع التي سادت دمشق بسبب ازدياد نفوذ الإسماعيلية[6]

---

[1] ذيل تاريخ دمشق ، ص162 .

[2] مراة الزمان ،ج9 ، ص266 .

[3] الكامل ، ج9 ، ص248 .

[4] البداية والنهاية ، ج12 ، ص199 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص163 .

[6] الإسماعيلية : وهي فرقة من فرق الشيعة الأمامية الغلاة وتنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت145هـ/763م) وتعتقد هذه الفرقة كما تعتقد غيرها من فرق الغلاة بعصمة الأئمة وبان الإمامة اصل الدين وهي عندها بمنزلة النبوة وتعتقد بالرجعة والتقية والغيبة

، الذي وصل إلى حد بات يهدد حكم الأمير تاج الملوك بوري نفسه[1] .وقد أشار كل من سبط بن الجوزي وابن شاكر الكتبي إلى هذا التغيير فقالا (وجلس بوري مكان ابيه طغتكين فاقر الولاة على حالهم وسار بسيرة ابيه مدة ثم تغيرت نيتــه واضمر السوء لأصحابه والظلم للرعية وتمكن وزيره المزدقاني من اهل دمشق وصادق الباطنية واستعان بهم وقبض على خواص ابيه واحد بعد واحد واســتر أبوابه ونفرت القلوب منه)[2] .

وقد اشاد المؤرخان ابن الوردي وابن تغري بردي بموقف الأميــر تــاج الملوك بوري من المرزدقاني والاسماعيلية فقالا : (تاج الملوك بوري ولى امر دمشق بعد موت ابيه الاتابك طغتكين في سنة اثنين وعشرين وخمسمائة وكــان

اسوة ببقية فرق الشيعة الامامية واتباع هذه الفرقة يغلون في الأئمة إلــى درجــة النبــوة والالوهية ويوافقون فرق الشيعة الأمامية الأخرى في امامه علي ابن ابي طالب والحســن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق رضي الله عنهم ويخالفونها فــي تسلسل الامامة بعد جعفر الصادق فانهم يدفعونها إلى ابنه إسماعيل وعندما توفي إسماعيل في حياة ابيه فانهم دفعوها إلى ابنه محمد بن إسماعيل وذريتــه مــن بعــده . ويؤمنــون بالتاؤيل الباطني لنصوص القران والسنة والادعاء بان لهذه النصوص ظــواهر وبــواطن وان ظواهر النصوص تخالف بواطنها ، وكانت تستعمل التأويل الباطني لهدم نصــوص القران والسنة ونشر الإباحية وابطال الشرائع كالعبادات واحكام الحلال والحرام وهم كبقية الفرق الباطنية كالنصيرية والدروز وغيرهم يظهرون الإسلام ويظنون الكفــر وعقائــدهم خليط من الديانات اليهودية والنصرانية والمجوسية والفلســفات الهنديــة واليونانيــة مــع الاحتفاظ بالمظاهر الشكلية للاسلام ويطلق عليهم عدة القاب منها الباطنية ومنها السبعيه . عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هــ/1037م) : الفرق بين الفرق ، تحقيــق لجنــة أحياء التراث العــربي ، دار الاوقاف الجديدة ودار الجبل ، (بيروت ، 1408هــ/1987)، ص 265- 299 .

(1) ابن الاثير : الكامل ،ج9، ص266 .

(2) مراة الزمان ،ج8، ق1،ص128؛ عيون التواريخ ،ج12،ص325 .

حليما شجاعا فقتل ابا على المرزدقاني والإسماعيلية) [1] **ووضعت لنا ابن العماد الحنبلي نهاية هذا الأمير المجاهد فقال (وكانت دولته اربع سنين فقفز عليه الباطنية فجرح وتعلل اشهر ومات في رجب وولى بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل وكان مجاهد كريما سد مسد ابيه وعاش ستة واربعين سنة)** [2] **.**

تسلم الحكم بعد وفاة الأمير تاج الملوك بوري في رجب سنة 526هـ/1132م ابنه الأمير شمس الملوك إسماعيل وكان مجاهدا شهما شجاعا كابيه وجده فاشاع العدل بين الناس في اوائل حكمه ورفع المظالم عنهم وقد اشاد المؤرخون بسياسته هذه فقال ابن الأثير [3] **(وملك .. شمس الملوك وقام بتدبير الامور بين يديه الحاجب يوسف بين فيروز شحنة دمشق وهو حاجب ابيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والإحسان إليهم فكثر الدعاء والقصاد اليه)** [4]**.**

وقال الذهبي : (شمس الملوك إسماعيل بن بوري تملك دمشق بعد ابيه في رجب سنة سنة وعشرين وكان بطلا مقداما كابيه ولكنه كان جبار عسوفا استنقذ بانياس من الفرنج وكان الإسماعيلية باعوها من سبع ستين وشغر بلادهم واوطأهم ذلا) [5] **.**

---

(1) تتمة المختصر ،ج2، ص209 ؛ النجوم الزاهرة ،ج5، ص325 .

(2) شذرات الذهب ، ج4، ص78 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص234؛ صلاح الدين خليل ايبك الصفدي (ت764هـ/1363م) : الوافي بالوفيات ،اعتناء يوسف فان ، مطابع دار صادر، (بيروت ، 1393-1973) ، ج9، ص226 .

(4) الكامل ، ج9 ، ص226 .

(5) العبر ، ج4، ص59 .

ولكن سياسته هذه تغيرت تجاه رعيته ورجال دولته مما أدى إلى وقــوع البلاد في المشكلات والاضطرابات وعم البلاء والظلم . واشار إلى هذا التغييــر الصفدي فقال : (كان .. شجاعا مهببا سيرته اول ولايته احسن السير اشغر بلاد الفرنج بالغارات وانما تغيرت سيرته أخراً وارتكب القبائح وبالغ في الشح واخذ الحقير بالظلم والعدوان) [1] **.**

واثنى عليه ابن قاضي شهبه فقال : (ملك شمس الملوك بعد ابيــه تــاج الملوك بوري بن طغتكين فقام بأعباء الأمر فخافته الفرنج وابطل المظالم وفرح الناس بشهامته واحتلموا ظلمه) [2] **وانتقد المؤرخون سياسته التي اتبعها فــي اخر ايام حكمه ومنهم ابن واصل الذي قال عنه : (كان ظالما سيئ السيرة إلــى الغاية القصوى مع بخل زائد ودناءة نفس فكرهه أهله واصحابه ورعيتــه)** [3] **وابن خلدون الذي وصفه بانه :(سيئ السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحمد لأهله واصحابه)** [4] **.**

ووصــف ابـــن العمـــاد الحنبلي نهايـــة الأمير شمس الملوك فقال (ولـــى دمشــق بعــد ابيـــه وكـــان وافـــر الحرمة موصوفا بالشــجاعة كثيـــر الاغـــارة علـــى الفرنـــج اخذ منهم عدة حصون وحصـــار اخـــاه

---

[1] الوافي بالوفيات ،ج9، ص 99-100 .

[2] الكواكب الدرية ، ص111 .

[3] مفرج الكروب ،ج1، ص59 .

[4] العبر ، ج5، ص78 .

ببعلبك مـــــدة،وكـــــان ظالما مفسدا ورتبت امـــــه زمرد خاتون [1] وثب عليه

في قلعة دمشق من ربيع الأول وكانت دولته نحو ثلاث سنين) [2] .

بعد مقتل شمس الملوك في ربيع الأول سنة 529هـــ/1135م تولى اخوه الأمير شهاب الدين محمود بن بوري (ت593هـــ/1139 م) ، وقد وصفه كل من سبط بن الجوزي وابن تغري بردى بسوء السيرة فقالا عنه : (فلما ولى دمشق وساءت سيرته استوحش منه جماعة من امرائه فانفقوا على قتله مع يوســـف الخادم والبتش الأرمني وكانا ينامان حول سريره ساعدهما فيه عنبر الفـــراش الخركاوي على ذلك) [3].

ووصفه ابن شاكر الكتبي بأنه فاقد السلطة وواقع تحـــت وصـــاية امـــه الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون (ت557هـــ/1162م) والأمير معين الدين انـــر

---

[1] صفوة الملك زمرد خاتون (557هـــ/1162م) : من اهل العلم والتقوى والصلاح وقد اثنى عليها سبط ابن الجوزي قائلا (زمرد خاتون بنت جاولي اخت الملك دقاق بن تاج الدولة بن الب ارسلان (من امه فقط) وام شمس الملوك إسماعيل وشهاب الدين محمود ابني بوري بن طغتكين قرأت القران علي ابي محمد بن طاوس وابي بكر القرطبي وســـمعت الحديث من نصر بن إبراهيم المقدسي وكانت محبة للعلماء واهل الخير حنفية المذهب) : مراة الزمان ،ج8، ق1 ، ص422 ، واثنى عليها ابن كثير قائلا (وقد كانـــت قـــرت القران وسمعت الحديث وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصـــالحين وقـــد تزوجهـــا الاتابك زنكي طمعا في ان يؤخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك بل ذهبت اليه ثـــم عـــادت إلى دمشق بعد وفاته وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز وجاورت مكة ســـنة ثم جاءت فاقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت فيها ودفنت بالبقيع من هـــذه الســـنة (557) وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم) : البداية والنهاية ، ج2، ص131 .

[2] شذرات الذهب ،ج4، ص89 .

[3] مراة الزمان ، ج8، ق1، ص171 ؛ النجوم الزاهرة ،ج2، ص224 .

(ت544هـ/1149م) فقال : (محمود بن بوري بن طغتكين شهاب الدين صاحب دمشق ولى بعد اخيه وكانت امه زمرد خاتون هي الكل فلما تزوجها الاتابك زنكي سارت إلى حلب فقام بتدبير الأمور معين الدين انر الطغتكين) [(1)] وتحكم الأمير معين الدين انر بشؤون دمشق بعد رحيل الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون إلى حلب واستطاع ان يفرض نفسه على ساحة الأحداث ببلاد الشام بما قام به من اعمال جليلة استطاع من خلالها الحفاظ على استقلال دمشق بعد الضعف الذي أصاب أسرة طغتكين في أعقاب مقتل الأمير شمس الملوك إسماعيل ومجيء اتابكة ضعاف [(2)] .

وقد اثنى المؤرخون على الأمير معين الدين انر فقال عنه ابن الأثير (كان الحاكم والمدير للبلد والعسكر وكان عاقلا خيرا حسن السيرة جمع العسكر وحفظ البلد) [(3)]- ، واشاد به ابن شاكر الكتبي وقال عنه :(معين الدين انر بن عبد الله مملوك اتابك طغتكين وإلى دمشق وصاحب امرها نيابة عن اولاد طغتكين وكان كفؤا صالحا عادلا كافا للمظالم متجنبا للمأثم محبا للعلماء والفقراء اوقف اوقافا كثيرة على أبواب البر وبذل مجهوده في حفظ بيت أولاد سيده طغتكين) [(4)] واثنى عليه الذهبي فقال : (مقدم عسكر دمشق ومدبر الدولة كان عاقلا سائسا حسن الديانة ظاهر الشجاعة كثير الصدقات) [(5)] .

---

(1) عيون التواريخ ، ج12، ص303 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج1، ص265 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص58؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص353 .

(3) الباهر ، ص82 .

(4) عيون التواريخ ، ج12، ص430 .

(5) سير اعلام النبلاء ،ج14،ص 235 .

بعد مقتل الأمير شهاب الدين محمود سنة 533هـ/1139م ، تولى اخوه الأمير جمال الدين محمد الحكم في دمشق وقد اختلف فيه أقوال المؤرخين ، فمنهم قال عنه أنه كان عادلا [1] بينما يرى البعض الاخر بانه كان ظالما [2] ، تحكم الأمير معين الدين انر في دمشق في عهد الأمير جمال الدين محمد وعندما توفى الأمير جمال الدين محمد شعبان سنة 534هـ/1140م ، استدعى الأمير معين الدين انر ابنه الأمير مجير الدين ابق وأجلسه مكان ابيه على عرش دمشق [3] وكان مجير الدين ابق فاقد للسلطة كأبيه وعمه والأمير معين الدين أنر هو الحاكم الفعلي لدمشق [4] .

وعندما توفى الأمير معين الدين أنر استبد الأمير مجير الدين ابق بالسلطة[5]. وانتهج سياسة الظلم ، ضد اهل دمشق مما ادى إلى تدهور وسوء

---

[1] فقد قال عنه ابن شاكر الكتبي (فكانت ولايته سنة واحدة وكان حسن السيرة قليل الظلم فحزن الناس لموته) عيون التواريخ ، ج12، ص 354 .

[2] وقال عنه الذهبي وابن العماد الحنبلي (كان ظالما سيء السيرة ولي دمشق عشرة اشهر ومات في شعبان واقيم ابنه صبي مراهق).العبر ،ج4،ص130 ؛شذرات الذهب،ج4، ص124 .

[3] ابن واصل : مفرج الكروب ،ج1، ص58.

[4] فقال ابن الاثير : (معين الدين انر نائب صاحب دمشق وكان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة امير لامعنى لها) : الكامل ،ج9 ، ص364؛ ووافقه ابن واصل فقال : (اخر من ملك من بيت ظهير الدين اتابك طغتكين الأمير مجير الدين بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن طغتكين وكان القيم بأمره معين الدين انر مملوك جده وكان الحكم له وليس لمجير الدين الا الاسم) : مفرج الكروب ،ج1، ص126 .

[5] وصف لنا المؤرخ الذهبي فترة حكم الأمير مجير الدين ابق وصفا موجزاً فقال (ابق الملك الملك المظفر ابو سعيد مجير الدين ابق صاحب دمشق وابن صاحبه جمال الدين محمد بن تاج الملوك التركي ولد ببعلبك في امرة ابيه ولى دمشق بعد خمسة عشرة سنة وكان المدبر لدولته أنر فلما مات انبسطت يد ابق ودبر الامور ابو الفوارس المسيب بن علي بن

في العلاقة بينه وبين اهل دمشق ووصف لنا ابن كثير هذه العلاقة فقال : (انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها مجير الدين ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ومحاصرة العامة له في القلعة مع وزيره مؤيد الدين بن الصوفي [1]وتغلب عطاء[2] على المملكة وكان الناس يدعون ان يبدلهم بالملك نور الدين) [3].

ووصف لنا ابن تغرى بردي كراهية اهل دمشق له فقال : (ملك نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد دمشق من الأمير مجير الدين ابق وساعده في ذلك بعض اهل دمشق على مجير الدين المذكور لزيادة ظلمه ومصادراته للناس فلما تحرك نور الدين وافقه اهلها لما في نفوسهم من مجير الدين ابق). [4]

لقد استطاعت الأسرة الطغتكينية في اول عهدها لحكم دمشق ان تقوم بأعمال جليلة أرضت أهل دمشق عنها وقد مكنتها علاقتها المربحة بأهل دمشق

الصوفي ثم غضب عليه وابعده إلى صرخد واستوزر اخاه ابا البيان حيدرة ثم قدم عطاء من بعلبك وقدمه على العسكر لم قتل عطاء ولما انفصل عن دمشق توجه إلى بالس ثم إلى بغداد) العبر ، ج4، ص 185-186 .

[1] مؤيد الدين بن علي الصوفي وزير الأمير مجير الدين ابق وكان اهل دمشق يكنون له الكراهية بسبب ظلمه وقال عنه الذهبي (مؤيد الدين وزير صاحب دمشق ابق كان ظالما غشوما فرح الناس بموته) : العبر ، ج4، ص148 .

[2] عطاء بن حفاظ السلمي من أمراء دمشق الذين اعتمد عليهم الأمير مجير الدين ابق في ادارة شؤون الحكم وكان يتميز بالشجاعة والشهامة والتدبير ولكنه يتصف بالظلم والقسوة . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص232 .

[3] البداية والنهاية ، ج12 ، ص 231 .

[4] النجوم الزاهرة ، ج5، ص318 .

من بسط نفوذها فيها بدون منافس ، ولم تستطيع هذه الأسرة ان تحـافظ علـى هذه العلاقة بالرعية في اخر عهدها ، فقد تعرضت منزلتها إلى هزة عنيفة اتـت على ما بقى لها من مكانة مرموقة في فترة حكم الأمير مجير الدين ابق الـذي عامل الناس بالظلم فما كان منهم الا التخلي عنه ، فقد أضاع المجد الذي صنعته اسرته طوال ايام حكمها ، يوم ان وقف أهل دمشق مرحبين بالملك العادل نـور الديـن محمود بن زنكي الذى استولى على مدينة دمشق سنة 549هـ/1154 م [(1)]

رابعاً : علاقة اتابكية دمشق بالخلافتين العباسية والفاطمية .

في الوقت الذي ظهرت فيه اتابكية دمشق سنة 497هـ/1104 م ، كـان العالم الإسلامي تتقاسمه خلافتان هما الخلافة العباسية فـي بغـداد والخلافـة الفاطمية في القاهرة [(2)]، وكانت اتابكية دمشق توالى الخلافة العباسية وكان اسم الخليفة العباسي يذكر على منابر وينقش على السكة والنقود قيل اسم السـلطان السلجوقي [(3)] ، وترجع أسباب مولاة دمشق للخلافة العباسية إلى عدة امور منها

[(1)] الباز العريني ، الشرق الأوسط ، ج1 ، ص598-599 .

[(2)] محمد بن أياس الحنفي (ت 930هـ/1534م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبعـة بولاق ، (مصر ، 1311هـ) ، ج1 ، ص46 ؛ العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص179 .

[(3)] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص310 ؛ سبط بن الجوزي : مـرآة الزمـان ، ج8 ، ق1 ، ص206 .

1- ان اتابكة دمشق كبقية الأتراك كانوا من المسلمين السنة الحنفية الذين يعتقدون بوجود الولاء للخليفة العباسي باعتباره الزعيم الروحي الأعلى للعالم الإسلامي [1]

2- ان اتابكية دمشق من الناحية الرسمية والسياسة تابعة للسلطنة السلجوقية الموالية للخلافة العباسية فان ولائها للخلافة العباسية يكون نبعا لولاء السلطنة السلجوقية لها [2].

3- ان اتابكية كانوا من السنة الحنفية ومن اجل هذا التوافق المذهبي والو الخلافة العباسية [3].

ولم تقتصر العلاقات بين اتابكية دمشق والخلافة العباسية على إظهار الولاء وذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة والنفوذ بل تطورت إلى تبادل المراسلات وإرسال المبعوثين وتبادل الهدايا بينهما وكانت دمشق تسعى من خلال توطيد العلاقة مع الخلافة العباسية إلى كسب ودها والحصول على شرعية حكمها من الخليفة العباسي ، وكانت الخلافة العباسية من جانبها تسعى إلى توثيق العلاقة بما يخدم مصالح الطرفين [4].

---

(1) الذهبي : العبر ، ج4 ، ص51 ؛ الريحاوي : مدينة دمشق ، ص18 .

(2) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص219 ؛ خليل : عماد الدين زنكي ، ص122 .

(3) عز الدين عبد الله محمد بن ابراهيم الحلبي (648 هـ/1248م) : الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة وتاريخ دمشق : تحقيق الدكتور سامي الدهان (دمشق 1282) ،ج2، ق1، ص81؛ ابو عبد الله محمد بن إبراهيم الاواني المعروف بابن بطوطة (ت779هـ/1377م) : تحفة النضار من عجائب الأمصار وغرائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1384-1964م) ص93 .

(4) ومنها ارسال الخليفة العباسي المسترشد بالله (ت529هـ/1135م) مبعوثه إلى دمشق لمقابلة الأمير شمس الملوك إسماعيل (ت529هـ/1135م) سنة 528هـ/1134م؛ ابن

ورغم تبعية الاتابكية للخلافة العباسية وولائها ورغم العداء السياسي بين الخلافتين العباسية والفاطمية فانهما لم يمنعا من اقامة علاقات ودية بين القاهرة ودمشق بل كانت كل منهما تسعى إلى الحفاظ على هذه العلاقات وتوثيقها فقد كانت دمشق تسعى من وراء هذه العلاقات إلى توحيد الصف الإسلامي ضد الفرنج[1] ، وكانت القاهرة تسعى إلى تحسين العلاقات مع دمشق بسبب تعرضها إلى غط الفرنجة من الخارج والاضطرابات السياسية من الداخل [2].

وتطورت العلاقات بينهما وكان من مظاهر تطو هذه العلاقة تبادل المراسلات والهدايا عن طريق مندوبين من قبلهما [3]ولم تؤثر الأحداث التي

القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص244. وارسال الأمير معين الدين أنر (ت544هـ/1149م) مبعوثه الحاجب محمود المسترشد سنة 542هـ/1147م إلى بغداد لمقابلة الخليفة العباسي المقتفي بامر الله (ت555هـ/1160م) والسلطان السلجوقي مسعود بن محمد ملكشاه (547هـ/1152 م) : ذيل تاريخ دمشق ، ص 293-294 .

(1) عاشور الحركة الصليبية ،ج1، ص503 .

(2) ابن الصيرفي : الاشارة ، ص60 ؛ غريغوس بن هارون الملطي الملقب بابن العبري (ت685هـ/1286م) : تاريخ مختصر الدول ، طبع الاب انطوان صالحاني اليسوعي المطبعة الكاثولوكية للاباء اليسوعيين ، (بيروت ، 1890م) ، ص362؛ صابر محمود ذياب (الدكتور) ؛ سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني إلى نهاية العصر الفاطمي ، عالم الكتب ، (القاهرة ، 1972م) ، ص275 .

(3). منها ارسال الأتابك طغتكين مبعوثه الحاجب علي بن حامد إلى القاهرة سنة 517هـ/1123م لمقابلة الخليفة الفاطمي الامر باحكام الله (ت525هـ/1130م) ،ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص210 ؛ محمد بن يوسف بن جلب بن ميسر (ت677هـ/1278 م) : تاريخ اخبار مصر ، اعتناء وتصحيح هنري ماسية مطبعة المعهد اعلمي الفرنسي ، (القاهرة ، 1919 م) ، ج2، ص63؛ وارسال الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (ت545هـ/1149م) الأمير وثاب بن مسافر الغنوي إلى دمشق سنة527هـ/1133م يحمل الهدايا إلى الملك شمس الملوك إسماعيل (ت529هـ/1135م

وقعت في بلاد الشام على تطور العلاقات بين القاهرة ودمشق كقيـــام الأســـطول المصري باستيلاء على مدينة صور والقبض على واليها مسعود بن السلار دون علـــــــم الأتابك طغتكين سنة 516هــ/1122م [1] ، وقيام الأمير تاج الملـــوك بوري (ت526هــ/1132م) بالقضاء على الإسماعيلية الموالية للخلافة الفاطمية سنة 523هــ/1139م [2].

ولجوء الوزير المصري رضـــوان بـــن ولخشـــي إلـــى دمشـــق ســـنة 533هــ/1139م بسبب حدوث المشاكل بينه وبين الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (ت545هــ/1149 م) واكرام الأمير معين الدين انر له [3] ولجـــوء الأميـــر اسامة ابن منقذ والوزير ابو المكارم محسن وزير الأمير مجير الدين ابق إلـــى

): ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشـــق ، ص 239-240 ، وارســـال الخليفـــة الفـــاطمي الحافظ لدين الله ايضا إلى دمشق سنة 542هــ/1147م مبعوثه إلى الملك مجيـــر الـــدين ابق (ت564هــ/1169م)ونائبه الأمير معين الدين انر (ت544هـــ/1149م) حـــاملا اليهما الهدايا . ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ، ص295؛ ابن ميسر : تـــاريخ اخبـــار مصر ، ج2، ص87 .

(1) ابن الاثيـــر : الكامـــل ، ج9، ص250؛ ابـــو بكـــر عبـــد الله بـــن ايبـــك الـــداواداري (ت732هــ/1364م) : الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (القـــاهرة ، 1380- 1960م) ، ص516 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم، ج10، ص3؛ عاشـــور : العلاقـــات بـــين الشـــرق والغـــرب ، ص349.

(3) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص216؛ ابن ميســـر : تـــاريخ أخبـــار مصـــر ،ج2 ص135 .

القاهرة سنة 539هـ/1145م واكرام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله والوزير طلائع بن زريك لهما [1] .

ولم تحاول كل الاتابكية والدولة الفاطمية استخدام هذه الأحـداث وسـيلة لأثاره المشاكل والاضطرابات بينهما بل تجاوزاها ، هذا يدل دلالة واضحة علـى ان كل منها يسعى على الحفاظ على هذه العلاقات بما يخدم أهداف الطرفين .

---

[1] أسامة ابن منقذ : الاعتبار ، ص136؛ ابن شاكر الكتبي : عيـون التـواريخ ،ج12، ص 385-386 ؛ جمال الدين الالوسي : أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية ، مطبعـة اسعد ، (بغداد ، 1387-1967) ، ص35 .

الفصل الثاني:

الأوضاع الداخلية في دمشق في عصر الاتابكية :

شهدت دمشق في اغلب عهود الاتابكية استقرارا داخليا بسبب السياسة الحكيمة التي كان عدد من اتابكة دمشق ينتهجونها واكثر هذه الحقب التي شهدت الاستقرار فيها كانت في عهد الأتابك طغتكين (533-522هـ/ 1104-1128 م) وعهد الأمير معين الذين اثر (533-541هـ/1138-1149م) ومع وجود هذا الاستقرار فان دمشق في عهد الاتابكية شهدت اضطرابات ومشاكل عديدة منها .

أولاً : الخلافات بين الاتابك طغتكين واسرة تاج الدولة تتش .

عند وفاة الأمير دقاق سنة 497 هـ /1104 م استولى الاتابك طغتكين على الحكم في دمشق بعهد من الأمير دقاق بالوصاية على ابنه الصغير تتش الذي كان يبلغ من العمر سنة ، فحكم الاتابك طغتكين دمشق باسمه وخطب له على المنابر، [1] فتحركت أطماع الملك رضوان ملك حلب نحو دمشق وكانت لديه الرغبة في امتلاكها ففرض عليها الحصار ثم رفعه نتيجة حدوث الاضطرابات في حلب ،فاعترف الاتابك طغتكين بتبعية دمشق للملك رضوان بذكر اسمه في خطبة الجمعة ونقشه على النقود[2] .

استمر الاتابك طغتكين يحكم دمشق باسم الطفل تتش بن دقاق إلى ان قطع خطبته في شهر ذي الحجة سنة 497هـ/1105م ، واستدعى الاتابك طغتكين عم الطفل الأمير التاش بن تاج الدولة تتش الذي يبلغ من العمر اثنا عشر سنة من بعلبك وخطب له بدلا من ابن أخيه الطفل تتش بن دقاق ولكن العلاقة بين الاتابك طغتكين والأمير التاش بن تاج الدولة تتش تتميز بالشك والريبة بسبب وقوع الأمير التاش تحت تأثير امه التي كانت تثير الشكوك والمخاوف له من الاتابك

---

[1] ابو الفداء : المختصر ، ج2 ، ص219؛ ابن الوردي : المختصر ، ج2 ، ص21، بدران تهذيب تاريخ دمشق ، ج7، ص71 ؛ الخضري : محاضرات ، ج2، ص454 .

[2] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2 ، ص150؛ الصفدي : أمراء دمشق ، ص33 .

طغتكين الذي كان متزوج من ام الأمير دقاق جدة الطفل تتش بن دقـاق والـذي كان الاتابك طغتكين يميل أليه إرضاءً لجدته [1].

اقترح الاتابك طغتكين على الأمير التاش الذهاب إلى الرحبة [2] فخرج من دمشق متوجها نحوها فاحتلها ، وعندما أراد الرجوع إلى دمشق منعه الاتابـك طغتكين من دخولها فقطع خطبته في شهر محرم سنة 498هـ/1105 م ، واعاد الخطبة إلى الطفل تتش بن دقاق الذي توفى بعد ذلك ، فاستقامت الأمور للاتابك طغتكين الذي اصبح سيد دمشق بلا منافس وهكذا انتهى حكم اسرة تاج الدولـة تتش في دمشق ليحل محله حكم أسرة طغتكين [3] ، وتوجه الأمير التاش إلـى بعلبك وتحالف مع امير بصرى ايتكين الحلبي الذي التحق به فارسلا إلى الملـك بلدوين الاول (ت511هـ/1118م) ملك بيت المقدس طالبين المسـاعدة منـه فاستجاب لهما فاضطرا إلى ترك بعلبك عندما خذلهما ملك بيت المقدس فلم يوف بما وعد لهما من تقديم المساعدة ، فسار بعد ذلك الأتابك طغتكين إلـى مدينـة بصرى وفرض عليها الحصار وطلب منه أعوان الأمير ايتكـين الحلبـي مهلـة لتسليم المدينة أليه فوافق على إعطائهم إياهـا فتسـلم المدينـة مـنهم سـنة 499هـ /1106 م [4].

ثانياً : دعوة الأتابك طغتكين للأمير سقمان بن ارتق 1105/498

تعرض الأتابك طغتكين إلى مرض كاد يؤدي به إلى الموت وقد خاف على دمشق ان تسقط بيد الفرنجة بعد موته فارسل إلى الأمير سقمان بن ارتق أميـر

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، ج9 ، ص74 ؛ الذهبي : العبر ، ج3، ص 347 ؛ ابـن خلـدون : العبر ، ج5، ص123 .

(2) الرحبة : مدينة على شاطئ الفرات تقع بين الرقة وبغداد . ياقوت : معجم البلـدان ، ج3، ص34 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 145 ؛ الصفدي : أمراء دمشق ، ص145 .

(4) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج8،ق1، ص11 ؛ ابن الوردي : تتمـة المختصـر ، ج2، ص21 .

ماردين [1] ، وطلب منه المجيء إلى دمشق والاعتماد عليه في حمايتها ولبى الأمير سقمان بن ارتق هذه الدعوة مسرعا ووصل إلى القريتين شمال دمشق ،وعند وصوله أليها ندم الأتابك طغتكين وانتقده أمراءه ورجال دولته [2] على اتخاذ هذا القرار فانه لم يقدر خطورة القرار الا بعد وصول الأمير سقمان إلى القريتين[3].

وتكمن خطورة هذا القرار بان من نتائجه ضياع دمشق وسقوطها بيد الاراتقة [4] ونهاية حكم الأتابك طغتكين واسرته وقد تشاور مع رجال دولته في البحث عن حل ينفذهم من هذا الموقف المحرج والصعب الذي وقعوا فيه وفي اثناء ذلك وصلهم خبر موت الأمير سقمان بن ارتق سنة 498هـ /1105م. وبهذا تخلصت دمشق من السقوط بيد الاراتقة وتنفس طغتكين ورجال دولته الصعداء فاستمر حكمه وحكم اسرته في دمشق [5] .

---

[1] ماردين : حصن يقع في بلاد الجزيرة قرب نصبيين ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص279 .

[2] وقالوا له { اذا وصلت الأمير سكمان بن ارتق واخرجتها من يدك كيف يكون حالك وحالنا او ليس عرفت نوبه اتسز لها استدعى السلطان تاج الدولةبن البارسلان وسلم أليه دمشق كيف بادر باهلاكه ولم يمهله ولا أهله } ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص150 .

[3] ابن الاثير : الكامل ، ج9، ص82 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، ص125 .

[4] الاراتقة : اسرة تركية يرجع اصلها إلى الأمير ارتق بن اكسب (ت484هـ/1091م) وهو من الأمراء الذين خدموا السلاجقة وكان واليا على بيت المقدس من قبل الملك تاج الدولة تتش ابن الب ارسلان (ت488هـ/1095م) وبعد وفاه الأمير ارتق ورثه ولداه سقمان وايلغازي في حكم بيت المقدس وبقيت بأيديهم إلى ان سقطت بيد الفاطميين سنة 491هـ /1097م، فرحلا إلى الجزيرة الفراتية واستوليا على ديار بكر فكونا أمارة في ماردين وحض كيفا ، وقد استولى الاراتقة فيما بعد على حلب سنة 511 هـ/1118م بعد انقراض اسرة حكم تاج الدولة تتش فيها . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج1، ص171 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص150 ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج9، ص83 .

ثالثاً :تمرد الأمير كمشتكين التاجي سنة 503هـ/1109 :

تعد مدينة بعلبك من المدن المهمة في اتابكية دمشق وكان الوالي عليها الأمير كمشتكين التاجي وكان يحكمها نيابة عن حاكم دمشق ولكنه أعلن العصيان ضد حكومة دمشق سنة 503هـ/1109م ، وتحالف مع الفرنجة مشجعا لهم الهجوم على المناطق الحدودية التابعة لدمشق [1]، كما أرسل أخاه الأمير بايتكين الخادم إلى بغداد لتحريض السلطان محمد بن ملك شاه (511هـ /1118م) ضد الأتابك طغتكين وإثارة العداوة الكراهية بينهما [2]

فارسل الأتابك طغتكين فرقة من العسكر للقبض عليه ، غير أنها لم توفق في مهمتها ، ثم كتب إلى ابنه الأمير تاج الملوك بوري (ت526هـ/1132م) يأمره بالتوجه إلى بعلبك لفرض الحصار عليها وارسل إلى الأمير كمشتكين التاجي يطلب منه الدخول في الطاعة ولكنه رفض وكان نتيجة ذلك وقوع القتال بينهما ودخل تاج الملوك بوري المدينة بعد الحاقه الهزيمة بقوات الأمير كمشتكين التاجي ، الذي ارسل إلى الأتابك طغتكين فعفا عنه واخذ مدينة بعلبك منه[3]

رابعاً : ثورة اهل تدمر سنة 520هـ/1126م.

دخلت تدمر تحت طاعة الأتابك طغتكين وانظمت إلى اتابكية دمشق سنة 502هـ/1108م وولى عليها ابن اخيه وبقى يحكمها إلى ان ثار عليه جماعة من اهل تدمر تمكنوا من السيطرة عليها سنة 520هـ/1126م ، فأرسل إليهم الأتابك طغتكين حملة عسكرية استطاعت استعادتها في السنة نفسها ، [4] فولى

---

[1]عزالدين ابوعبدالله محمدبن علي بن ابراهيم المعروف بابن شداد (ت 648هـ/ 1248م): الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والأردن فلسطين) تحقيق سامي الدهان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1961 ، ج2، ص57 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص166 .

[3] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ص57 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص214-215؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج8، ق1، ص15 .

عليها حفيده الأمير شهاب الدين محمود بن بوري (ت533هـ/1139م) بعد عزل واليها السابق وبقى يحكمها حتى سنة 529هـ/1135م [1] .

خامساً :مؤامرة الباطنية في دمشق وموقف تاج الملوك منها .

لعبت الباطنية الإسماعيلية دورا خطيرا في التاريخ الإسلامي عبر مراحله المختلفة ونسبت هذه الفرقة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق(ت145هـ/763م) ونجحت في إقامة الدولة الفاطمية (296-567هـ/910-1173م) ، كما انتشر دعاتها في مناطق واسعة من العالم الإسلامي وظلت الدولة الفاطمية تتزعم الدعوة الإسماعيلية حتى وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت 477هـ/1093م) وبعد وفاته انقسمت الدعوة الإسماعيلية مستعلية في مصر ونزارية في الشام وخراسان [2] .

ظهر نشاط الإسماعيلية أثناء الحروب الصليبية بشكل واضح فوجدوا في الملك رضوان بن تاج الدولة تتش خير من تعاون معهم وكان يستخدمهم في تصفية خصومه ، وقد رحب بدعاتهم كالحكيم المنجم وابي طاهر الصائغ وهما اول من اظهر معتقد الباطنية في بلاد الشام وقد تضايق أهل حلب وعلمائها واعيانها من وجود الباطنية ولكن خوفهم من الملك رضوان الذي كان يوفر الحماية لهم واستخدامهم القتل لتصفية خصومهم جعلهم يحجمون عن إظهار تذمرهم [3].

تعرض الباطنية إلى التصفية والقتل بعد موت الملك رضوان سنة 507هـ/1113م ، على يد ابنه الملك الب ارسلان (ت508هـ/1114م) ، وكان

---

[1] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص279 .

[2] الفارقي : تاريخ ميافارقين ، ص267-268؛ تقي الدين المقريزي (ت845هـ/1446م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1367هـ- 1948م ، ص 283-284 ؛ ذياب : سياسة الدولة الإسلامية ، ص550 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص189 .

مصير دعاة الباطنية القتل والحبس والتشريد وهرب الكثير منهم من حلـــب[1] ، ولكنهم عادوا أليها مرة أخـــرى بعـــد ترحيـــب الأميـــر ايلغـــازي بـــن ارتـــق (ت516هـ/1122م) بالداعية الإسماعيلي بهرام الباطني الذي هرب من بغـداد بعد مقتل خاله إبراهيم الاسترابادي على يد السلاجقة واحتضنه واسـكنه حلـب وعندما شعر بكراهية أهلها له توجه إلى دمشق بدعوة من الأتابك طغتكين بناء على اقتراح من الأمير ايلغازي وسكن هو واتباعه فيها [2]

ووجد الباطنية الرعاية والحماية من الأتابك طغتكين[3] كما انهم تمكنـــوا من استمالة وزيره أبي علي المزدقاني الذي اصبح من اشد أنصارهم وعنـــدما شعروا بكراهية أهل دمشق لهم طلبوا من الأتابك طغتكين مكانا يلجئـــون أليـــه فسلمهم مدينة بانياس سنة 520هـ/1126م) واستقروا بها وحصنوا قلعتهـا واخذوا يرسلون منها دعاتهم لكسب الأنصار والاتباع[4].

وقوى نفوذ الإسماعيلية في دمشق [5]، بحيث لـــم نجـــد مـــن يســـتطيع الاعتراض على أعمالهم [6]وقد تضايق الأتابك طغتكين في أواخر أيام حكمه من

---

[1] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص48؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص16 .

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص215.

[3] فقد انتقد المؤرخ الذهبي الأتابك طغتكين على استضافته هذا الداعية الباطنية بهـــرام فقـــال (وكان طغتكين سيفا مسلولا على الفرنج ولكن لـــه خرمـــه كـــان قـــد اســـتفحل بـــداعي الإسماعيلية بهرام بالشام) : سير أعلام النبلاء،ج14،ص434.

[4] الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج14،ص434.

[5] الذي اصبح قويا بسبب الحماية التي يوفرها لهم الأتابـــك طغتكـــين ووزيـــره المزدقـــاني وتضايق اهل دمشق منهم وخاصة العلماء والاعيان ولكن خوفهم مـــن الأتابـــك طغتكـــين ووزيره المزدقاني اللذان يوفران الحماية لهم وعنف وسائلهم ووحشية انتقامهم يمنعهم من إظهار استنكارهم لاعمال الباطنية . ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية،ص95.

[6] ابن الأثير،الكامل،ج9،ص250.

تصرفاتهم واعمالهم[1]ولكن وفاته في شهر صفر 522هـ/ شباط1128 م حالت دون اتخاذ أي أجراء ضدهم[2]وعندما تولى الأمير تاج الملوك بوري الحكم بعد أبيه اخذ يعد العدة للقضاء عليهم ،[3]ولكنه أبقى وزير أبيه أبا علي المزدقـاني الذي كان شديد التعاطف مع الباطنية والذي واصل حمايتهم فازداد شرهم حتـى اصبح يشكل خطراً كبيراً على حكم الأمير تاج الملوك بوري نفسه ويهدد الأمن والاستقرار داخل دمشق فاخذ يعمل على التخلص منهم والقضاء عليهم [4]

وكانوا كثيراً ما يثيرون المشاكل داخل دمشق ومنها النزاع الـذي حـدث بين أهل وادي اليتم في البقاع وبين بهرام الذي غدر ببرق بن جندل أحد أعيان وادي التيم وقتله دون سبب، وقد اثارهذا الفعـل الغـادر الشـنيع أهـل وادي التيم.فخرجوا بقيادة أخيه الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم للمطالبة بثـاره والانتقام من قاتله فوقعت بينهما معركة انتهت بهزيمة الباطنية ومقتل زعيمهم إضافة إلى قتل عددا كبيراً منهم[5] .

بعد مقتل بهرام عين الوزير المزدقادني داعية اخر هو ابو الوفاء وكـان هذا الداعية يتمتع بنفوذ قوي وسلطة واسعة فاق ما تمتع به الأمير تاج الملوك

---

(1) ومد وصف ابن القلانسي هذه الحاله فقال(اذ شرعوا في قتل من يعاندهم ومعاضـدة مـن يؤازرهم على الضلال ويرافدهم بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولاوزير ولا يفل حد شرهم متقدم ولا امير) : ذيل تاريخ دمشق، ص215.

(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج14،ص434.

(3) قد وضح ذلك ابن القلانسي فقال(وقد كان اسر في نفسه من أمر الباطنية ما لم يبده لاحد من خواصه وثقاة بطانته عندما قويت شوكتهم وتضاعفت مضرتهم اتباعا لما كـان عليـه ابوه من إظهار الرعاية لهم والمداراة لدفع شرهم)،ذيل تاريخ دمشق،ص220.

(4) ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية ،ص95؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق، ج3، ص299

(5) ابو الفداء : المختصر ،ج3،ص2؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ،ج14، ص434؛ابن شـاكر الكتبي : عيون التواريخ ،ج12،ص197.

بوري من سلطة ونفوذ ، وفي الوقت نفسه عين الداعية الباطني إسماعيل العجمي واليا على بانياس خلفاً لبهرام[1] .

لم يتوقف نشاط الإسماعيلية عند هذا الحد بل بلغ الأمر بهم إلى التعاون والتحالف مع الفرنجة ضد المسلمين ، فقد عرض المزدقاني على ملك بيت المقدس بلدوين الثاني (ت 525هـ/1130م) تسليم دمشق مقابل أعطاه صور للإسماعيلية مكانها فوافق الملك بلدوين الثاني على هذا العرض وتم الاتفاق بين الإسماعيلية والفرنجة على ان يكون تنفيذ هذه الخطة يوم الجمعة حين يكون الناس داخل المساجد فيغلقون أبوابها عليهم في أثناء الصلاة وفي الوقت نفسه يفتحون أبواب دمشق وقلعتها أمام الفرنجة وبهذه الطريقة تسلم دمشق اليهم [2]

ولكن هذه المؤامرة انكشفت قبل تنفيذها فقرر الأمير تاج الملوك بوري انزال العقوبة بهؤلاء المتآمرين[3] ، ووصل إلى سمع إسماعيل العجمي واتباعه ما حدث للمزدقاني وإخوانهم من قتل وإبادة في دمشق فوقع الخوف والهلع في صفوفهم وانتشر الذعر بينهم واعتقدوا بان عقاب الأمير تاج الملوك بوري سينالهم كما نال إخوانهم فأرسلوا إلى الفرنجة يعرضون عليهم تسليم مدينة بانياس اليهم مقابل حمايتهم فأخذها الفرنجة فدخلوها وغادر إسماعيل العجمي واتباعه المدينة راحلين نحو المدن الواقعة تحت سيطرة الفرنجة وكانوا على

---

(1) ابن الاثير : الكامل، ج9،ص250؛ابن خلدون، العبر،ج5،ص156؛ كرد علي : خطط الشام،ج2،ص3-4.

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص215 ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج2، ص136 .

(3) فامر تاج الملوك بوري بقتل الوزير المزدقاني فقطع راسة وعلقه على قلعة دمشق ليكون عبرة لغيره من الخونة ، فامر بقتل الباطنية وقد فرح اهل دمشق بذلك فقتلوا منهم حولي ست الاف إسماعيلي وهكذا تخلصت دمشق من المؤامرة التي كادت تقضي على استقلالها وتوقعها تحت سيطرة الفرنجة ، ابو الفداء : المختصر، ج3، ص3 ؛ الداواداري : الدرة المضية ، ص503؛ مصطفى غالب : تاريخ الدعوى الإسماعيلية منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، ط2،بيروت،دار الأندلس ، 1961 ، ص267-268 .

غاية من الذل والهوان وتوفي بعد ذلك إسماعيل العجمي في شهر محرم ســنة 524هـ /1130م ودفن في بانياس [1]

الا ان الباطنية لم ينسوا لتاج الملوك بوري ما فعله بهم في دمشق ســنة 523هـ/1129م ، فأرسلوا اثنين من رجالهم للتخلص منه فتعرض إلى محاولة اغتيال في جمادى الآخر سنة 525هـ/1131م ، وقد اخفقا في تحقيق هــدفهما في قتله فورا وتوفى بعد فترة وجيزة متأثرا بجراحه [2] .

سادساً :الاضطرابات في دمشق في عهد شمس الملوك(526 529هـ/1132-1125م) :

تولى الأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري (ت529هـ/1135م) بعد وفاة ابيه الأمير تاج الملوك بوري (ت526هـ/1132م) وفي بداية حكمه كــان الوضع مستقرا فا شاع العدل بين الرعية ورفع المظالم وابقى وزير ابيه عبــد الرزاق المزدقاني (ت530هـ/1136م)[3] واعتمد على الحاجب يوسف بن فيروز (ت 530هـ/ 1136م) حاجب ابيه وفوض اليه تدبير المملكة [4]

ورغم الاستقرار الذي شهدته دمشق في بداية فترة حكم الأمير شمس فقد وقعت فيها بعض المشاكل الداخلية كالنزاع الذي وقع بين الأمير شمس الملــوك إسماعيل واخيه جمال الدين محمد امير بعلبك حول حصني اللبوة والرأس الذين

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص224 ؛ سبط بن الجوزي : مــرآة الزمــان ، ج8، ق1، ص143 ؛ ابو الفداء : المختصر،ج3، ص3 ؛ كرد علي:خطط الشام ، ج2، ص4 .

(2) الذهبي : سير اعلام النبلاء ،ج14، ص464-465؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، ص156؛ بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج4، ص87؛ بــدران : تهــذيب تــاريخ دمشــق ، ج3،ص299 .

(3) كريم الأمير احمد بن عبد الرزاق المزدقاني (ت 527هـ/ 1133م)وزير الأميــر شــمس الملوك كان محباً للخير متمسكا بالدين مواظباً على قرآة القران حسن الطريقــة مشــكور الأفعال . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص240 .

(4) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص234-235؛ ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص266.

كانا تحت حكم أخيه الأمير جمال الدين محمد فانتزعهما منـــه الأميـــر شـــمس الملوك إسماعيل وهاجم بعلبك نفسها ، لكن الأمير جمال الدين محمد أرسل إلـــى أخاه الأمير شمس الملوك إسماعيل طالبا منه العفو والصفح فعفا عنه وابقاه في امارته سنة 526هـ/1132م [1] ، والنزاع الذي وقع بين الأمير شمس الملوك إسماعيل والضحاك بن جندل رئيس وادي التيم سنة 528 هـ/ 1134م حـــول حصن تيرون المشرف على مدينتي بيروت وصيدا الذي استولى عليه الضـــحاك واعتصم به وتمكن الأمير شمس الملوك إسماعيل من انتزاعه منه [2] .

وازداد الوضع الداخلي في دمشق سوءا بعد تعرض الأمير شمس الملوك إسماعيل إلى محاولة اغتيال باءت بالفشل قام بها احـــد مماليـــك جـــده الأتابـــك طغتكين المدعو (ايليا) سنة 528هـ/1124م حيث نجى منها بأعجوبة وتمكـــن العسكر المرافق للأمير شمس الملوك إسماعيل من اللحاق بهذا المملوك والقبض عليه [3] .

ساءت العلاقة بين الأمير شمس الملوك إسماعيل وبين رجال دولته واخذ يصادر أموالهم وممتلكاتهم ، وحاول ان يتخلص من اقرب المقربين اليه الحاجب يوسف بن فيروز ولكنه هرب إلى تدمر واعتصم بها فتخلص من بطشه[4]، وكذلك تدهورت العلاقة بينـــه وبـــين امـــه الأميـــرة صـــفوة الأميـــر زمـــرد خـــاتون

---

[1] الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج14، ص466 .

[2] سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج8، ق1 ، ص 147 .

[3] عندما عرضوه على الأمير شمس الملوك إسماعيل سأله عن السبب الذي دفعه إلـــى هـــذه المحاولة ، فاجاب قائلا (فلـــــم افعله الا تقربا إلى الله بقتلك وراحه الناس منك لأنك قـــد ظلمت المساكين والضعفاء من الناس والصناع والمتعيشين والفلاحين وامتهنت العســـكرية والرعية) وادعى هذا الملوك اشتراك بعض المماليك معه في محاولة الاغتيال هذه ظلمـــا وعدوانا . بانهم هم الذين حرضوه على قتله فقتلهم شمس الملوك إسماعيل قبل التثبيت من اشتراكهم بها او برائيهم منها ، كما قتل اخاه الامير سونج متهما اياه بانه هو الذي حرص هؤلاء المماليك على قتله ، ابن القلانسي : ذيل تـــاريخ دمشـــق ، ص341–342؛ ابـــن الأثير : الكامل ، ج9، ص272–273 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص344؛ ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص272 .

(ت557هـ/1162م) بسبب قتله ابنها الأمير سونج وهو اخوه الشقيق فقد كـــان ظلمه لرعيته ورجال دولته شديدا[1] .

ولم يتوقف عند هذا الحد ، واستولى عليه الهوس واخـــذ يتصـــرف بـــلا مسؤولية فقد أرسل إلى الأتابك عماد الدين زنكي عارضا عليه تســـليم دمشـــق طالبا منه الإسراع في الوصول أليها مبينا له ان تأخره في استلامها يحمله على تسليمها للفرنجة وانتقل الأميرشمس الملوك إسماعيل إلى مدينـــة صـــرخد [2] حاملا اليها الأموال والسجلات [3]وعندما علم اعيان دمشق بهذا الخبر ذهبوا إلى امه الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون والدة الأمير شـــمس الملـــوك إســـماعيل واقناعها بالوقوف معهم [4] وهناك عدة عوامل دفعت شمس الملوك إلى اللجـــوء إلى هذا الأمر منها .

1.الرغبة في الانتقام من أعيان دمشق ورجال دولته[5] .

2.الخـــوف مـــن رجال دولتـــه الديـــن يســـعون للقضاء عليه والتخلص منـــه بسبب ظلمه [6] .

---

[1] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8 ، ق1، ص148 .

[2] صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق: ياقوت:معجم البلدان،ج3، ص401 .

[3] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص57؛ حسن حبشي : نـــور الـــدين والصـــليبيون ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1948، ص43 .

[4] وذكر ذلك سبط بن الجوزي {فراسلوا (أي اعيان دمشق) : امه زمود خاتون وقالوا لها قد اعتزم على قتلنا وقتلك وغدا يجيء اتابك زنكي يحكم علينا وعليك } : مراة الزمان ،ج8، ق1،ص153 .

[5] وذكر ذلك ابن القلانسي فقال {وكاتب ... الأتابك عماد الدين زنكي ... يبعثه على سرعة الوصول اليه ليسلمها طائعاً ويمكنه من الانتقام من كل يكرهه مـــن المقـــدمين والأمـــراء والأعيان بإهلاكهم واخذ أموالهم وإخراجهم من منازلهم }: ذيل تاريخ دمشق ، ص245 .

[6] وذكر ذلك ابن واصل فقال {ولما استشعر (شمس الملوك) بغض أصحابه فخـــاف مـــنهم راسل عماد الدين يحثه على سرعة الوصول إلى دمشق ليسلمها اليه واخذ مـــن المدينـــة الدفاتر والأموال وحملها إلى صرخد } : مفرج الكروب ،ج1، ص57 .

3.ضعف دولته وخوفه من وقوع دمشق بيد الفرنجة[1] ومن الممكن ان تكون هذه الدوافع مجتمعة هي التي حملت الأمير شمس الملوك إسماعيل علي مراسلة الأتابك عماد الدين زنكي وتسليم دمشق أليه ، وقد توجهت الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون إلى ابنها الأمير شمس الملوك إسماعيل طالبة منه التخلي عن تسليم دمشق[2] إلى الأتابك عماد الدين زنكي لان مبادرته هذه ستؤول إلى القضاء على حكم أسرة طغتكين ، ولما تعذر عليه إقناعها أمرت مماليكها بقتله فقتل يوم الأربعاء 14 ربيع الأول سنة 529هـ/شباط 1135م ، وكان لمقتله اثر كبير في نفوس أهل دمشق فعمت الفرحة بينهم لتخلصهم من ظلمه وجبروته ، وادى مقتله إلى نتيجتين أحدهما عكس الأخر الأولى إنقاذ دمشق من السقوط بيد الأتابك عماد الدين زنكي والثانية ان هذه الأسرة فقدت حكمها الفعلي واصبح حكمها حكما صوريا اذ وقعت تحت وصاية الأميرة صفوة الأمير زمرد خاتون والأمير معين الدين انر بعد مجيء أتابكة ضعاف لحكم دمشق[3].

---

(1) وذكر ذلك ابن خلدون أيضا فقال {كان شمس الملوك قد انحل امره وضعفت دولته واستطال عليه الإفرنج وخشى عاقبة آمرهم فاستدعى الاتابك زنكي سراً ليملكة دمشق ويريح نفسه } : العبر ، ج5، ص230 .

(2) واشار إلى ذلك سبط بن الجوزي فقال { فدخلت أليه امه ولامته وعاتبته وقالت له انت تكون سبب خراب هذا البيت فارجع إلى سيرة ابائك فشتمها وتهددها بالقتل واسمعها كلاما قبيحاً : مرآة الزمان ، ج8، ق1، ص153 .

(3) الذهبي : العبر ، ج4، ص92 .

ولما بحثنا الأسباب الحقيقية [1] التي دفعت الأميرة صفوة الأمير زمـــرد خاتون لقتل ابنها ان هناك جملة عوامل منها :

1. **قتله لابنها الأمير سونج بن بوري وهو الأخ الشقيق لشـــمس الملـــوك ظلمـــا وعدوانا**
2. **ظلمة المفرط لأهل دمشق ورجال دولته الـــذين ناصـــروا البيـــت الطغتكينـــي ودافعوا عنه.**
3. **مراسلته للأتابك عماد الدين زنكي وتسليم دمشق اليه فخافت من ضياع حكم أسرة طغتكين [2] .**

---

(1) غير ان الدافع الحقيقي تقتل ابنها يمكن استنتاجه من الرواية التي ذكرها ابن الأثير ونقلهـــا عنه ابن خلدون والتي قال فيها { فقيل اتهم امه بالحاجب يوسف بن فيروز فعـــزم علـــى قتلها فهرب يوسف فقتله امه} : الكامل ، ج9، ص279 ؛ العبر ، ج5، ص157، والرواية التي اوردها سبط بن الجوزي ونقلها عنه الذهبي { فكاتب الاتابك زنكي ليسلم اليه دمشـــق فخافته امه والامراء فهيات من قتله لانه تهددها لما نصحته بالقتل } : مـــراة الزمـــان ، ج8، ق1، ص153 ؛ سير اعلام النبلاء ، ج14، ص466 . ومع وضوح التعارض بـــين الروايتين في السبب الذي دفع زمرد خاتون إلى قتل ابنها فانهما تتفقان بان عملية القتـــل إنما هي دفاع عن النفس ومع تعاصر ابن الأثير (ت630هـــ/1232م) وسبط بن الجـــوزي (ت654هـــ/1454م) فان رواية سبط بن الجوزي تقدم على رواية ابن الأثير لانها وردت بصيغة الجزم مع توافقها مع الحقائق التاريخية التي تؤكد بان سبب تخلصها من ابنها هـــو رغبتها في الحفاظ على حكم الاسرة الطغتكينية في دمشق اما روايـــة ابـــن الاثيـــر مـــع ورودها في صيغة التمريض فأنها ترد لمعارضتها لما عرف عن الأميرة زمـــرد خـــاتون من ديانة وعفة .

(2) ومن الدوافع الأخرى التي حملت الأميرة صفوة الأمير زمرد خاتون على قتل ابنهـــا هـــو رغبتها في الحفاظ على السلطة في البيت الطغتكيني . وان تكون هذه السلطة متداولة فـــي ابنائها دون بقية افراد البيت الطغتكيني الحاكم في دمشق وان تنصيبها لابنها الاخر شهاب الدين محمود وتحكمها في شؤون دمشق وسيطرتها على السلطة فيها توضح طبيعة هـــذا الدوافع . ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص295 ؛ بدران ، تهـــذيب تـــاريخ دمشق ،ج3، ص18 .

سابعاً : أوضاع دمشق الداخلية بعد مقتل شمس الملوك

في عهد الأمير شهاب الدين محمود بن بوري (529-533هـ/1135-1129م) استقرت الأوضاع ولم يحدث ما ينكر صفو الأمن والاستقرار الا ا لتمرد الذي اعلنه بعض المماليك بقيادة الأمير بزواش سنة 530هـ/1136م ، وكان سبب هذا التمرد هو اعتراض هؤلاء المماليك على قرار الأمير شهاب الدين محمود بن بوري بالسماح للحاجب يوسف بن فيروز بالعود من تدمر إلى دمشق [1]

وقد اتهم هؤلاء المماليك يوسف بن فيروز بأنه وراء تحريض الأمير شمس الملوك إسماعيل على قتل الأمير سونج بن بوري والمماليك الذين اتهموا بمحاولة اغتيال الأمير شمس الملوك إسماعيل، وتعهد الحاجب يوسف بن فيروز بعد عودته إلى دمشق امام هؤلاء المماليك بعدم التدخل بشؤون الدولة ولكنه لم يفى بما تعهد به فقتلوه وهربوا إلى بعلبك ومنها أرسل الأمير بزواش بعض القوات الموالية له للإغارة على ضواحي دمشق ، فاضطر الأمير شهاب الدين محمود إلى الموافقة على مطالبه فعفا عنه وعينه قائداً لعسكر دمشق[2] ومكر به إلى ان تخلص منه سنة 532هـ /1138م[3] .

في عهد الأمير شهاب الدين محمود تحكمت الأميرة صفوة الأمير زمرد خاتون بشؤون دمشق وكانت هي صاحبة السلطة الفعلية فيها [4] ، وعندما تزوجت الأتابك عماد الدين زنكي ورحلت اليه في حلب سنة 533هـ/1139م ، تحكم في أمور دمشق الأمير معين الدين انر الذي اصبح الحاكم الفعلي لها

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص253 .

[2] ابن الاثير:الكامل،ج9، ص290-291؛الدواداري:الدرة المضية، ص518- 519؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج2، ص323 .

[3] ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،ص264؛ سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8،ق1، ص164 .

[4] الذهبي : العبر ،ج4، ص92 ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ،ج12،ص85 .

وصاحب القرار السياسي فيها[1] ولم يحاول الأمير معين الدين انر القضاء على حكم لأسرة طغتكين كما قضى الأتابك طغتكين على أسرة تاج الدولة تتش واحل حكمه وحكم أسرته محلها [2] ، وذلك بسبب النفوذ المعنوي الكبير لأسرة طغتكين في دمشق [3] .

قد رأى الأمير معين الدين آنر وهو الحكيم والخبير السياسي بان إلغاء حكم هذه الأسرة سيؤدي إلى نتائج سيئه منها سقوط دمشق بيد إحدى القوتين الطامعين بها الفرنجة او عماد الدين زنكي ، واستطاع الأمير معين الدين أنر المحافظة على الاستقرار الداخلي عن طريق إشاعة الأمن وتحقيق العدالة ورفع المظالم عن الناس [4]،كما عقد التحالفات مع القوى المختلفة في بلاد الشام كتحالفه مع الفرنجة، تارة[5] وأولاد عماد الدين زنكي تارة أخرى[6]، وبفضل سياسته المتوازنة هذه تمكن من بسط يده على دمشق[7] .

غير أن هذه الاستقرار تعرض إلى بعض المشاكل منها تعرض الأمير شهاب الدين محمود إلى محاولة اغتيال قام بها بعض مماليكه وهو يوسف الخادم والبقش الأرمني وعنبر الفراش ونجحوا في قتله في 23شوال سنة 533 هـ/ 1139 م فقبض على يوسف الخادم وعنبر الفراش وقتلا ونجا البقش الأرمني[8]

استدعى الأمير معين الدين انر الأمير جمال الدين محمد واجلسه مكان أخيه حاكماً على دمشق وتزوج الأمير معين الدين انر ام الأمير جمال الدين محمد

---

(1) ابن الاثير : الباهر ،ص82؛ ابن العديم : زبده الحلب ، ج2، ص137 .

(2) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2،ص21؛ بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ،ج7، ص250.

(3) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص247؛ البار العريني: الشرق الأوسط،ج1،ص598 .

(4) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ،ج8، ق1 ، ص302 .

(5) ابن خلدون : العبر ، ج5، ص123 .

(6) اسامة بن منقذ: الاعتبار ، ص139 .

(7) ابن العديم: زبدة الحلب ، ج2، ص292 ؛ ابن القاضي شهبه : الكواكب الدريه ،ص139.

(8) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج8، ق1، ص172 ؛ابو الفداء :المختصر: ج3، ص14 .

، وتحكم بشؤون دمشق واقطعه الأمير جمـال الـدين محمـد مدينـة بعلبـك[1] واستقرت الأوضاع في عهد الأمير جمال الدين محمد بن بوري الذي استمر فـي حكم دمشق حتى وفاته شعبان سنة 534هـ/1140م[2] ، واجلس الأمير معـين الدين انر مكانه ابنه الأمير مجبر الدين ابق الأمير على دمشق التي حكمها الأمير معين الديـن انر نيابة عن الأمير مجير الدين ابق الذي اصبح مجرد صـورة أمير [3] .

استبد الأمير معين الدين انر بالسلطة وسيطر على شـؤون الحكـم فـي دمشق واستقرت الأوضاع فيها ولم يحدث ما يعكر صفو الأمن والاستقرار سوى التمرد الذي أعلنه التونتاش أمير صرخد وبصدى ضـد حكومـة دمشـق سـنة 541هـ/1146م ، والذي كان يهدف من ورائه الاستقلال بإقليم حوران ، وطلب من قاده البيت المقدس مساعدته في تحقيق استقلال إقليم حوران مقابل التنـازل عن مدينتي صرخد وبصرى لمملكة بيت المقدس ، وقد فشل هذا التمرد بعد نجاح الأمير معين الدين انر في القضاء عليه والقبض على الأمير التونتـاش ورميـه بالسجن [4] وبذل الأمير معين الدين انر جهودا كبيرة استطاع من خلالها الحفاظ على دولة أولاد سـيده طغتكـين إلـى ان تـوفي فـي 23 ربيـع الأول سـنة 544هـ/1149م [5] .

---

[1] ابن الأثير :الكامل ،ج9، ص309-310؛الباز العريني:الشرق الأوسط، ج1،ص517

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1، ص265؛ ابن العماد الحنبلي :شـذرات الـذهب ،ج4، ص132 .

[3] ابن الاثير : الكامل ،ج9، ص364 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،ج1، ص126 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص289-290 ؛ ابو شامة :الروضـتين ،ج1، ص50؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص109 .

[5] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص203؛ ابن خلكـان : وفيـات الاعيـان ، ج1،ص265 .

ثامناً : الاضطرابات في دمشق بعد وفاة معين الدين انر :

على اثر وفاة الأمير معين الدين انر رجعت السلطة الفعلية مرة اخرى إلى اسرة الأتابك طغتكين فاستبد الأمير مجبر الدين ابق بشؤون الحكم بدمشق [1]، ولم يكن يمتلك الخبرة والحنكة السياسية التي كان الأمير معين الدين انر يمتلكها فقد كان ضعيف الشخصية ظالما مستبدا يميل إلى سفك الدماء ومصادرة الأموال وكان محاط بحاشية لا تهمها إلى مصالحها الخاصة وعلى راس هذه الحاشية مؤيد الدين بن الصوفي [2] .

كره أهل دمشق الأمير مجبر الدين ابق ونقموا عليه بسبب ظلمه وقتله بعض الأمراء والأعيان وحبس ومصادرة أموال وممتلكات البعض الآخر [3] فاضطربت أحوال دمشق الداخلية وكان من نتائج هذا الاضطراب تمرد أمير بصرى شجاع الدولة سرخاك وإعلانه العصيان ضد حكومة دمشق وتحالفه مع الفرنجة وتعاونه مع منكوبرس احد رؤساء التركمان في أعمال التخريب في نواحي حوران [4]

فادى هذا الوضع السيئ إلى فقدان الأمير مجبر الدين ابق الهيبة والاحترام من قبل أهل دمشق فحوصر مع وزيره مؤيد الدين بن الصوفي في قلعة دمشق سنة 548هـ/1151م ، وارسل المعارضون لمجبر الدين ابق وفد

---

[1] الذهبي : دول الاسلام ، ج1، ص43؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ج2،ص320 .

[2] الذهبي : العبر ، ج4، ص186 .

[3] سبط بن الجوزي : امراة الزمان ،ج8،ق1،ص220 ؛ الذهبي : العبر ، ج4،ص186؛ تغري بردي : النجوم الزهرة ، ج5، ص318 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص351 .

إلي الأمير العادل نور الدين محمود يعرضون عليه تسليم المدينـــة ولكنـــه لـــم يستجب لهم خوفا من قدوم الفرنجة لنجدة مجبر الدين ابق [1].

ساءت العلاقة بين مجبر الدين ابق وبين رجال دولته الموالين له كالوزير مؤيد الدين بن الصوفي الذي حاول التخلص منه فتمكن من الهروب إلى قلعـــة صرخد واعتصم بها وعين مكانه في الوزارة أخـــاه ابـــا البيـــان حيـــدرة بـــن الصوفي[2] مما لبث ان قتله سنة 548هـ/1153م ، ثم استدعى الأمير عطـــاء بن حفاظ السلمي من بعلبك وفوض أليه أمور الحكم وعينه مقدم عسكر دمشق وقد وقع لهذا ما وقع لسلفه حيث قتل سنة 549 هـ/1154 م [3] .

وهكذا فقدت الأسرة الطغتكينية احترامها في دمشـــق بســـبب سياســـتها التعسفية التي انتهجها الأمير مجير الدين ابق بحق أهل دمشق فتخلوا عن نصرة هذه الأسرة التي طالما أحبوها ودافعوا عنها وقدموا التضيحات الجسام في سبيل إبقاء حكمها ووقفوا بوجه أعدائها ، فسلموا مدينتهم إلى الأمير العادل نور الدين محمود فدخلها في صفر سنة 549هـ/نيسان1154م [4]

---

[1] ابن الاثير : الباهر ، ص 106-107؛ باركر : الحروب الصليبية ، ص202 .

[2] حيدرة بن علي بن الصوفي تولى الوزارة بعد عزل الأمير مجير الدين ابق أخـــاه الـــوزير المسيب بن علي بن الصوفي وكان يتصف بالظلم والقسوة ويتعدى على أموال الناس ظلماً وقد فرح الناس بمقتله لأنهم تخلصوا من ظلمه وجبروته . ابن القلانســـي : ذيـــل تـــاريخ دمشق ص 334-335 .

[3] الذهبي : العبر ،ج4، ص186؛ ابن العماد الحنبلـــي : شـــذرات الـــذهب ، ج4، ص11؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ،ج2، ص320 ؛ كرد علي : خطط الشام ، ج2، 29 .

[4] البنداري : دولة ال سلجوق ، ص255 ؛ ابن كثير :البدايـــة ،ج12، ص231 ؛ قســـاطلي : الروضة الغناء ، ص 48 .

الفصل الثالث :

البناء الداخلي للاتابكية :

أولاً : نظام الحكم

كان نظام الحكم في اتابكية دمشق ملكيا يقوم على وراثيا الابن ابيه والاخ اخيه ومر تنصيب الأتابك بدمشق بمرحلتين الأولى كان فيها اتابك دمشق يعين من يخلفه فيعهد اليه بولاية العهد ، كما عهد الأتابك طغكتين إلى ابنه الأمير تاج الملوك بوري [1] والأمير تاج الملوك بوري إلى ابنه الأمير شمس الملوك بولاية العهد[2].

والثانية اصبح فيها تنصيب الأتابك من قبل المتحكم بأمور دمشق ، فقد نصبت الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون ابنها الأمير شهاب الدين محمود بن بوري حاكماً على دمشق بعد مقتل أخيه الأمير شمس الملوك إسماعيل [3] ، ونصب الأمير معين الدين أنر الأمير جمال الدين محمد بن بوري (ت534هـ /1140م) حا كما على دمشق بعد مقتل أخيه الأمير شهاب الدين محمود [4]، والأمير مجير الدين آبق (ت564هـ /1169م) حاكماً على دمشق بعد وفاة أبيه الأمير جمال الدين محمد . [5] .

وكان الأتابك في دمشق يتمتع بسلطات مطلقة ، تمكنه من التحكم بسياسة دمشق الداخلية والخارجية ، وكانت له

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص163 ؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص51؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12 ، ص197؛ فساطلي : الروضة الغناء ، ص45 .

[2] ابن الأثير : الكامل : ج9، ص266؛ الصفدي : أمراء دمشق ، ص9 .

[3] ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج1، ص265 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص246

[4] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص309 ؛ ابن قاضي شهبه ، ص103 .

[5] الذهبي : العبر ، ج4، ص93؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج6، ص188 .

صلاحيـــات واسعـــة منـــها إعـــلان الحـــــــــــرب [1] وعقــد المعاهدات [2] وتعين موظفي الدولة وعزلهم [3] ، وانتقلت هذه الصلاحيات إلى المتحكم بأمور دمشق عندما فقد البيت الطغتكيني سلطته الحقيقة التي أصبحت سلطة صورية بعد مقتل الأمير شمس الملوك إسماعيل عند وقوعهـا تحـت وصاية الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون ثم الأمير معين الدين آنر بعد مجيء اتابكة ضعفاء [4].

ومع وجود هذه الصلاحيات فقد كان اتابكة دمشق يستشـيرون رجـال الدولة واعيان دمشق في الأمور التي تهمها [5]مما ادى إلى قيام علاقات بين اتابكة دمشق واهلها ، وكانت طبيعة هذه العلاقات تتوقف على نوع التعامـل الذي كان الأتابك ينتهجه ، فالعلاقة الحسنة بين الأتابك طغتكين واهل دمشـق جعلتهم يحزنون عليه عند وفاته [6] ،والعلاقة السيئة بيـنهم وبـين شـمس الملوك إسماعيل جعلهم يعمدون إلى قتله [7] ، وعلاقتهم السيئة بمجبر الدين ابق الذي عرف بظلمه واستبداده جعلتهم يقفون إلى جانب الملك العادل نـور الدين محمود (ت569هـ/1174م) ، ويسلمون اليه دمشق عندما قصدها سنة 549هـ /1154م [8].

---

(1) سبط بن ا لجوزي : مرآة الزمان ، ج8، ق1، ص63 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص176 .

(3) الذهبي : العبر ، ج4، ص55 .

(4) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ج5،ص296

(5) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص203؛ ابن شاكر الكتبي : عيو ن التواريخ، ج12، ص198 .

(6) سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8 ،ق1، ص128 .

(7) ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص9 .

(8) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج 12، ص232 .

ولأتابك دمشق نائب يفوض أليه أمور الحكم ، يطلق عليه لقب ملك الأمراء [1]. ومن ضمن الذين فوضت إليهم أمور الحكم الأمير تاج الملوك بوري فقد أنابه الأتابك طغتكين في حكم دمشق أثناء غيابه عنها [2] والحاجب والحاجب يوسف بن فيروز(ت530هـ/1136م) الذي فوض أليه الأمير شمس الملوك إسماعيل امور الحكم [3] ، والأمير معين الدين آنر الذي يسمى نائب صاحب دمشق ويلقب بملك الامراء[4] وكان يحكم دمشق نيابة عن الأمير جمال الدين محمود ومجبر الدين ابق والأمير عطا ء بن الحاجب حفاظ السلمي (ت548هـ/1153م) والذي فوض أليه الأمير مجبر الدين ابق امور الحكم .[5] [5].

ثانياً : الوزارة :

لأتابكة دمشق وزراء كما كان للخلفاء والسلاطين ، وكانت الوزارة في دمشق مؤسسة لها نفوذها من حيث القوة والضعف الذي تستمده من قوة وضعف نفوذ الأتابك [6] وكانت اشهر الشخصيات الوزارية التي لعبت دورا كبيرا في سياسية الاتابكية الوزير طاهر بن سعد المزدقاني (ت 523هـ/1129) وزير الأتابك طغتكين والأمير تاج الملوك بوري من بعده[7]

---

(1) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج5 ، ص455 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص166 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص266 .

(4) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج14،ص315؛ عبد القادر بدران (الشيخ): منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، دمشق ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، 1379، 1960 ،ص204 .

(5) الذهبي : العبر ، ج4، ص186 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12 ، ص232 .

(6) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج9، ص6 .

(7) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص220 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، 266

والوزير ابو القوارس مؤيد الدين المسيب بن علي بن الصــوفي (ت549هـــ /1154 م) وزير الأمير مجير الدين ابق[1] .

ومع هذه المكانة القوية التي كان الوزراء يتمتعون بما في دمشق فــان الأتابك كان يحجم نفوذهم ان وجد في هذا النفوذ خطر عليه او على الأمن [2] ، فقد تخلص الأمير تاج الملوك بوري من وزيره كمال الدين المزدقــاني الــذي طغت شخصيته على شخصية كل من الأتابك طغتكين وتاج الملوك بــوري [3] الذي علم بتواطئه مع الإسماعيلية على تسليم دمشق للفرنجــة فقتلــه ســنة 523هــ /1129م[4] ، وبعد التخلص من الوزير كمال الدين المزدقــاني عــين الأمير تاج الملوك بوري مكانه في الوزارة ابا الذواد المفــرج بــن الحســن الصوفي[5] ثم عزله فعين مكانه ابا الفضل كريم الملك احمد بن عبــد الــرزاق المزدقاني ابن عم كمال الدين المزدقاني وبقى في الوزارة إلى ما بعــد وفــاة الأمير تاج الملوك بــــوري ومجيء الأمير شمس الملــوك إســماعيل الــذي اصبح وزير له كما كان لأبيه [6].

وقد تعرضت مكانة الوزارة إلى الضعف وفقدت قوتها بعد مقتل شــمس الملوك إسماعيل ، لان المتحكم بأمور دمشق قد سيطر على مقاليــد الأمــور بأجمعها واصبح صاحب النفوذ والكلمة العليا والحل والعقد فيها مما أدى إلــى

---

[1] الذهبي : العبر ، ج4، ص138 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج6، ص188 .

[2] بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ج3، ص 299 .

[3] ابو الفداء :المختصر ، ج3، ص 2-3 ؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ص95 .

[4] الذهبي : العبر ،ج4، ص55 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5، ص236 .

[5] ابو الذواد المفرج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق وكان يتميز بالامانة والنزهة والضبط بالحساب ولكنه يتصف بضعف الكتابة وقلــة البلاغــة.ابــن القلانســي:ذيــل تــاريخ دمشق،ص277.

[6] الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج14، ص464 .

ضعف نفوذ الوزارة الذي اصبح هامشيا كنفوذ الأتابكة فأصبحت الوزارة في عهد تحكم الأمير معين الدين آنر (533-544هـ/1149م) شبه معطلة [1] .

واستعاد الوزراء نفوذهم ومكانتهم بعد موت الأمير معين الدين آنر وعودة السلطة الفعلية إلى البيت الطغتكيني عندما سيطر الأمير مجير الدين ابق على مقاليد الحكم في دمشق [2] ، ومن اشهر الشخصيات الوزارية التي ظهرت في هذه الحقبة الوزير مؤيد الدين بن علي بن الصوفي الذي قوى نفوذه بعد موت الأمير معين الدين أنر، وقد انقلب عليه الأمير مجير الدين ابق بسبب الخلافات القائمة بينهما وحاول التخلص منه لولا هروبه إلى قلعه صرخد واعتصامه بها سنة 548هـ/1153 ، وولى مكانه في الوزارة أخاه ابا البيان حيدرة بن علي بن الصوفي فتخلص منه وقتله في السنة نفسها [3] .

من خلال استعراض حال الوزارة في عصر الاتابكية لم يكن منصب الوزير راسخا ولم تكن المؤسسة الوزارة من المؤسسات التي تستطيع ان تتحكم بسياسة دمشق ذلك لان نفوذ الوزارة يعتمد على شخصية الوزير نفسه وقوة وضعف نفوذ الأتابك [4].

ثالثاً : الحجابة :

هي وظيفة من وظائف الدولة ، وكان المتقلد لها يسمى الحاجب وهو الذي يحجب الملك عن الناس ويكون حلقة الوصل بين الملك من جهة وبين رجال الدولة والرعية من جهة أخرى ، ومن صلاحياته الأشراف على القصر الملكي وادارته ، ولأهمية هذا المنصب لابد ان يكون المتقلد له من أهل الأمانة

---

(1) ابن ميسر : تاريخ اخبار مصر ، ج2، ص86 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص226 .

(3) ابن القلانسي :ذيل التاريخ دمشق ، ص324؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،ج2، ص231 .

(4) الذهبي : العبر ، ج4، ص185؛ عبد القادر بن محمد النعيمي (ت927هـ /1523م) : الدارس في اخبار المدارس ، نشر وتحقيق جعفر الحسني ، دمشق ، مطبعة الترقي 1367-1984، ص288 .

والثقة الذين يثق الملك بهم [1] ، واتخذ اتابكة دمشق لهم حجابا ومنهم الحاجب علي بن حامد حاجب الأتابك طغتكين [2] ، والحاجب يوسف بن فيروز حاحب الأمير تاج الملوك بوري [3]،والحاجب اكز الدقاقي حاجب الأمير شهاب الدين محمود بن بوري [4] والحاجب محمود المسترشدي حاجب الأمير معين الدين آنر [5] .

رابعاً : ديوان الإنشاء :

مهمة هذا الديوان الأشراف على الوثائق الرسمية وهي الأوراق الحكومية من الرسائل الواردة إلى الملوك وأجوبتها والمراسيم التي يصدرونها ، والموظف الذي يشرف على هذه الديوان ، يطلق عليه اسم كتب السر[6] ، ومن الذين تولوا هذا المنصب في دمشق المؤرخ ابو يعلى حمزة بن اسد القلانسي (555هـ /1162م) [7] .

خامساً : ديوان الإنشاء :

وهو ديوان يتولى الأشراف على الشؤون المالية في دمشق ويشرف على هذا الديوان موظف يطلق عليه مستوفي الديوان الذي يطلع فيه على

---

[1] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ/ 1405م) : المقدمة ، تحقيق الدكتور علي وافي ، القاهرة ، دار الشعب ، ب، ت،ص214؛ عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج2 ص38؛ رضا : معجم متن اللغة ، ج2، ص29 ؛ عبد الله البستاني : البستان (معجم لغوي) : بيروت ، المطبعة الأميريكانية ، 1972 ، ج1، ص459 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص210 ؛ ابن ميسر : تاريخ اخبار مصر ، ص63

[3] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص226 .

[4] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص164 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص293 .

[6] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج4، ص30 .

[7] بدران : تهذيب تاريخ دمشق ،ج4 ، ص442؛ السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصلبية ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1962 ، ص192 .

الحسابات ويسجل كل ما يدخل إلى الديوان من ألاموال ويصرف منها [1] ومن الذين تولوا وظيفة مستوفي الديوان في هذا العهد ابو الحسن سعد الله علي بن طاهر الوزير المزدقاني للأمير مجير الدين ابق [2] .

سادساً : الشحنة :

وهي من الوظائف المستحدثة في السلطنة السجوقية ، وكان السلطان يولي هذا المنصب من يجد فيه الكفاية والقدرة ، ويعين في كل مدينة من المدن التابعة للسلطنة [3] شحنة يقوم بمهام متعددة اشبه بالمحافظ الذي يتولى إدارة المدينة ومدير الشرطة الذي يشرف على الحفاظ على الأمن بها[4] .

وكان منصب الشحنة في دمشق من المناصب التي ورثتها الاتابكية عن السلاجقة ، ولم يقتصر واجب الشحنة في دمشق على إدارة المدينة وحماية الأمن فيها ، بل كان يعمل على رفع المظالم واشاعة العدل بين الناس ولأهميته كان يشترط في الذي يشغله ان يكون من أهل العدل والعفة[5]ومن بين الذين تولوا هذا المنصب الحاجب فيروز (ت 517هـ/1113م) [6]والسلار بختيار وابنه عمر [7]

---

[1] شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت732هـ /1331م) : نهاية الارب في فنون الادب ، القاهرة ، مطابع كوستا تسوماس ، 1935 ، ج8، ص ص300-301 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5، ص440 ؛ عماد الدين خليل (الدكتور) : نور الدين محمود الرجل التجربة ، دمشق ، بيروت ، دار العلم ، 1400 ، 1980، ص70 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص236 .

[3] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ /1310م) : لسان العرب بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، د ، ت)، ج3، ص434 .

[4] حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص213 ؛ خليل : نور الدين محمود ص73-74 .

[5] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1 ، ص69 .

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص208؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5، ص226 .

[7] ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص80 .

سابعاً : الحسبة :

وهي من الوظائف التي ظهرت في الدول العربية الإسلامية منذ الايام الأولى لنشأتها وتقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان للمحتسب صلاحيات واسعة كالأشراف على الأسواق ومراقبة المكاييل والأوزان ومنع الغش والتدليس في البضائع ووظيفته تقوم على البحث عن المعروف والأمر به والمنكر والنهي عنه[1] ، ويعين المحتسب في دمشق بناء على أمر الأتابك او نائبه ، وله الولاية على جميع المحتسبين في المدن والمناطق التابعة لدمشق والأشراف عليهم وتعيينهم وعزلهم [2].

ثامناً : القضاء :

للقضاء في دمشق مركز مرموق ، وكان يتناوب شغل منصب قاضي دمشق الفقهاء من المذهبين الحنفي والشافعي ، وبما ان اتابكة دمشق كبقية الأتراك كانوا من المسلمين السنة الحنفية ، فان اتباع المذهب الحنفي كانوا يتولون منصب قاضي دمشق في معظم الأحيان ، ومن الذين تولوا هذا المنصب الفقيه الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني (ت506هـ/1112م) [3]، واتباع المذهب الشافعي في اغلب الأحيان وشغله من الشافعية الفقيه ابو الفضل يحيى بن علي القرشي (ت517هـ/1123م)[4] وابنه الفقيه ابو المعالي محمد بن يحيى بن علي القرشي (ت537هـ/1143م) [5].

---

[1] النويري : نهاية الارب ،ج6، ص291 ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص201 .

[2] لقلقشندي : صبح الاعشى ، ج4، ص405 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص183 ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12نص63؛ ابو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا (879هـ/1474م) تاج التراجم في طبقات الحنفية ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1962 ، ج3، ص59 .

[4] الذهبي : العبر ، ج4، ص93؛ شمس الدين محمد بن طولون (ت953هـ/1549م) : البسام في ذكر من ولى قضاء الشام ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي ، 1956، ص44 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص227 ؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص103 .

تاسعاً : إمارة المدن :

تضم اتابكية دمشق بالإضافة إلى مدينة دمشق مناطق أخرى من بلاد الشام وهي الأردن والأقسام الشرقية من لبنان والأقسام الوسطى والجنوبية من سورية وكانت مقسمة إلى وحدات إدارية وكل وحدة من هذه الوحدات يحكمها وال او امير نيابة عن اتابك دمشق [1] .

ومنها حوران التي تضم مدينتي صرخد وبصرى فصرخد كانت بيد الأمير التاش بن تاج الدولة ، وبصرى بيد الأمير ايتكين الحلبي فاخذ الأتابك طغتكين هاتين المدينتين منهما سنة 499هـ/1106م ،عندما أعلنا العصيان ضده[2] ، وتولى إمارتهما الأمير كمشتكين التاجي (ت541هـ/1109م) ، الذي كان يشرف على مدينة صرخد ومملوكة التونتاش على مدينة بصرى [3] وعندما توفي الأمير كمشتكين التاجي (ت541هـ/1146م) استولى مملوكه التونتاش على المدينتين واعلن التمرد والعصيان ضد حكومة دمشق سنة 541 هـ /1146م ، ولكن الأمير معين الدين آنر اخمد هذا التمرد واخذ المدينتين منه [4] فسلم الأمير معين الدين آنر مدينة صرخد إلى الامير بزان بن مامين الكردي (ت555هـ /1160) وبصرى إلى الامير فارس الدولة سرخاك

---

[1] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2، ص41 ؛ الريحاوي : مدينة دمشق ، ص18 صلاح الدين المنجد (الدكتور) : مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين بيروت دار الكتاب الجديد ، 1967 ، ص296 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص166 .

[3] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص50 ؛الباز العريني : الشرق الأوسط ، ج1 ص539.

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص289؛ ابن واصل:مفرج الكروب ، ج1 ص129 .

(ت550هـ/1155م) [1][2] وبقتا بيد يهما إلى ما بعد سقوط دمشق بيد نور الدين محمود [3] .

وبعلبك فقد تولى إمارتها الأمير كمشتكين التاجي إلى سنة 503 هـ/1109 ، فأخذها منه الأتابك طغتكين عندما تمرد عليه وعوضه عنها مدينتي صرخد وبصرى [4] ، وعندما تولى الأمير تاج الملوك بوري شؤون الحكم في دمشق جعل ابنه الأمير جمال الدين محمد واليا عليها وبقى على ولايتها إلى سنة (533هـ/1139م)[5]، وعندما تولى الأمير شهاب الدين محمود شؤون الحكم في دمشق اقطعها للأمير معين الدين أنر وبقيت تحت ولايته إلى ان انتزعها منه الأمير عماد الدين زنكي سنة 533هـ/1139م[6] ، ثم استعادها الأمير معين الدين آنر سنة 541هـ/1153م ، بعد مقتل الأتابك عماد الدين الزنكي [7] وولى عليها الحاجب شجاع الدولة عطاء بن حفاظ السلمي وبقى فيها واليا إلى ان قتله الأمير مجير الدين ابق سنة 548هـ/1153م [8] فعين بدله الضحاك بن خليد السلمي [9] والتي بقت تحت

---

[1] ابن شداد:الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2 ، ص56 ؛ ابو شامة : الروضتين ،ج1،ص51 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص289 .

[3] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2، ص57-58 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ج1، ص130 .

[4] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ،ج2،ق10، ص56 .

[5] المصدر نفسه ، ج2،ق2،ص46 .

[6] الذهبي : العبر ، ج4، ص138؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص216.

[7] ابن الأثير : الكامل ، ج9،ص103 ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ج1 ، ص46.

[8] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2، ص48-49 .

[9] ابن كثير : البداية والنهاية ،ج12، ص232 .

إمارته إلـــى ان سقطت بيد الملك العادل نور الدين محمـــود ســـنة 551هـــــ /1156م [1] .

وبانياس التي ضمت إلى دمشق سنة 502هــ/ 1108 ، وقد ولي عليها الأمير مسعود بن سلار إلى سنة 506هــ /1112م [2]، فأخذها منـــه الأتابــك طغتكين بعد رحيله إلى مدينة صور ، فعين عليها ابنه الأمير تاج الملوك بوري وبقى فيهــا إلـــى ان ســـلمها الأتابــك طغتكــين إلـــى الإســـماعيلية ســـنة 520هــ/1126م[3]. وبقوا فيهـــا إلـــى ان اســـتولى عليهـــا الفرنجـــة ســـنة 523هــ/1129م ، بعد تسليمهم الإسماعيلية اياها اليهم[4] ، وقـــد اســـتعادها منهم الأمير شمس الملوك إسماعيل سنة 527هــ /1133م[5]، وعين علـــيهم الأمير إبراهيم بن طرغت (ت534هــ/1140م) الذي استمر على ولايتها إلـــى سنة531 هــ /1127م وعندما أعلن ولاته للأتابك عماد الدين زنكي أصـــبحت بانياس من أملاك الأمير عماد الدين زنكي[6] ، فاستعادها الأمير معين الدين أنر أنر سنة 534 هــ/1140م ثم سلمها للفرنجة[7] ، وبقيـــت بأيـــديهم إلـــى ان اســـتعادها الملـــك العـــادل نـــور الـــدين محمـــود مـــن ســـيطرتهم ســـنة 552هــ/1157م[8].

وحماة التي كانت تابعة لدمشق إلى ان استولت عليها القوات السلجوقية بقيادة برسق بن برسق امير همدان سنة 508هــ/1113م، وسلمتها إلى امير

---

[1] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،ص304 ؛ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ،ص111

[2] المصدر نفسه ، ص257 .

[3] الذهبي : العبر ، ج4،ص59؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج4، ص66 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص209 ؛ أبو الفداء : المختصر ،ج3، ص3 .

[5] الذهبي : العبر ، ج4،ص70 ؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ص99 .

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص272 ؛ كرد علي : خطط الشام، ج 2، ص3

[7] ابن العديم : زبدة الحلب ،ج2،ص274؛ ابو الفداء : المختصر ،ج3،ص16 .

[8] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص340؛ قساطلي : الروضة الغناء، ص48 .

حمص خير خان بن قراجا (ت529هـ /1135م) [1] ، وبقت تحت حكمه إلى إن استرجعها الأتابك طغتكين بعد مقتل واليها الأمير محمد بن قراجا سنة 517هـ/1133م[2] فولى عليها حفيده الأمير سونج بن بوري بن طغتكين واستمر بولايتها حتى استيلاء الأمير عماد الدين زنكي سنة 524هـ/1130م[3]، وقد استرجعها منه الأمير شمس الملوك سنة 527هـ /1133م[4]، واستولى عليها الأتابك عماد الدين زنكي مرة اخرى سنة 531 هـ/1137م[5] .

وتدمر التي ضمنها الأتابك طغتكين إلى دولته سنة 502هـ/1108م، وعين عليها ابن اخيه واليا عليها وبقى فيها حتى سنة 520هـ/1126م [6]، فخلفه على ولايتها الأمير شهاب الدين محمود بن بوري إلى سنة 529هـ/1135م ،[7] فتركها واستناب عليها الحاجب يوسف بن فيروز[8] ثم سلمها الأمير شهاب الدين محمود إلى أولاد خير خان بن قراجا عوضا عن حمص التي أخذها منهم سنة 530هـ/1136 م[9]،والتي اقطعها للأمير معين الدين آنر الذي بقى على ولايتها حتى أخذها الأتابك عماد الدين زنكي سنة 532 هـ /1138م[10] .

---

[1] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص174 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص250؛قسطلي : الروضة الغناء ، ص44 .

[2] ابن الأثير : الكامل ،ج9،ص226 ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص141 ؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1،ص78 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص209؛ قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، 94 .

[5] ابن خلدون : العبر ،ج5، ص87 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج4، ص172 .

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص214-215؛ سبط بن الجوزي : مراة الزمان ج8 ق 1، ص15 .

[7] ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، 303 .

[8] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص263 .

[9] ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص10 .

[10] ابن العبري : تاريخ المختصر الدول ، ص258 .

ومنطقة البلقاء التي تضم عمان ومعان ومؤاب والسراة كانت ولاية تابعة لدمشق [1] ، وكان يتولى إمارتها وإلى نيابة عن اتابك دمشق ومن الدين الدين تولوا امارتها الاصبهفذ التركماني ، [2] ومدينة صور التي خضعت لحكم دمشق عشر سنوات (506-516هـ/1112-1122م) كان يحكمها نيابة عن اتابك دمشق الأمير مسعود بن السلار التي أخذها منه الفاطميون ثم أرجعوها مرة أخرى إلى دمشق فبقت تحت سلطتها إلى إن سقطت بيد الفرنجة سنة 518هـ /1124م[3].

عاشراً : الإقطاع :

وهي كلمة مشتقة من القطع أو إقطاعية : وهي قطعة من الأرض بمنحها الخليفة او من ينوب عنه لشخص ما لغرض استثمارها والاستفادة منها [4] والإقطاع في عصر الاتابكية إنما استمرار النظام الإقطاعي السجلوقي الذي يقوم على منح الإقطاعيات للقادة العسكريين مقابل الخدمات التي يؤدونها للدولة [5] .

---

[1] ياقوت : معجم البلدان ، ج2، ص489؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج4، ص106 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص158 .

[3] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص229 ؛ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2، ص168-171 .

[4] الصاحب اسماعيل بن عباد (ت 385 هـ/995م) : المحيط في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين ، بيروت،عالم الكتب،1414-1994 ، ج1، ص142؛ ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1979، ج5، ص101 .

[5] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج4، ص406؛ عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج1، ص127؛ أ.ن بولنياك : الإقطاعية في مصر وسورية وفلسطين ولبنان ، ط2، ترجمة كاظم كريم ، بيروت منشورات دار المكشوف ، 1948 ،ص59-60 ؛ البستاني : البستان ، ج2، ص1966 .

وكانت السمة السائدة لنظام الإقطاع في دمشق هــو الإقطــاع الإداري الذي يقوم على منح بعض المدن إلى بعض الولاة علــى شــكل إقطاعيــات[1] كإقطاع الأتابك طغتكين بعض مدن البلقاء للأمير الاصبفهذ التركماني [2]، ومنح الأمير شهاب الدين محمود مدينة حمص [3] ، والأمير جمال الدين محمد مدينة بعلبك للأمير معين الدين أنر[4] .

وكان اتابكية دمشق يمنحون بعض الإقطاعيات إلى بعض الشخصــيات المهمة كترضية وتطييب خاطر كإقطاع الأتابك طغتكــين منطقــة الزبــداني[5] للأمير فخر الملك بن عمار (ت510هــ/1116) امير طرابلس بعد مــا اخــذ الفرنجة امارته [6] ، واقطاع الأمير معين الدين آنر للأمير نجم الــدين ايــوب (568هــ/1172م) ،بعد ما اخذ بعلبك منه سنة 541 هــ/1146م[7] .

الحادي عشر : الجيش :

ان وضع اتابكية دمشق باعتبارها من الإمارات الإسلامية في بلاد الشام وتعرضها بشكل مستمر لعدوان الفرنجة ومساهمتها في حركة الجهاد تطلــب منها بناء جيش قوي يتولى حماية البلاد من الخطر الخارجي الذي تتعرض له ، والجيش يتكون من عدة صنوف منها صنف المشــاة (الراجلــة) وصــنف الفرسان (الخيالة) [8] وصنف النقابين الذي يرافق الجيش ويسهل مهمته في

---

[1] ر. س سميل : الحروب الصليبية ، ترجمة سامي هاشم ، كمبردج ، المؤسســة العربيــة للدراسات والنشر ، 1954، ص70 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص158 .

[3] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2،ق2، ص140 .

[4] سبط بن الجوزي:مراة الزمان ،ج8، ق، ص165؛ ابن خلدون : العبر، ج5، ص158 .

[5] الزبادني : كورة مشهورة تقع بين دمشق وبعلبك ياقوت معجم البلدان ، ج3، ص130 .

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص165 .

[7] ابن واصل مفرج الكروب ، ج1، ص9 .

[8] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص186 .

فتح المدن والقلاع عن طريق ثقب أسوارها [1] ويستخدم الجيش أسلحة متنوعة منها الأسلحة الخفيفة كالسيوف والسهام والرماح [2] ومنها الأسلحة الثقيلة كالمنجنيقات التي ترمى بها النيران والحجارة على العدو [3] .

ومع وجود الجيش الثابت والذي يطلق عليه عسكر دمشق فان دمشق كانت تتبع في نظامها الحربي عدة أساليب منها طلب النجدات من القوى الإسلامية الأخرى عند تعرضها لعدوان الفرنجة ، فقد طلب الأتابك طغتكين النجدة من السلاجقة عندما تعرضت دمشق إلى عدوان الفرنجة سنة 506 هـ/ 1112م ، فارسل اليه السلطان محمد بن ملكشاه (ت 511هـ/ 1118م) قوة عسكرية بقيادة أمير الموصل مودود بن التونتكين (ت507هـ/ 1113م) [4] .

ومنها الاعتماد على المتطوعين البدو من الأعراب والتركمان الذين يسكنون إطراف دمشق ، وقد استعان بهم الأمير تاج الملوك بوري عندما تعرضت دمشق إلى عدوان الفرنجة سنة 523هـ/1129م [5]، ومنها النفير العام وهو تعبئة جمع القادرين على حمل السلاح دون استثناء في الدفاع عن البلاد وقد اتبع الأمير معين الدين آنر هذا الأسلوب عندما تعرضت دمشق إلى

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1، ص114؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج2، ص77 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص159 ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج8، ص200 .

(3) المصدر نفسه ، ص166؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4، ص87.

(4) ابن الجوزي : المنتظم، ج10، ص113 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص175-167.

(5) ابو عبد الله اسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت 768هـ/ 1368م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط2، بيروت ، مؤسسة ألا علمي للمطبوعات ، 1390هـ-1970م ، ج3، ص299 .

عدوان الحملة الصليبية الثانية سنة 543هـ/1148م[1]، ولم تكف دمشق عند بالدفاع عن نفسها ، بل كانت ترسل النجدات إلى القوى الإسلامية كبنى عمار في طرابلس [2] ، والفاطميين في صور [3]، والارتقة في حلب [4] ، في جهادهم ضد الفرنجة .

وفيما يتعلق بقيادة الجيش فان ملك دمشق بعد القائد الأعلى للجيش وكان بعض الأتابكة ومنهم طغتكين [5] ، وتاج الملوك بوري [6] ، وشمس الملوك إسماعيل [7] والأمير معين الدين آنر [8] على راس قواتهم عند خوضها خوضها الحروب ، وفي بعض الحملات يرسلون من ينوب عنهم في قيادة الجيش كإرسال الأتابك طغتكين الأمير مسعود بن السلار إلى مدينة صور سنة 506هـ/1112م لحمايتها من عدوان الفرنجة [9]، وارسال الأمير شهاب الدين الدين محمود الأمير شجاع الدولة بزواش قائد عسكر دمشق إلى طرابلس لقتال الفرنجة فيها سنة 531هـ/1137م [10] ، وإرسال الأمير معين الدين آنر الأمير بزان بن مامين الكردي امير بصرى لمساعدة الملك العادل نور الدين محمود سنة 544هـ /1149م ، في

---

[1] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص29 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص320 .

[3] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص227 .

[4] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص 320 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص174 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص165 .

[6] ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص3، ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص49 .

[7] ابن الأثير: الكامل، ج9، ص268؛ سبط بن الجوزي :مراة الزمان،ج8 ، ق1 ،ص145

[8] ابو شامة : الروضتين ، ج1، 149 .

[9] ابن الأثير : الكامل ، ج1، ص288 .

[10] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص258 ؛ ميخائيل زابروف : الصليبيون في الشرق ترجمة اليأس شاهين ، الاتحاد السوفيتي . دار التقدم . 1986، ص171 .

حرية ضد أمارة إنطاكية الفرنجية ، [1]، ولم تمنع قيادة الأتراك للجيش غيرهم من العرب كالأمير عطاء بن حفاظ السلمي امير بعلبك [2] ، والأكراد كـــالأمير بزان بن مامين الكردي من قيادته والتوصل إلى منصب القائد العـــام لعســـكر دمشق[3] .

الثاني عشر : المجتمع :

المجتمع في دمشق لا يختلف عن بقية المجتمعات في بلاد الشام فهـــو المجتمعات يتكون من خليط متعدد من أصحاب واتباع الأديان والفرق والمذاهب والقوميات ففيه المسلمون واليهود والنصارى وفيه العرب والأكراد والأتـــراك فالمسلمون يشكلون الغالبية العظمى من السكان ويشكلون فئتين رئيسيتين هما السنة من اتباع المذاهب الفقهيـــة الأربعـــة الحنفـــي والمـــالكي والشـــافعي والحنبلي[4] وفيهم الاشاعرة والحنابلة [5]، والصـــوفية [6]ويمثلـــون أغلبيـــة المسلمين .

والشيعة من اتباع الفرقتين الأمامية والزيدية وهؤلاء يسكنون داخل دمشق [7]، وفيهم الغلاة من النصيرية والإسماعيلية والدروز الـــذين يســـكنون وادي التيم في البقاع [8]والنصارى الذين يتكونون من طائفتين كبيرتين هما اليعاقبة

---

[1] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص195؛ الذهبي : دول الإســـلام ، ج2، ص78؛ ابـــن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص225 .

[2] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص246؛سبط بن الجوزي:مراة الزمان،8، ق1،ص164.

[3] الذهبي : العبر ، ج4، ص120؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج4، ص212 .

[4] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق1، ص81؛ رحلة ابن بطوطة ، ص93 .

[5] الذهبي : العبر ،ج4، ص120 .

[6] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ،ج2، ق1،ص191 .

[7] رحلة أبن جبير، ص227 ؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج6 ، ص 252 .

[8] الذهبي : العبر ،ج4، ص53؛ ابن شاكر الكتبي : عنون التواريخ ،ج12،ص198؛ شمس شمس الدين الـــى عبـــد الله بـــن ابـــي طالـــب الدمشـــقي المعـــروف بشـــيخ الربـــوة

والملكانية ويعين رؤساؤهم من قبل اتابك دمشق، وينتشرون في بعض المناطق التابعة لها كحوران[1] ، ويتمتعون بحرية واسعة وبدل على ذلك كثرة الأديــرة والكنائس في دمشق والمناطق التابعة لها [2] .

واليهود الذين يتكونون من ثلاث طوائــف هــي القــرايين والربــانيين والسامرة ويعين رؤساءهم بمرسوم ملكي من قبل اتابك دمشق أسوة برؤساء النصارى[3]ويسكنون في أحياء خاصة في دمشــق والمنــاطق التابعــة لهــا ويتمتعون بالحرية والامان [4].

وغالب سكان دمشق من العرب [5] ويليهم الأتراك وهم الطبقة الحاكمة في البلاد وفيهم الأتابكة والأمراء وقادة الجيش وولاة المدن [6] والأكراد الذين يسكنون دمشق ومنطقة البقاع [7] ، ويتشكل مجتمع دمشق من الحضر وهــم سكان المدن الذين يعملون بالصناعة والتجارة وغيرها من الحرف كالصــباغة والحدادة وسواها [8] والفلاحون سكان الأرياف العاملين بالزراعة [9] والبــدو من الأعراب والتركمان الذين يسكنون أطراف المدن ويعتمدون علــى الغــزو والسلب والنهب كأسلوب للمعيشة [10] .

(ت720هــ/1320م) = : نخبة الدهر من عجائب البر والبحر ، بطرس بورغ ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ، 1281هــ-1865، ص203-204 .

[1] القلقشندي : صبح الاعشى ،ج4، ص194 .

[2] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ص272-274.

[3] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج4، ص197 .

[4] بنيامين بن بونة التطيلي (569هــ/1174م) : الرحلة : ترجمة عــزر، حــداد ، بغــداد 1364-1945م، ص117-118 ؛ خليل: نور الدين محمود ، ص77 .

[5] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج4 ، ص 305 .

[6] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص164 .

[7] ابن واصل : مفرج الكروب ،ج1،ص109-110 .

[8] الحصني : جامع التواريخ ،ص1114 .

(9) اسامة بن منقذ : الاعتبار ،ص153 .

[10] اليافعي: مرآة الجنان ،ج3، ص298؛ القلقشندي: صبح الاعشى،ج7، ص190 .

وتعد طبقة المماليك من الطبقات المهمة في المجتمع وكانت تتمتع بنفوذ قوي ، فالأتابك طغتكين مؤسس دولة الاتابكة كان مملوكا للملك تـاج الدولـة تنش بن الب ارسلان (ت488هـ/1095م) مؤسس دولة سـلاجقة الشـام[1] والأمير معين الدين آنر المتحكم بأمور دمشق في عهد الأمير مجير الدين ابق كان مملوكا للأتابك طغتكين[2] ، وكان المماليك يتحكمون بشؤون دمشق وكانوا وكانوا يتقلدون المناصب من قبل اتابكة دمشق ، فقد قلد الأمير شهاب الـدين محمود المملوك بزواش منصب قائد عسكر دمشق [3]، كما تـولى التونتـاش مملوك الأمير كمشتكين التاجي ولاية صرخد وبصرى سنة 541هـ/1146م، بعد موت سيده الأمير كمشتكين التاجي [4] ، ولعبوا دور مهما فـي الأحـداث السياسية فقد ساهموا في مقتـل الأميـر شـمس الملـوك اسـماعيل سـنة 529هـ/1135 [5] ومقتل الأمير شهاب الدين محمود سنة 533هـ/ 1139م [6]

الثالث عشر : النشاط الاقتصادي :

يتمثل النشاط الاقتصادي بالزراعة والصناعة التجارة وهـذه الأنشـطة مرتبطة بعضها مع بعض ، فالزراعة تمثل العمود الفقـري لاقتصـاد دمشـق والنشاط الاقتصادي لسكانها ، فان توفر الأرض الخصبة[7] ، ووجـود الميـاه

---

[1] الذهبي : العبر ، ج4، ص59؛ الصفدي : أمراء دمشق ، ص45 .

[2] الذهبي:سير اعلام النبلاء،ج15،ص47؛ابن شاكر الكتبي:عيون التواريخ،ج12،ص358

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص230؛ سـبط بـن الجـوزي : مـرآة الزمـان ، ج8،ق1، ص146 .

[4] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص132؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ض114 .

[5] الذهبي : دول الاسلام ،ج1، ص39؛كرد علي : خطط الشام ،ج2، ص8 .

[6] ابن القلانسي : ذيـل تـاريخ دمشـق ، ص289 ؛ الـذهبي : سـير اعـلام النـبلاء ج14،ص532 .

[7] ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص227؛ قساطلي : الروضة الغناء،ص116.

الوفيرة كالأنهار واشهرها في دمشق نهر بردى وثورا وبانياس وداريا وداعية ويزيد وقناة المزة [1]والعيون كعين الجر في البقاع [2]والأمطار التي تمثلي بها أدوية حوران والبقاع [3] قد ساهم في تطوير الإنتاج الزراعي وزيادتـــه مـــن فواكه ومحاصيل زراعية وثروة حيوانية ، وكانت أهم المنتجات الزراعية :

أ. الحبوب ومن أهمها الحنطة والشعير والذرة [4]ومن اشهر مــزارع الحبوب هي مزارع الحنطة التي تنتشر في البلقاء جنوب بلاد الشام [5]

ب.المحاصيل الحقليـــــة كالباقلاء والباذنجان وقصب السكر والقثـــاء والحلبة [6].

ج.الفواكه : وهي أنواع كثيرة كالتفـــاح والتـــين والعنـــب والكمثـــرى والزيتون والتوت والمشمش والخوخ والرمان والحمضـــيات وهـــي الاترج والليمون [7]وهذه الفواكة تنتجها البســاتين المنتشـــرة فـــي دمشق كالموجودة في غوطة دمشق التي يوجد فيها 5345 بستانا [8] [8] ومدينة صرخد [1] .

---

[1] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2،ق1،ص14؛ ابو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي(ت 847هـــ/1442م) : نزهة الأيام في محاسن الشام ، القاهرة المطبعة السلفية ، 1341هــ ، ص92-93 .

[2] ياقوت : معجم البلدان ،ج1،ص470 .

[3] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص303؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ،ص135.

[4] النويري : نهاية الارب ،ج8، ص258 ؛ القلقشـــندي، صـــبح الاعشـــى ، ج4،ص109؛ كرد علي : خطط الشام ،ج4،ص176 .

[5] ياقوت : معجم البلدان ، ج1، ص489 .

[6] القلقشندي : صبح الاعشى ،ج4، ص86 .

[7] القلقشندي : صبح الاعشى، ج4، ص87؛ كرد علي :خطط الشام ،ج4،ص107 .

[8] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ،ج2، ق1،ص13 .

د. الثروة الحيوانية كالأبقار والجواميس والمعـز والإبـل [2] وتربيـة الطيور كالدجاج والإوز والحمام [3].

هـ . المنتجات الزراعية التي كانت تصاحب عملية الإنتـاج الزراعـي ومنها المنتجات النباتية كالزبيب والـدبس والزيـت[4]والحيوانيـة كالجبن واللبن والعسل[5].

وكانت تفـرض ضريبة الخراج [6] على الأرض الزراعية وهي خراج المقاسمة غير ان الأتابك طغتكين غيرها إلى خراج المساحة [7] وقد اسـتثنت بعض الأراضي الزراعية من هذه الضريبة كالبقاع عام 502 هـ /1108م [8] ، وسواد طبرية عام 503 هـ/1109م [9] ، التي طبق عليها خراج المقاسمة بعد

---

(1) رحلة بنيامين : ص115؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4، ص107 .

(2) ابو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (ت ق6هـ/12هـ) : الإشارة الى محاسن التجـارة تحقيق البشري الشوربجي ، الاسكندرية، مطبعة اجمد ، 1397-1977م ، ص58 .

(3) النويري : نهاية الأرب ، ج8، ص223؛ كرد علي : خطـط الشـام ، ج4، ص 184-185 .

(4) الدمشقي الإشارة، ص50-51 .

(5) ياقوت : معجم البلدان ، ج2، ص454 .

(6) الخراج : وهي الضريبة التي تفرض على الأرض الزراعية التـي فتحهـا المسـلمون وابقيت بيد أهلها وتصنف على نوعين أولهما ضريبة خراج المقاسمة وهـي الضـريبة التي تفرض على الأرض الزراعية حسب نسبة إنتاج المحصول وتأخذ على شكل نصف او ثلث او ربع إنتاج المحصول ، وثانيهما ضريبة خراج المساحة وهذه الضريبة تفرض على الارض الزراعية حسب مسـاحة الأرض ونوعيـة المحصـول وطبيعـة الأرض الزراعية الشيخ المولوي محمد اعلى بن علي التهانوي : موسوعة اصطلاحات الفنـون الإسلامية المعروفة بكشافات اصطلاح الفنون ، بيروت، شركة خياط للطباعـة والنشـر (ب. ت)،ج2، ص409 .

(7) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص219 .

(8) المصدر نفسه : ص171 .

(9) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ،ج8، ق1، ص30-31 .

عقد الهدنة مع الفرنجة ، وكانت موارد الخراج تصرف على عمليات الجهـاد ضد الفرنجة [1].

وتتأثر الزراعة بالمشاكل التي تتعرض لها دمشق كالحروب التي تنشب في المناطق الحدودية كالبقاع وحوران لتعرضهما المستمر لعدوان الفرنجة [2] وحدوث الكوارث الطبيعية كسقوط الثلج والبرد والجفاف نتيجة انحباس المطر مما يؤدي إلى انخفاض الإنتاج الزراعي وتدهوره [3] .

وقـد ساهمت الزراعة في تطوير بعض الصناعات في دمشق مما أدى إلى قيـام صناعات بسيطة فيـها مثـل صناعة استخراج السكر من قصـب السكر [4]واستخراج ماء الورد من نبات الـورد [5]والمنسـوجات والأقمشـة والزجاج والديباج والصابون والنحاس والقرطاس والحلي والسلاح وغيرها من الصناعات[6] .

وساعدت كل من الزراعة والصناعة فـي تنشـيط التجـارة الداخليـة والخارجية ومن مظاهر التجارة الداخلية انتشار الأسواق في دمشق واهمهـا السوق الكبير[7] الذي يقع في الجابية [8] ، وكانت تباع فيه الأقمشة والنحاس

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص209 .

[2] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ،ج8، ق1، ص35 ؛ الريحاوي: مدينة دمشق، ص19 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 308 -309 ؛ ابن قاضـي شـهبه: الكواكـب الدرية، ص135 .

[4] البدري : نزهة الأنام ، ص118 .

[5] شيخ الربوة : نخبة الدهر ، ص196 ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج4،ص 78 .

[6] البدري : نزهة الانام ، ص263 - 264 .

[7] رحلة ابن جبير ، ص326 .

[8] باب الجابية : وهو باب يقع غرب دمشق . بدران : منادمة الأطلال ، ص39 . وينسب إلى الجابية وهي قرية في ناحية الجولان تقع قرب مرج الصفر فـي شـمال حـوران . ياقوت : معجم البلدان ، 2، ص91 .

والنحاس والدهن والزجاج وغيرها [1] وكانت هذه الأسواق منتظمة ومبنية على شكل طوابق وأبوابها من الحديد [2] .

ومن مظاهر التجارة الخارجية تحرك القوافل التجارية بين دمشق وغيرها من البلدان ورغم الحروب المستمرة بين المسلمين والفرنجة فان العلاقات التجارية كانت مستمرة بين دمشق والمدن الواقعة تحت احتلال الفرنجة فقد كانت القوافل التجارية مستمرة بالتنقل بين دمشق وهذه المدن [3] ، وكانت هذه القوافل ايضا تسير بين مصر ودمشق وتحمل إلى مصر الذهب والقرطاس [4] ، وقد سارت القوافل بين دمشق والجزيرة العربية حاملة إلى مكة المكرمة ماء الورد[5].

ومع هذا الانتظام في سير الحركة التجارية ولكنها عانت من بعض المشاكل كتعرض القوافل التجارية إلى غارات البدو [6]، وتأثرها بالأوضاع السياسية غير المستقرة التي كانت تلعب دورها في الحركة التجارية مما يؤثر بشكل سلبي على الأوضاع الاقتصادية فيؤدي ذلك إلى نفاذ البضائع من الأسواق واختفائها وارتفاع أسعارها بشكل كبير مما يسبب حدوث ازمة اقتصادية [7]

---

[1] البدري : نزهة الانام ، ص62-63 .

[2] رحلة بن جبير : ص326 .

[3] اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص154 ؛ رحلة بن جبير ، ص 245 ؛ المنجد : مدينة دمشق ، ص 41 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص183 ؛ قاسم:ماهية الحروب الصليبية ، ص218 .

[5] البدري : نزهة الأنام ، ص 264 .

[6] اسامة بن منقذ :الاعتبار ، ص 152 .

[7] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص322 -323 .

الفصل الرابع :

الحركة الفكرية في دمشق في عصر الأتابكية :

أولاً : سمات الحركة الفكرية

ان ابرز سمات الحركة الفكرية في عصر اتابكية دمشق الأصالة والتواصل فان هذه الحركة استطاعت ان تحافظ على طابعها العربي الأصيل بالرغم من سيادة العنصر التركي وسيطرته على شؤون الحكم في بلاد الشام [1]، ومن مظاهر هذه الأصالة ازدهار اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية المرتبطة بها[2] .

فقد استمرت اللغة العربية لغة السياسة والدين والمجتمع وبذلك استطاعت الحركة الفكرية في بلاد الشام وهي جزء من الحركة الفكرية التي شهدتها دولة الخلافة الإسلامية ان تحافظ على أصالتها المستندة إلى القران الكريم والسنة النبوية المطهرة مما جعلها صامدة أمام المؤثرات الأجنبية التي تحاول القضاء على هويتها العربية الإسلامية [3] .

اما سمة التواصل أنها كانت ذات طابع اسلامي أنساني منفتح لم تكن ذات نهج إقليمي انعزالي او قومي متعصب بل كانت جزءاً لا يتجزأ من الحركة الفكرية العامة في العالم الإسلامي ولم تكن التجزئة السائدة بين أقاليمه آنذاك تمنع هذا التواصل[4]، وقد قصد دمشق الكثير من العلماء والأدباء ومنهم الاديب الأندلسي ابو الحكم عبد الله بن المظفر الباهلي (ت549هـ/1154م) والذي قدم من الأندلس إلى دمشق واستقر

---

[1] الذهبي : العبر : ص16 ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ج2، ص340-341 .

[2] بدران : منادمة الأطلال ، ص 37 .

[3] أبن خلدون : المقدمة ، ص224 ؛ احمد محمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ،القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ،(د. ت) ،ص 393

[4] المصدر نفسه ، ص224 .

بها وسكن فـــي دار المجان وبقـــى فيها حتى وفاتها وكانت له معرفة بعلم الموسيقى [1] .

وكذلك خرج من دمشق الكثير من العلماء والأدباء والفقهاء إلى بقية بلدان العالم الإسلامي لطلب العلم ومنهم الفقيه الشافعي ابو الفتح نصر بن محمد بن عبد القوي (ت 544هـ/1149م) الذي رحل إلى بغداد واصفهان والتقى بشيوخها وفقهائها ومحدثيها وسمع منهم[2] والشاعر ابو سهل بـــن مدرك التنوخي (ت553هـ/1158م) ، الذي ذهب إلى مصـــر ورجـــع إلـــى دمشق وسكن في حماه[3]، وتدل هذه الرحلات على مدى التواصل الحضاري بين دمشق وبقية أجزاء العالم الإسلامي مما ساعد على التواصل والحفـــاظ على الأصالة .

ثانيا : عوامل ازدهار الحركة الفكرية :

رغم كثرة الحروب التي خاضتها دمشق فان النشاط الثقافي لم يتأثر فيها بـــل على العكس فقد ازدهرت الحياة الفكرية وذلك يرجع إلى عـــدة عوامل منها :

أ- ألنشاط الثقافي والحضاري الذي كان سائد بدمشق قبل قيام الاتابكية لم تكن ارض بور خالية من النتاج الحضاري بل كان ذات ارث حضاري عريق تعود أصوله إلى العهود الإسلامية عندما كانت دمشق عاصمة للخلافة الإسلامية في العصر الأموي (41- 132هـــ /660 -740م)

---

(1) أبن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص280-281 ؛ الحصـــني : منتخبـــات التواريخ ، ص483 .

(2) الذهبي : العبر ، ج4، ص116 .

(3) أبن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص507 .

فان الحركة الفكرية قد استلهمت من هذه الإرث الحضاري والفكـــري واستثمرته مع مرور الزمن [1] .

ب- الاهتمام بالعلم والعلماء ومن مظاهر هذا الاهتمام تقريب الأمير تـــاج الملوك بوري للفقيه الحنبلي عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصـــاري (ت536هـ/1142م)[2]وتقريب الأمير معين الـــدين للأميـــر الشـــاعر أسامة بن منقذ (ت584هـ/1189م) [3] وتقريب الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون التي عرفت بأنها قارئة للقران حافظة للحـــديث النبـــوي تعمل في نسخ الكتب وتبني المدارس للفقيه الحنفـــي برهـــان الـــدين البلخي (ت548هـ/1153م) [4].

ج ـ وجود العديد من العلماء والأدباء والذين ساهموا في إغنـــاء الثقافـــة العربية الإسلامية بالنتاج العلمي والأدبي حتى أصبحت دمشق مركـــز من مراكز الجذب الحضاري والفكري ومن العلماء الذين ظهروا فـــي هذه الحقبة المؤرخ المحدث الفقيه الشافعي والمتكلم الاشعري العلامة أبو الحسن هبة الله علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 573هـ/1176م) وقد أغنى الحركة الفكرية بمؤلفاته ومنها كتاب تاريخ دمشق الذي يحتوي على ثلاثة وثمانين مجلداً والذي يعد مـــن الموسوعات التاريخية والحديثية التي اثبت من خلالها علميته كمؤرخ

---

[1] الحفاظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ/1496م) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنثال ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1382هـ – 1963م ، ص293–294 .

[2] اليافعي : مرآة الجنان، ج3، ص268 ؛ النعيمي : الدارس ،ج2، ص 64–65 .

[3] اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص 4 ؛ الالوسي : اسامة بن منقذ ، ص39 .

[4] سبط أبن الجوزي : مرآة الزمان ،ج8،ق1،ص 57 ؛ الذهبي : العبـــر ، ج4 ص162 ؛ بدران : منادمة الأطلال ، ص196 .

ومحدث ومن كتبه الأخرى ايضا كتاب أطراف الكتب الستة وكتاب تبين كذب المفتري على ابي الحسن الاشعري [1] .

ومن العلماء الذين ظهروا في هذه الحقبة الولي الصالح عدي بن مسافر بن إسماعيل الأموي (ت 555هـ/1160م) وكان من أصحاب الطريقة الصحيحة في الزهد وهي طريقة سنية التزم بها منهج السلف الصالح المقيد بالكتاب والسنة [2] ، كان من سكن بيت نار قي البقاع في دمشق وذهب إلى بغداد والتقى بزهادها ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني [3] والشيخ حامد الدباس [4]وتوجه إلى الموصل وسكن فيها واعتزل في جبل هكار[5] واعتقد فيه بعض أهالي هذه المنطقة الغلو إلى درجة النبوة والألوهية مما أدى بهم إلى الخروج من الإسلام والارتداد عنه [6] .

---

[1] أبن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1، ص335 ؛ أبن الكثير، البداية والنهاية ، ج12 ص232. ؛ محمود بن محمد العدوي (ت 1032هـ/1622م):الزيارات ،تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ، المجمع العلمي العربي، 1956م ، ص 73 -74 .

[2] شيخ الإسلام احمد بن تيمية (ت728هـ/1328م) : الوصية الكبرى ، تحقيق اياد عبد اللطيف ابراهيم ، بغداد ، مطبعة الزمان ،1409هـ-1990م ، ص19 .

[3] الشيخ عبد القادر بن ابي عبد الله بن جنكي أبو محمد الكيلاني (ت 561هـ/1166م) شيخ العصر وقدوة العارفين صاحب المقامات والكرامات مدرس الحنابلة وكان متقدماً في الوعظ والكلام. الذهبي : العبر ،ج4 ص64 .

[4] الشيخ حامد بن مسلم الدباس (ت 525هـ/1130م) نشأ وكان له معمل دبس لا يعرف القراءة والكتابة وكان صاحب كرا مات وأحوال وله أصحاب واتباع دونوا كلامه في مجلدات وكان متقدما في الوعظ والكلام . الذهبي : العبر ، ج4، ص 64

[5] هكار : جبل ينسب إلى بلدة تقع في الموصل يسكنها الأكراد الهكارية . ياقوت : معجم البلدان ، ج5، ص 408 .

[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج15، ص120- 121 ؛أبن كثير:البداية والنهاية،ج12،ص243؛أبن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج4، ص 179- 180 .

من الفقهاء الذين ظهروا في هذه الحقبة الفقيه الحنفي ابو الحسن برهان الدين البلخي وهو من كبار فقهاء الحنفية ، وقد تولى التدريس في المدرسة الصادرية والمدرسة الخاتونية وغادر دمشق إلى حلب وساهم في تغيير الآذان[1] فيها 543هـ/1148 م [2]، والفقيه المالكي يوسف بن دوناس الفندلاوي (ت 543هـ/1148) الذي قدم بلاد الشام وسكن بانياس حقبة من الزمن وانتقل بعدها إلى دمشق فدرس فيها المذهب المالكي وحدث بموطأ مالك (ت179هـ/789م) وكان متعصبا لعقيدة الاشاعرة فادى به ذلك إلى معاداة الحنابلة والحط من شأنهم ، وقد شارك في قتال الفرنجة واستشهد في الحملة الصليبية الثانية سنة 543هـ/1148 م [3] .

والفقيه الشافعي ابو الحسن علي بن مسلم الدمشقي (ت533هـ/1139م) وكان من علماء المذهب الشافعي ومن العارفين من علم الفرائض والتقى بابي حامد الغزالي [4] عندما زار دمشق ، وكان له حلقة في جامع دمشق وصنف في التفسير والفقه والفرائض [5] والشيخ عبد عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري شيخ الحنابلة في بلاد الشام وباني المدرسة الحنبلية في دمشق [6].

---

[1] عندما أمر الملك العادل نور الدين محمود بإزالة حي على خير العمل من الاذان وسب الصحابة في حلب . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص494-495 .

[2] الذهبي : العبر ، ج4، ص 131 ؛ أبن كثير : البداية والنهاية ، ج12 ، ص229 .

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج15، ص35-36 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج3 ص280 ؛ العدوي : الزيارات ،ص 62-63 .

[4] أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الشافعي (ت505هـ/ 1111م) تولى التدريس في المدرسة النظامية وتتلمذ على يد أمام الحرمين الجويني وهو من أهل العلم والتقوى وا لتصون والذكاء المفرط . الذهبي : العبر ، ج4، ص10 .

[5] اليافعي: مرآة الجنان ،ج3 ، ص261 .

[6] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص270؛ أبن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12 ،ص343 .

ظهر في هذا العصر العديد من الأدباء والشعراء منهم النحوي محمد أبـــن عبد الكريم الشيباني (ت558هـ/1163م) وكان يروي عـــن ابـــن الخياط [1] ، وابن القيسراني [2] شعرهما [3] والشيخ ابو المظفر محمد بـــن اسعد العراقي (ت 567هـ/1171 م) وكان يروي عن الحريري [4] المقامات المقامات [5] والشاعر أسامة ابن منقذ وهو من أمراء العائلة الملكـــة فـــي شيزر وسكن دمشق حوالي سبع سنوات (533- 539هـ/1139- 1145م) ، وقد تمتع بمكانة مهمة لدى الأمير معين الدين آنر فمدحه ورافقـــه فـــي رحلاته وتوجه إلى مصر سنة 539 هـ/1145م[6]، ومن اشـــهر مؤلفاتـــه كتاب الاعتبار الذي يعد من الوثائق المهمة عن الحروب الصـــليبية والتـــي دون فيها مشاهداته [7] .

---

[1] هو أبو عبد الله احمد بن علي التغلبي (ت 517هـ/1123م) ويعـــرف بـــأبن ســـني الطرابلسي كتب لبعض الملوك الكبار وبلغ في النظم الذروة العليا . الذهبي : العبر ، ج4، ص 39- 40 ؛ أبن كثير : البداية والنهاية ،ج12 ، ص 193 .

[2] هو أيضا أبو عبـــد الله احمـــد بـــن نصـــر بـــن صـــغير بـــن خالـــد الاديـــب (ت 548هـ/1153م) حامل لواء الشعر في عصره تولى إدارة الساعات في دمشق رحل إلى حلب وله معرفة بالهيئة والنجوم والهندسة والحساب مدح الملوك الكبار بدمشق . الذهبي : العبر ، ج4، ص133 .

[3] تقي الدين أبن قاضي شهبه (ت851هـ/1447 م) : طبقـــات النحـــويين واللغـــويين تحقيق الدكتور محسن فياض ، النجف، مطبعة النعمان،1393 – 1973 م، ص171

[4] هو القاسم بن علي بن عثمان البصري (ت 516هـ/1102 م) حامل لواء البلاغـــة وفارس النظم والنثر وهو من رؤساء بلده . الذهبي : العبر ، ج4، ص38 .

[5] أبن قاضي شهبه: طبقات النحويين، ص171 ؛أبن قطلوبغا : تاج التراجم،ج3 ص53.

[6] أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص4 ؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص252 .

[7] ألالوسي : أسامة بن منقذ : ص39 .

ثالثا : المساجد والمدارس :

ويعد وجود المساجد والمدارس من مظاهر تطور الحركة الفكرية في دمشق ، واقدم هذه المساجد فيها الجامع الأموي الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك (ت 96هـ/715م) [1] ، وقد استمر هذا الجامع بعطائه الفكـري والحضاري حيث صار إضافة إلى كونه موضع عبادة لله تعالى يمثل مركـز من مراكز الإشعاع الفكري والحضاري في بلاد الشام ، فقد تحول إلى معهد علمي يعقد فيه الشيوخ والعلماء حلقات العلم ويمنحون فيه الإجازات العلمية لطلابهم[2]

ولأهميته بـوصفه مركـزاً علمياً تدرس فيه العلوم ويتخـرج منـه الطلبة ألحـقت فيـه المـدرسة الغـزالية المنسوبة إلى العلامة أبي حامد الغزالي [3] والحقت فيه مكتبة تضم مجموعة من الكتـب تسـمى بخزانـة الكتب[4] وبيت الخطابة الذي يدرس فيه علم الخطابة[5] .ولأهمية المساجد المساجد باعتبارها من المؤسسات الشرعية والعلمية فقد لقيت اهتماماً كبيراً من قبل سكان دمشق ومن مظاهر هذا الاهتمام بناء الأمير معين الدين آنـر المسجد المعيني [6]، وبناء الملكة صفوة الملك زمرد خاتون المسجد الواقع

---

[1] بدران : تهذيب تاريخ دمشق ،ج1 ، ص198.

[2] أبن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2 ،ق1 ، ص63؛ رحلة أبـن بطوطـة ، ص193، المنجد :مدينة دمشق ،ص261.

[3] أبن شداد : الأعـلاق الخطيـرة ، ج2 ،ق1 ،ص84؛ النعيمـي : الـدارس ،ج1 ، ص413.

[4] كرد علي : خطط الشام ، ج6، ص187.

[5] أبن فضل الله العمري (ت749هـ/1349م) : مسالك الأبصار في ممالـك الأمصـار ،تحقيق الأستاذ احمد زكي باشا ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1342هـ 1924م، ج2،ص195؛ بدران: منادمة الأطلال ، ص367 .

[6] أبن شداد: الاعلاق الخطيرة ،ج2 ،ق1 ،ص124 ؛ الذهبي : سـير اعـلام النـبلاء ج15 ، ص47.

في صنعاء دمشق [1]، وبناء الامير بزان بن مامين الكردي مسجد النقاش[2] ،وبناء الامير عطاء الحاجب مسجد عطاء[3] .

وإلى جانب هذه المساجد كانت المدارس تلعب دورها في النشاط الثقافي ، واقدم هذه المدارس في دمشق ، المدرسة الصادرية التي بناها الأمير صادر بن عبد الله سنة 491هـ /1098 م ، وكان اول من درس بها الشيخ علي بن مكي الكاشاني واعقبه في التدريس فيها الشيخ برهان الدين البلخي [4].

ومن المدارس الأخرى التي بنيت في دمشق في هذه الحقبة المدرسة الطرخانية التي بناها الحاج ناصر الدولة طرخان [5] والمدرسة البلخية الذي بناها الأمير اكز الدقاقي [6] والمدرسة الخاتونية التي شيدتها الملكة صفوة الملك زمرد خاتون ، وقد وقفت هذه المدارس على الحنفية [7].

ولم يقتصر بناء المدارس على اتباع المذهب الحنفي فقط فقد بنيت للشافعية مدارس منها المجاهدية البرانية[8] قرب

---

(1) أبن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص358 .

(2) النعيمي : الدارس ،ج1،ص503 .

(3) أبن كثير : البداية والنهاية ،ج12 ، ص232؛ النعيمي : الدارس ،ج2 ،ص347.

(4) بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص224 ؛ منادمة الأطلال ، ص178- 179.

(5) أبن شداد:الاعلاق الخطيرة،ج2،ق1،ص201 ؛كرد علي:خطط الشام،ج6 ص92 .

(6) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج2، ق1 ، ص 202- 203؛ بدران: منادمة الأطلال ، ص178 – 179

(7) أبن الأثير : الكامل ، ج9، ص301 ؛ أبو شامة : الروضتين ، ج1، ص80 ؛ أبن كثير : البداية والنهاية ،ج12،ص245.

(8) أبن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2،ق1،ص232 ؛ بدران: منادمة الأطلال ص234 .

بـــــاب الفــــــراديس [1] والجوانية قرب باب الخواصين [2] اللتان بناهمـــا بزان بن مامين الكردي [3]، والمدرسة العصرونية التي بناها قاضي قضـــاة الشافعية شرف الدين بن أبي عصرون [4]الحنابلة ايضـــا بنيــت المـــدارس ومنها المدرسة الشريفية الحنبلية التي بناها الفقيه الحنبلي عبد الوهاب بن عبد الواحد [5] والمدرسة المسمارية التي بناها التاجر المقرئ الحسن بـــن مسمار الهلالي ودرس بها الفقيه الحنبلي وجيه الدين بن منجا[6].

ومع تعدد المساجد والمدارس المنفصلة بعضها عن الاخر فان بعض المساجد ، قد الحقت بالمدارس كالمسجد الذي بناه الأمير معين الدين آنـــر والحقه بالمدرسة المعينية [7]، والمسجد الذي بناه الأمير بُزان بن مـــامين الكردي والحقه بالمدرسة المجاهديـــــة [8] والمسجد الذي بنتـــه الأميـــرة صفوة الملك زمــــــــرد خاتون والحقته بالمدرسة الخاتونية[9] وكانت هـــذه هـــذه المدارس تقتصـــر دراستها علــــــــــى العلــوم اللغويـــة والعلـــوم الشرعية المرتبطة بها [10].

ان عملية الترابط بين المسجد والمدرسة إنما تعبر عن العلاقة القوية بين الدين الصحيح القائم على التوحيد الخـــالص لله تعـــالى وبـــين العلـــم

---

[1] باب الفراديس : يقع في شمال دمشق وهو ممتد من الجامع الأموي حتى نهر بردى . بدران : منادمة الأطلال ، ص42 .

[2] باب الخواصين : هو احد أبواب دمشق مجاور باب الفراديس . كرد علـــي : خطـــط الشام ،ج6، ص 87 .

[3] أبن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص 243 .

[4] أبن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق1 ص 238-239 .

[5] الذهبي : العبر ، ج4، ص100 ؛ بدران : منادمة الاطلال ، ص234 .

[6] كرد علي : خطط الشام ، ج6 ، ص98 .

[7] أبن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق1، ص 124 .

[8] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ،ج2، ق1 ،ص121 ؛النعيمي:الدارس،ج2،ص 332 .

[9] النعيمي : الدارس ، ج1، ص503 ؛ بدران : منادمة الأطلال ، ص167 .

[10] بدران : منادمة الأطلال ، ص367 ؛ قساطلي :الروضة الغناء ، ص119 .

الدنيوي النافع الذي يعمل على تطوير الحياة المادية للإنسان ، فهي علاقة بين العبادة والعمل وبين الروح والمادة ، فالإسلام لم ينظر إلى العلم على انه ظاهرة منفصلة عن الدين كما نظرت اليه الديانات الوثنية والنصرانية المحرفة الغارقة في الشرك والجهل والخرافة مما أوقع اتباع هذه الديانات في التخلف ، بل ان الإسلام دعى إلى الأخذ بناصية العلم والتطور [1] .

فقد كان المسجد المعهد العلمي الأول الذي تخرج منه العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثون المفكرون والشعراء والنحويون الذين اسهموا في ازدهار الحركة الفكرية [2] وتطوير العلوم المختلفة كعلوم اللغة ومنها النحو والبلاغة والشعر والخطابة [3] والعلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه والعقائد[4]، والعلوم الأخرى كالطب والهندسة والمنطق والحساب والتاريخ[5].

رابعا: التيارات الفكرية وموقف الاتابكية منها :

تعد ظاهرة تعدد التيارات الفكرية في دمشق من الظواهر السائدة في الدولة العربية الإسلامية على الرغم من الصراعات السياسية السائدة فيها وكان النزاع بين هذه التيارات قائما وتعود بعض أسباب هذا النزاع إلى عوامل خارجية كالصراع بين المسلمين والنصارى والذي يرتبط بالصراع بين المسلمين والفرنجة [6].

---

[1] العمري : مسالك الأبصار ، ص202- 203 ؛ عبد الرحمن علي الحجي : أندلسيات، بغداد ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 1390هـ - 1969 م ، ص145.

[2] بدران : منادمة الأطلال ، ص363 .

[3] الذهبي : العبر ، ج4، ص100.

[4] العدوي : الزيارات ، ص94 .

[5] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص323 .

[6] كيلاني : الحروب الصليبية ، ص108 .

ويرجع البعض الأخر من أسباب هذا النزاع إلـــى عوامـــل داخليـــة فالصراع المذهبي بين اتباع المذاهب الفقهية خاصة بين الحنفية والشافعية [1] والخلاف الكلامي بين ألا شاعرة والحنابلة [2]، يعود إلى الاختلاف فـــي فهم الإسلام والاجتهاد بالـــــرأي وتعصب كل تيار مــــــن هذه التيارات إلى آرائه واجتهاده تعصباً أعمـــى مما أدى إلى إثارة النزاعات بين اتباع هـــذه التيارات [3].

لم تحاول الاتابكية ان تقف موقف المؤيد او المعارض لهذه التيارات بل وقفت موقف حيادياً ولم تتدخل في هذه الصراعات ولم يحـــاول اتابكـــة دمشق السعي إلى فرض المعتقد والمذهب الذي يؤمنون بـــه ،بـــل كـــانوا يقربون المخالفين لهم في المعتقد كتقريب الاتابك طغتكين للإسماعيلية وهم من الشيعة الغلاة [4]، او في المذهب كتقريب الأمير تاج الملوك بوري لشيخ لشيخ الحنابلة عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري [5] .

---

(1) أبن طولون : الثغر البسام ، ص 43 .

(2) الذهبي : العبر ، ج4، ص120 ؛ الحصني : منتخبات التواريخ ، ص559 .

(3) أبن خلدون : المقدمة ، ص 421-422 .

(4) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص220 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج14، ص434 .

(5) الذهبي :العبر ، ج4، ص53 ؛ أبن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص372 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج3، ص268 .

الفصل الأول :

دمشق وسياسة الجهاد في عهد الأتابك طغتكين (497- 522هـ /1104-1128م) :

أولاً : الخلفية التاريخية للحروب الصليبية :

يعد الصراع بين المسلمين والفرنجة طيلة الحروب الصليبية (488-690هـ/1095-1291م) امتداداً لذلك الصراع العقائدي الذي حدث بين العرب والروم منذ ظهور الإسلام ، والذي هو في حقيقة أمره صراع بين الإسلام والنصرانية ، فقد فتح العرب بعض أجزاء الإمبراطورية البيزنطية ، حيث كانت تسيطر على بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا ، والتي كانت تؤمن بالديانة النصرانية[1] .

وحدثت بين العرب والروم أول مواجهة حربية في عصر الرسالة ، متمثلة في غزوة مؤته[2] سنة 8هـ/630م [3] وغزوة تبوك سنة 9هـ/631م [4] وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة 11هـ/633م ، اندفعت الجيوش الإسلامية للجهاد ضد الروم وحققت الانتصارات الباهرة على جيوشهم في معارك متعددة أهمها معركة اليرموك سنة 13هـ/634م [5] والتي تم فيها تحرير بلاد

---

[1] أبن خلدون : المقدمة ، ص 270 .

[2] مؤتة : قرية من قرى البلقاء تقع في حدود الشام : ياقوت : معجم البلدان ج5، ص 220.

[3] خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ/864م) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، النجف ، مطبعة الآداب ، (1386هـ/1967م) ، ص49؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ج1 ، ص 92-93.

[4] أحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ/892م) : فتوح البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل 1866م، ص59.

[5] خليفة بن خياط : تاريخ ، ص100؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ج1،ص160.

الشام من سيطرتهم وبعدها تحرير مصر سنة 21هـ/642م[1] وشمال أفريقيا التي اكتمل فتحها سنة 88هـ/707م من احتلالهم[2].

ودخل الكثير من سكان هذه المناطق الإسلام عن قناعة راسخة بمبادئه ورسالته السامية ، بعد ان كانت النصرانية هي ديانة الغالبية من سكانها ، ونتيجة لذلك خسرت الإمبراطورية البيزنطية نفوذها السياسي والكنيسة النصرانية نفوذها الروحي والمعنوي في هذه المناطق ، بعد ان أصبحت تحت رعاية دولة الخلافة الإسلامية[3] .

واستمرت الحروب بين العرب والروم طوال العهدين الأموي والعباسي على الحدود الشمالية لبلاد الشام . ففي العصر الأموي بسط المسلمون سيطرتهم على عدد كبير من المدن في أسيا الصغرى بعد انتزاعها من الحكم البيزنطي ،[4] كما انهم هددوا القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية نفسها فحاصروها عدة مرات فامتنعت عليهم [5] .

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/871م) : فتوح مصر واخبارها ، ليدن مطبعة بريل ، 1920 ، ص 80؛ أبن اياس الحنفي : بدائع الزهور ، ج1، ص100.

[2] أبن عبد الحكم : فتوح افريقيا والأندلس ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، 1970، ص96؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص300.

[3] أبن الأثير : الكامل ، ج6، ص 230-231 ؛ عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب ص22.

[4] خليفة بن خياط : تاريخ ، ص110 ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص163 ؛ العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص 245.

[5] لقد حاول العرب فتح القسطنطينية في العهد الأموي مرتين الأولى في عهد امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ/ 661-680م) في سنة 50هـ/670م . والثانية في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/ 715-718م) وذلك في سنة 98هـ/717م محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/932م) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، 1978م ، ج5، ص232،ص 429؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج1، ص21، ص 45-46.

واستمر الصراع بين العرب والروم حتى بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/749م وقيام الدولة العباسية ، فقد اهتم الخلفاء العباسيون بالثغور الشامية وكانوا يرسلون الحملات العسكرية أليها لوقف العدوان البيزنطي المستمر عليها [1] وكان بعض الخلفاء العباسيين يقودون هذه الحملات بأنفسهم [2] ولكن البيزنطيين استعادوا قوتهم نتيجة الضعف الذي حل بالخلافة العباسية بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة247هـ/861م[3] ، واسترجعوا بعض المدن التي اخذها المسلمون منهم واندفعوا إلى داخل بلاد الشام وكادت تسقط بأيديهم، [4] غير ان ظهور الدولة الحمدانية (282-394هـ/929-1003م) كقوة حلت محل الخلافة العباسية في بلاد الشام والجزيرة ، حالت دون سقوط الشام بأيدي القوات البيزنطيية ، وساهمت في إيقاف العدوان البيزنطي على بلاد الشام[5] .

عاود البيزنطيون نشاطهم الحربي بعد ضعف الدولة الحمدانية [6] مستغلين حالة الفوضى والانقسام العقائدي والسياسي في العالم الإسلامي الذي قسم إلى عدة دويلات في

---

[1] خليفة بن خياط : التاريخ ، ج2 ، ص468.

[2] منهم الخليفة هارون الرشيد (ت 192هـ/ 809م) ، الطبري : تاريخ ، ج8، ص320؛ الذهبي : العبر ، ج1، ص287. والمأمون (ت 218هـ/ 833م) . الطبري : تاريخ ، ج8، ص625؛ الذهبي : العبر ، ج1، ص396 . والمعتصم (ت227هـ/842م) . الطبري : تاريخ ، ج9، ص57؛ الذهبي : العبر ، ج1، ص400 .

[3] الذهبي : العبر ، ج1 ، ص494.

[4] أبن دحية : النبراس ، ص94.

[5] محمد بن عبد الملك الهمداني (ت521هـ/1127م) : تكملة تاريخ الطبري ، ط2 ، تحقيق البرت يوسف فان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1961، ص164 ؛ فيصل السامر : الحمدانيون في الموصل وحلب ، بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، 1973م ، ج2 ، ص166-167.

[6] سعيد بن البطريق (ت458هـ/1066م) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، 1909 ، ص 122-123 ؛ السامر : الحمدانيون ج2 ، ص 191 -192.

المشرق والمغرب[1] . وانقسمت الخلافة الإسلامية على نفسها فقد كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء ، الخليفة العباسي في بغداد والفاطمي في القيروان ثم القاهرة فيما بعد والأموي في الأندلس [2]، فتوغل البيزنطيون في بلاد الشام في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية واقعة تحت سلطة الديالمة وكان الحمدانيون داخلون في صراع معهم [3] .

في ظل هذا الوضع ظهرت قوة جديدة هي قوة السلاجقة الأتراك بقيادة السلطان طغرل بك (ت 455هـ/1063م) وتمكنت من السيطرة على المشرق الإسلامي وحلت محل البويهين في السيطرة على الخلافة العباسية، [4]ودعت هذه هذه القوة إلى أحياء فريضة الجهاد ضد الروم ، وتوسيع دار الإسلام فانتزعت من ايدي البيزنطيين الكثير من المدن في اسيا الصغرى ، وقد الحقت قوة السلاجقة هزيمة منكرة بالبيزنطيين في معركة ملاذ كرد سنة 463هـ/1071م ، والتي كسروا بها شوكة البيزنطيين ، وأنهوا وجودهم في اسيا الصغرى ليحل

---

[1] الهمداني : تكملة ، ص 101 .

[2] ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (498هـ/1095م) جذوة المقتبس في اخبار المغرب والأندلس ، القاهرة ، الدار الوطنية للتأليف والترجمة والنشر ، 1966، ج1 ، ص36؛ سلامة محمد سلمان الهرفي:دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ،مكة المكرمة،دار الندوة الجديدة 1405 – 1985 ص37 .

[3] أبن البطريق : التاريخ المجموع ، ص115 ؛ أبن العبري : تاريخ مختصر الدول ص298.

[4] أبن العمراني : الأنباء ، ص189 ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج1 ، ص192 ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص116.

محله الوجـــود التركي علـــى المدى البعيد ، كما انهم أوقفوا الهجمات البيزنطية على بلاد الشام [(1)].

تخلى السلاجقة فيما بعد عن سياسة الجهاد ضد الروم ، نتيجة الضـــعف والانقسام الذي حل بدولة السلاجقة ، بعد مقتل السلطان ملكشاه بن الب ارسلان (ت485هـ/1092م) ، والذي ادى إلى التنافس بين الأمراء الســـلاجقة فوقعـــت الحروب بينهم من اجل الحصول على منصب الســـلطنة فتمزقـــت وحـــدتهم [(2)] وساهم هذا الوضع في تسهيل مهمة الفرنجة للسيطرة على بلاد الشام [(3)].

وعد كل من ابن الأثير وابن العبري استيلاء الفرنجة على بلاد الشـــام ، هو امتداد لحركة التوسع الفرنجي في الغرب وقد ذكرا بأن الفرنجة قبل مجيئهم إلى بلاد الشام استولوا على طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس ، واحتلوا جزيرة صقليه ووصلوا إلى شمال أفريقيا فملكوا بعض المناطق الساحلية ، وتوجهـــوا إلى بلاد الشام فوصلوا إلى إنطاكية سنة 491 هـ / 1098م [(4)].

أدى فقدان الكنيسة لنفوذها الديني والمعنوي في المناطق التي وقعت تحت سيطرة الدولة الإسلامية ، إلى رغبتها في الانتقام من الإســـلام والمســـلمين ، فوجهت الحملات العسكرية إلى الشرق ، واندلعت الحروب بدافع التعصب الديني ضد المسلمين مستهدفة من ورائها الاستيلاء على الأمـــاكن المقدســـة[(5)].عنـــد

---

(1) الذهبي : دول الإسلام ، ج1 ، ص199 ؛ أبن كثير : البداية والنهايـــة ، ج12، ص148 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، القـــاهرة ، دار القلـــم ، 1964، ص19-20؛ طلب صبار : امارة انطاكية ، ص85 .

(2) أبن الأثير : الكامل ، ج8 ، ص502؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12،ص89.

(3) أبو شامة : الروضتين ، ج1 ، ص94؛ ابو الفداء :المختصر ، ج2،ص ص210-211.

(4) أبن الأثير الكامل، ج9، ص 13؛ أبن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص 342.

(5) المقصود هنا بها مدينة بيت المقدس التي تعد من أهم المدن المقدسة عند النصـــارى. أبـــن الأثير :الباهر، ص66 ؛ أبو شامة: الروضتين ،ج1،ص94.

النصارى وانتزاعها من أيدي المسلمين ، وعبأت الشعوب الأوربيـــة مســتغلة عاطفتها الدينية الساذجة في خدمة أهداف هذه الحرب[1] .

استغلت الكنيسة الشائعات التي أطلقت حول اضطهاد المسلمين للنصارى كوسيلة دعائية لخدمة أهداف الحرب وكسب التعاطف معها، والواقع أن النصارى في البلاد الإسلامية عاشوا في حرية وأمان. بل كانوا في أفضل حالا من إخوانهم النصارى الذين عاشوا في الإمبراطورية البيزنطية. فلم تؤشر إلى حالة اضطهاد للنصارى من قبل المسلمين الا بعض الحالات الفردية القليلة ، التي كـــان لهـــا أسبابها ودوافعها ، وهي ضئيلة جدا إذا ما قيست بالحالة العامـــة التـــي كـــان النصارى يتمتعون فيها بالحرية والأمان والحقوق الكاملة ، فصورت الكنيسة هذه الحالات الفردية الشاذة على إنها حالة اضطهاد جماعي [2].

عقدت الكنيسة مؤتمراً في كليرمونت[3] سنة 488 هـ /1095م وألقى فيه البابا أوريان الثاني (ت 494 هـ /1099م) خطاباً دعى فيه إلى تحرير الأماكن النصرانية المقدسة من سيطرة المسلمين ، وإنقاذ نصارى الشرق من اضطهادهم وبين لهم ما يعانيه الحجاج الغربيين من المتاعب التي يثيرها المسلمون ضدهم وجهزت الكنيسة الحملة الصليبية الأولى (488-492 هـ /1095-1099م) التي اشترك الحرفيون والفلاحون بها ، ورفعت هــذه الحملـــة شـــعار الصـــليب ، وأصدرت البابوية قراراً أعلنت فيه بأن كل من يقتل في هذه الحرب يذهب شهيداً إلى الجنة وتغفر ذنـــوبه [4] .

---

(1) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 86.

(2) عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب، ص 21-22.

(3) كليرمونت: وهي مدينة كليرمون فيران العاصمة التاريخية لمقاطعة اوفيرن فـــي فرنســـا وهي المدينة التي أعلن فيها أربان الثاني (ت 494 هـــ / 1095م، الحـــرب الصـــليبية الأولى ضد المسلمين ، غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، ج2، ص 1476.

(4) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 86؛ الشارتري : تـــاريخ الحملـــة إلـــى القـــدس، ص26-27؛ عاشور : الحركة الصليبية، ص132-133؛ طلب صبار : إمارة إنطاكيـــة ، ص 98.

وصلت قـوات هـذه الحملة إلى القسطنطينية سنة 489 هـ /1096م وطلـب قادتهـا مـن الإمبراطـور البيزنطـي الكسـيوس كـومنين (ت 507 هـ /1113م) السماح لهم بالعبور إلى آسيا الصـغرى . فأشـترط عليهم تقديم الولاء له. فعبروها والتقوا بسلاجقة الروم وهزموهم قرب نيقية[1] سنة 490 هـ /1097[2]. وتوجهوا نحو بلاد الشام ، وقد فرضوا الحصار على إنطاكية فأسقطوها سنة(491 هـ / 1098م) . وتوغلوا في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وظهرت فيها الإمارات الأربـع ، وهـي أمـارة الرهـا (491-546 هـ1097-1151م) وإنطاكية (492-667 هـ/1098-1266م) وطـرابلس (494- 686 هـ / 1102-1211م) ومملكة بيت المقـدس اللاتينيـة (492-1098-1291م) وكانت من أكبرها ولها الزعامة الشكلية عليها[3] .

كان سكانها يسمون بفرنجة الشرق تميزاً عن فرنجـة الغـرب ، الـذين يسميهم المؤرخون المسلمون الأوائل كابن الأثير وسبط بن الجوزي وابن وأصل الفرنج الغربا[4] وكان هؤلاء يأتون للتجارة والغزو والحـج ويرجعـون إلـى بلادهم[5].

لم يرد مصطلح الصليبية عند المؤرخين المسلمين الأوائـل المعاصـرين للحروب الصليبية ، الا عند الرحالة ابن جبير (ت 614هـ/1216م)[6]. الـذي

---

(1) نيقية : مدينة من أعمال أسطنبول تقع في البر الشرقي منها : ياقوت معجم البلـدان ، ج5- ص 333.

(2) أبن الأثير : الكامل :، ج9، ص 15؛ أبن خلـدون: العبـر ، ج5، ص 183؛ المطـوي العروسي: الحروب الصليبية، ص 39.

(3) أبن الأثير : الباهر ، ص ص32-33؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص 75 ؛ أبن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ، ص 206؛ عوض: الحروب الصليبية، ص 115. حتي : تاريخ العرب ، ص 761.

(4) الكامل ،ج9، ص354؛مراة الزمان ، ج8، ق1، ص98؛مفرج الكروب ،ج1، ص113 .

(5) الداواداري: الدرة المضية ، ص 504.

(6) كيلاني: الحروب الصليبية، ص8-9.

كان يطلقه على المراكب والسفن[1]، ولم يكن هذا المصطلح يطلق على سكان هذه الإمارات. فقد أطلق المؤرخون المسلمون عليهم تسميات متعددة ، فقد كان أبن الأثير يسميهم بفرنج الشام [2] وسبط بن الجوزي بالسواحلية [3] وابن واصل بالفرنج الساحلية [4]. وثبت الفرنجة نفوذهم في بلاد الشام التي كانت تعاني من الضعف والاضطراب بسبب الصراعات والانقسامات السائدة بين صفوف المسلمين[5].وكانت الخلافتان العباسية [6] والفاطمية[7] في مرحلة الضعف والهرم. والسلاجقة منشغلين في الصراعات الداخلية فيما بينهم [8]. وفي ظل هذا الوضع ظهرت دولة الاتابكية في بلاد الشام ، لتأخذ على عاتقها المساهمة في حركة الجهاد ضد الفرنجة ، وكان اشهر اتابكتها الذين شاركوا فيها ، الأتابك طغتكين (ت 522 هـ / 1128م) الذي استطاع إيقاف تقدم الفرنجة في بلاد الشام[9] .

---

(1) فقال(والتماس ركوب البحر مع تجار النصارى وفي مراكبهم المعدة لسفر الخريف والمعروفة عندهم بالصليبية) رحلة أبن جبير ، ص 224.

(2) الكامل، ج9، ص 354.

(3) مرآة الزمان ، ج8 ق1، ص 198.

(4) مفرج الكروب: ج1، ص 113.

(5) أبن الأثير : الكامل ، ج8، ص503-504.

(6) أبن الأثير : الباهر ، ص 51؛ عاشور أضواء جديدة ، ص 18.

(7) أبن ميسر : تاريخ أخبار مصر، ج2، ص 42؛ عاشور :العلاقات بين الشرق والغرب ص 430.

(8) الذهبي: العبر،ج4، ص 51؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق، ج7، ص 261.

(9) وأشار إلى ذلك أبن الأثير فقال [فأنهم كان لهم من أتابك طغدكين شاغل ومانع عن بعض أغراضهم وكانوا متى حصروا حلب وغيرها جمع طغتكين عسكره وسار نحوهم فيرحلون الباهر، ص 138.

ثانياً : التعاون بين دمشق والقاهرة (498- 518هـ / 1105- 1124م).

يعد التعاون بين دمشق والقاهرة هو أخطر ما واجه مملكة بيت المقدس في بداية نشوئها ، لانه أوقعها بين ضغط القوتين السورية من الشمال والمصرية من الجنوب(1). وقبل التحدث عن هذا التعاون لابد من معرفة الأوضاع الأوضاع التي سبقته من أجل معرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيامه . فقد سعى الفاطميون إلى التحالف مع الفرنجة منذ وصولهم إلى بلاد الشام سنة (490 هـ /1097م) فأرسل الوزير الأفضل بدر الجمالي (ت 515 هـ /1121م)(2).المتحكم بشؤون الخلافة الفاطمية وفداً إلى قادتهم وهم يحاصرون إنطاكية(3)، وحمل هذا الوفد اقتراحا من الوزير الأفضل في تقسيم بلاد الشام ، فيأخذ الفرنجة الأقسام الشمالية بما فيها إنطاكية والفاطميون الأقسام الجنوبية بما فيها فلسطين بعد إخراج السلاجقة (4) ، وكانت لديهم الرغبة في إعطاء بعض أجزاء الشام لتكون حاجزا بينهم وبين السلاجقة (5)، وهم كبقية طوائف الباطنية يفضلون التعاون مع الكفار أعداء الإسلام وحماة دار الحرب

---

(1) عاشور : الحركة الصليبية، ج1، ص502-503.

(2) الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي (ت 515 هـ/1121م) تولى الوزارة بعد موت أبيه بدر الجمالي سنة 487هـ / 1094م. وتولى في مصر وزارة السيف والقلم للخليفتين =المستعلي بالله (ت 487 هـ /1094م) والآمر بأحكام الله (ت 525 هـ /1130م) واستبد بالسلطة دونهما ، وكان هو صاحب السلطة الحقيقية وكانا معه مجرد صورة خليفة لا معنى لها يتميز بسداد الرأي والشجاعة والشهامة. قتل على أيدي الباطنية بسبب تسامحه مع المخالفين لمذهب الدولة الفاطمية من السنة وغيرهم وتضييقه على أئمة الباطنية ، أبن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج5، ص 222.

(3) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة: ص 59؛ زابروف : الصليبيون من الشرق، ص 119.

(4) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج1: ص 363؛ طلب صبار : امارة انطاكية ص 122.

(5) ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص14 ؛ كيلاني : الحروب الصليبية ،ص8.

على التعاون مع المسلمين السنة حماة دار الإسلام[1] ويكنون الكراهية للسلاجقة الأتراك السنة الموالين للخلافة العباسية الذين أنتزعوا بلاد الشام مــن حكمهــم وحاولوا القضاء على خلافتهم لغرض توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية[2].

لم يلق المقترح الفاطمي في تقسيم الشام بين الفرنجة والفاطميين القبول والترحيب من قبل قادة الحملة الصــليبية الأولــى (488- 492 هـــ/1095-1099م) الذين وجدوه مخالفا للمنطق ، لتعارضه مع الهدف المعلن لهذه الحملة والذي تسعى من خلاله إلى استعادة بيت المقدس من أيدي المســلمين. ورجــع الوفد الفاطمي إلى مصر خائباً لم يستفد من الفرنجة شيئاً[3].

رغم فشل المفاوضات بين الخلافة الفاطمية والفرنجــة. فقــد اســتمات الفاطميون من أجل عقد التحالف مع الفرنجة والوقوف معهم ضد المســلمين ، ومع وضوح أطماع الفرنجة بشكل علني في بلاد الشام ، وخاصة فــي المــدن الواقعة تحت الحكم الفاطمي، كانت الخلافة الفاطمية تتجاهل هذه الأطماع، ولــم تقدم أي مساعدة للسلاجقة الذين تصدوا للقوات الفرنجية في إنطاكية. وأســتغل الفاطميون انشغال السلاجقة بدفع خطر الفرنجة عن بلاد الشام ، فأرسلوا قواتهم إلى بيت المقدس ، التي انتزعتها من ايلغازي وسقمان ولدي أرتق بن اكسب في شعبان سنة (491 هــ / 1098م)، وكانا يحكمان المدينة نيابة عن الملك دقاق ملك دمشق[4].

وقفت الخلافة الفاطمية من تقدم الفرنجة واندفاعهم إلى جنوب بلاد الشام موقف المتفرج ، ولا زال الأمل بجدوها في إقامة التحالف مع الفرنجة وأصيبت

---

[1] رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 345.

[2] البنداري : مختصر دولة آل سلجوق ، من ص 65-66؛ أبن كثيــر : البدايــة والنهايــة ج12، ص 116.

[3] مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 63؛ الهرفي: دولة المرابطين، ص 39.

[4] أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 135، أبــن شــداد: الاعــلاق الخطيــرة، ج2 ق2 ص 201.

بخيبة أمل كبيرة عند وصول الفرنجة إلى بيت المقدس ، وفرض الحصار عليها مدة خمسة أسابيع (14 رجب –22 شعبان سنة 492 هـ 15 حزيران/ 15 تموز 1099م) فانتزعوها من الحكم الفاطمي[1].

أن سقوط بيت المقدس يعد صدمة عنيفة للفاطميين ، حملت الوزير الأفضل أن يرسل رسالة إلى قادة الفرنجة يستنكر فيها الموقف العدائي الذي اتخذوه ضد الخلافة الفاطمية ، الساعية إلى محالفتهم وكسب صداقتهم. وقد أهمل قادة الفرنجة أي رد على رسالة الأفضل ، لكنهم بعثوا قواتهم إلى عسقلان والحقوا بالقوات المصرية هزيمة منكرة أضطر الوزير الأفضل وقواته على أثرها العودة إلى مصر[2].

استنادا إلى هذه المواقف العدوانية للفرنجة تجاه الخلافة الفاطمية ، اندلعت الحرب بين الفرنجة والفاطميين الذين أرسلوا حملة عسكرية كبيرة إلى عسقلان في رمضان سنة (494 هـ/ 1101م) بقيادة الأمير سعد الدين القواسي لاستعادة المدن التي أخذها الفرنجة من الفاطميين ، واشتبكت هذه القوات مع قوات مملكة بيت المقدس من السنة نفسها قرب عسقلان وكانت نتيجة المعركة مقتل الأمير سعد الدين القواسي وهزيمة قواته أمام الفرنجة[3].

وبعد هذه الهزيمة أرسلت الخلافة الفاطمية حملة عسكرية أخرى إلى عسقلان سنة 495 هـ/1102 م وحاصرت هذه القوات مدينة يافا وألحقت الهزيمة بقوات الفرنجة ولم تهنأ القوات الفاطمية بهذا النصر بعد هزيمتها أمام

---

(1) أبن الجوزي: المنتظم، ج10، ص 39؛ أبن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 342 أبن أياس الحنفي: بدائع الزهور، ج1، ص 62؛ قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، ص 129.

(2) مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة، من ص 123–124، أبن دحية : النبراس، ص 145؛ أبن ميسر : تاريخ أخبار مصر، ج2، 39؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ص 283 .

(3) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 140؛ ذياب : سياسية الدول الإسلامية، ص 262.

قوات مملكة بيت المقدس التي أعادت تنظيمها عند وصول الإمدادات اليها مــن طريق البحر بعد هزيمتها أمام القوات الفاطمية قرب يافا[1].

أرسلت الخلافة الفاطمية حملة عسكرية أخرى بقيادة شرف المعالي بــن الوزير الأفضل إلى عسقلان سنة 496 هـ / 1103م وفي أثناء وصــول هــذه القوات إلى عسقلان بعث الوزير الأفضل إلى الملك دقاق ملك دمشق وطلب منه تقديم المساعدة للقوات المصرية المرابطة في عسقلان ، والتــي وافــق علــى تقديمها لهذه القوات ولكنه لم يرسل هذه المســاعدة لتعــرض دمشــق إلــى اضطرابات داخلية[2].

فتحت دمشق أبوابها للاجئين من مدينة عكا،التي سقطت بيــد الفرنجــة وأستقبل الملك دقاق واتا بكه طغتكين واليها الفاطمي زهــر الدولــة بــن نبــأ الجيوشي في شعبان سنة 497 هـ /1104 م ، فأكرمــه واستضــافه وجهــزه وأرسله إلى مصر وقد أثنى الوزير الأفضل على الموقف الإسلامي النبيل الــذي وقفه الملك دقاق واتابكه طغتكين تجاه والي عكا وأهلها ، وهذه تعد أول بــذرة من بذور التعاون بين دمشق والقاهرة[3]. وأخذت مظاهر هذا التعاون تأخذ شكلاً جدياً من خلال إرسال دمشق قواتها لمساعدة القوات المصرية التــي أرســلتها الخلافة الفاطمية إلى فلسطين بقيادة سنا الملك بن الوزير الأفضل والتي عسكرت في عسقلان سنة (498 هـ /1105م)[4] .

وأرسل الوزير الأفضل إلى الأتابك طغتكين ملك دمشق ، الذي كان منشغلاً بمشاكله مع أسرة تاج الدولة تتش على الحكم بعد موت الملك دقاق ســنة 497 هـ/1104م ، وما ان تخلص من هذه المشاكل حتى أرسل قوة عسكرية تقــدر

---

(1) الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص 122.

(2) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 142؛ أبن الأثير : الكامل ، ج9، ص 68.

(3) أبن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج2 ق2 ،ص 174؛ أبن ميسر: تاريخ أخبار مصر، ج2 ص 40؛ أبن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص 163؛ ذياب: سياسية الدول الاســلامية، ص 264.

(4) أبن القلانسي ذيل تاريخ دمشق، ص، ص 148-149.

بحوالي الفين وخمسمائة من الفرسان والمشـــاة ومعهـــم أعـــداد كبيـــرة مـــن المتطوعين البدو الساكنين بأطراف دمشق ، ووصلت إلى عســـقلان والتحقـــت بالقوات المصرية المرابطة بها ، وقد توجهت أليها قوات مملكة بيت المقـــدس بقيادة الملك بلدوين الأول (ت 511 هـــ /1118م)، واشـــتبكت مـــع القـــوات المصرية والدمشقية التي خرجت من عسقلان. وكانت نتيجة المعركـــة انتصـــار قوات مملكة بيت المقدس ومقتل جمال الملك وإلى عســـقلان وعـــودة القـــوات المصرية إلى عسقلان والدمشقية إلى بصرى بعد هذه الهزيمة[1].

وأستمر القتال بين دمشق ومملكة بيت المقدس فقد خرج الأتابك طغتكين على رأس قوة عسكرية توجهت إلى حصن علعال الذي يقع بن الثنية والســـواد فأباد حاميته واستولى على ما موجود فيه وخربه وعاد إلى دمشـــق بـــرؤوس القتلى والأسرى والغنائم إلى دمشـــق فـــي 15 ربيـــع الآخرســـنة 499 هـــ /1106م[2].

وخرجت القوات الدمشقية سنة 500 هـ /1107 للتصدي لقوات مملكـــة بيت المقدس التي تواصل عدوانها على حوران وسواد طبرية. وفي الوقت الذي كانت فيه تستعد فيه القوات الدمشقية للتصدي لقوات مملكة بيت المقـــدس فـــي حوران وطبرية هجمت فيه القوات المصرية المرابطة بمدينة صور بقيادة واليها عز الملك انوشتكين على حصن تبنين[3] ،ولما سمع الملك بلدوين الاول انبـــاء هذا الهجوم اضطر إلى سحب قواته من حوران وســـواد طبريـــة قبـــل حـــدوث

---

[1] الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص 138؛ أبن ميسر: تاريخ أخبـــار مصـــر، ح2، ص 151؛ ذياب : سياسية الدول الإسلامية، ص 265؛ المعاضيدي : الحياة السياسية فـــي بلاد الشام، ص 126.

[2] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 149؛ أبن الأثيـــر : الكامـــل ،ج9، ص 68؛ أبـــن ميسر . تاريخ أخبار مصر، ج2، ص 51.

[3] تبنين: بلدة تقع بن دمشق وصور: ياقوت : معجم البلدان: ج2، ص 14.

المواجهة مـــع قوات دمشق مما خفف الضغط عليها فتوجه إلى مدينة صــور بعد ذلك [1].

وفي السنة نفسها تعرضت منطقة البلقاء إلى عدوان قوات مملكــة بيــت المقدس وقتلت الكثير من سكانها وأخذت الكثير منهم أســرى وحصــلت علــى الغنائم في أثناء غياب أميرها الأصبهفذ التركماني في دمشق. وقد أشتبكت قوات مملكة بيت المقدس مع الأمير الاصبهفذ التركماني أثناء عودته اليها من دمشق فكسرته وانهزم إلى حوران وأستقبله الأتابك طغتكين[2].

وردا على قيام القوات المصرية بالهجوم على حصن تبنين فرض الملــك بلدوين الأول الحصار على مدينة صور سنة 501 هـ /1108م وبنى قلعة على تل المعشوقة على تل المعشوقة المقابل لمدينة صور: فأضطر واليها عز الملــك انوشتيكن إلى مراسلة الملك بلدوين الأول فأعطاه ســبعة الآف دينــار فأخــذها وأنسحب من صور[3]. وتوجه بعد ذلك بقواته إلى مدينة صيدا وفرض عليهــا الحصار بالتعاون مع قوات الأسطول الجنوبي الذي تعرض إلى هزيمة منكرة امام الأسطول المصري قرب صيدا. وأضطرت قوات مملكة بيت المقدس إلى رفــع الحصار عن المدينة بعد وصول القوات الدمشقية لنجدتها [4].

بعد هذه الأحداث ساد الهدوء جبهة القتال بين دمشق وبيــت المقــدس واستمرت المراسلات بينهما ثم عقدت بينهما هدنة سنة 502 هـ/ 1108م.أمدها أربع سنوات تم فها تقسيم خراج مناطق سواد طبرية وجبل عوف على أن يكون

---

[1] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ،ج8،ق1، ص19؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصــليبية ،ج2، ص156 .

[2] الشارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص141 ؛ أبن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشــق ، ص 158-159 .

[3] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ،ج8، ق1ص19؛ ابن ميسر : تاريخ اخبار مصر ، ج2، ص42- 43 .

[4] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 162؛ ذياب :سياسية الدول الاسلامية، ص 263.

لكل منهما الثلث والثلث الباقي للفلاحين[1] ، ولم تلتزم مملكة بيت المقدس بهذه الهدنة فوجهت قواتها إلى بعلبك لغرض احتلالها وعسكرت قربهـا واسـتمرت المراسلات بين دمشق وبيت المقدس وعقدت بينهما هدنة في صفر سـنة 503 هــ/1109م تنازلت فيها دمشق عن ثلث خراج البقاع إلى بيت المقدس[2].

ونقضت مملكة بيت المقدس هذه المعاهدات مع دمشق فأرسلت قواتها إلى طبرية وطلب الملك بلدوين الاول من أمير طرابلس سنجيل (ت507 هــ/113م) أرسال القوات اليه. وقد خرج الأتابك طغتكين على رأس قواته عنـدما وصـلته الأنباء بمقدم قوات بيت المقدس لملاقاتها ووصل طغتكين إلى منطقة اللجاة [3] فنزل بها ، وأصبحت قواته وجهاً لوجه أمام قوات مملكة بيت المقـدس التـي عسكرت في منطقة الصنمين[4]، وتجنب طغتكين الصدام المباشر معهـا متبعـاً أسلوب الضغط عليها[5].

وذلك بإرسال قوة كبيرة من الفرسان للسيطرة علـى منـاطق المعـابر والمسالك فمنعت وصول الإمدادات والمساعدات والمؤن إلى معسكرات الفرنجة مما أدى إلى عقد هدنة إرباك وضعها وجعل موقف مملكة بيت المقدس حرجـاً مما جعلها تضطر إلى جديدة مع دمشق سنة 504 هــ/110م. تقاسـمت فيهـا دمشق مع بيت المقدس خراج السواد وجبل عوف والمناطق التي تسكنها قبيلة آل الجراح الطائية مناصفة ولم تختلف هذه الهدنة عن سابقاتها الا في قسـمة الخراج وضم بعض المناطق[6].

---

[1] القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 171 ؛ حبشي : نور الدين والصليبيون، ص 11.

[2] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8ق1، من ص30-31.

[3] اللجاة: أسم يطلق على الحرة السوداء في صرخد . ياقوت : معجم البلدان ، ج5، ص 13.

[4] الصنمين : قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان: يـاقوت، معجم البلدان، ج3، ص 431.

[5] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 174.

[6] سبط بن الجوزي:، مرآة الزمان: ج8، ق1، ص 35.

ساد الهدوء وتوقف القتال بين دمشق وبيت المقدس التي عادت قواتها إلى فلسطين بعد عقد هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه مستمراً بين القوات المصرية وقوات الفرنجة التي أنتزعت المدن الساحلية من أيدي الفاطميين فاستولت على بيروت وطرابلس سنة 503 هـ/1109[1] وصيدا سنة 504هـ/1110م [2]. وحاولت الاستيلاء على عسقلان فأرسل اليها واليها الأموال فأخذتها ورحلت عن المدينة [3].

وتوجهت قوات مملكة بيت المقدس إلى مدينة صور سنة 505 هـ/1111م. فأرسل والي المدينة عز الملك انوشتكين وأعيانها إلى الأتابك طغتكين يعرضون عليه تسليم المدينة له ، وطلبوا منه إرسال النجدة والمساعدة والا اضطروا إلى تسليم المدينة للفرنجة، عندما أدركوا عجز الخلافة الفاطمية عن مساعدتهم، في الوقت نفسه الذي أرسل اليهم الأتابك طغتكين قوة تقدر بمئتي فارس بعدتهم الكاملة ، وفي هذه الأثناء وصلت إلى المدينة قوات مملكة بيت المقدس وفرضت عليها الحصار عليها في 25 جمادي الاخرة وقطعت الاشجار المحيطة بها وبنت منها بيوتاً لسكنى الجند[4].

وفشلت هذه القوات من دخول المدينة عدة مرات بسبب أسوارها المنيعة والمقاومة الباسلة التي أبداها أهل صور والقوتين المصرية والدمشقية الموجودة داخلها، وقد حاول الأتابك طغتكين بكل الوسائل تخفيف الحصار عن المدينة، فقد خرج إلى مدينة بانياس وأرسل قواته منها للاغارة على بعض المدن الواقعة تحت سيطرة الفرنجة للضغط على مملكة بت المقدس وأجبارها على الانسحاب من صور، ولكن هذه المحاولة لم تجد نفعاً. وأرسل قوة عسكرة لمساعدة

---

[1] أبن الجوزي: المنتظم ، ج9 ، ص163 ؛ الذهبي : دول الاسلام، ج2، ص 23.

[2] أبن الأثير : الكامل ، ج9 ، 139 ؛ أبن شداد الاعلاق الخطيرة ، ج2،ق2 ، ص99 .

[3] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 172، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ح8 ق1 ص 34-35.

[4] أبن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج2، ق2 ، ص67 .

المحاصرين داخل المدينة ولكن أحكام الفرنجة الحصار عليها منع هذه القوة من دخولها فأضطرت إلى العودة[1] .

وتوجه الأتابك طغتكين إلى حصن الحبيس الواقـع فـي سـواد طبريـة فأستولى عليه وخربه وقتل من فيه وأباد الحامية المرابطة به ورجع إلى دمشق ولم تؤد هذه الجهود إلى تخفيف الحصار عن المدينة التي استمر الفرنجة فـي حصارها[2]. وأستخدام الفرنجة أبراجاً مصنوعة من الخشب في حصار المدينـة والذي حاول الأتابك طغتكين تخفيفه عنها وأتفق مع أهل المدينة علـى حـرق الابراج في الوقت الذي تقوم فيه قواته بالهجوم على قوات الفرنجة لمحاصـرة المدينة. مستغلين أنشغالها بصد القوات الدمشقية وكشف الفرنجة هذه الخطـة وشددوا الحراسة على الأبراج[3].

وعانى المحاصرون داخل المدينة الآمرين وتدهور وضعهم بسبب طـول مدة الحصار ودخول فصل الشتاء البارد، ومع وجود هذه المصاعب والمتاعـب فقد عمل الأتابك طغتكين بكل الوسائل المتاحة على تخفيف الضغط عـن مدينـة صور من أجل رفع الحصار عنها فقد كانت قواته تشن الغـارات علـى قـوات الفرنجة فقطعت طرق المؤن والإمدادات عنها وقطعت الجسر الذي يـربط بـين صور وصيدا فانقطعت طرق الإمدادات والمساعدات التي كانت تأتيهم عن طريق هذا الجسر[4].

وقد أتخذ الفرنجة الطريق الساحلي منفذاً تصل إليهم الإمدادات منه بعـد قطع الجسر الذي يربط بين صور وصيدا ، كما أرسلت دمشق بعض قواتها لقطع هذا الطريق فهجمت على ساحل صيدا وأحرقت الكثير من السـفن والمراكـب الراسية فيه وقتلت الكثير من البحارة المتواجدين فيه، ومن أجل تقوية معنويات

---

[1] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 178.

[2] المصدر نفسه، ص178–179؛ الباز العريني: الشرق الأوسط، ج1، ص 314.

[3] سبط الجوزي : مرآة الزمان، ج8، ق1، ص 38.

[4] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 178–179؛ أبن شداد : الاعـلاق الخطيـرة؛ ج2 ق2 ص 167.

أهل صور أرسل الأتابك طغتكين اليهم الرسائل التي يحثهم فيها علـــى الصـــمود بوجه العدو، وأدت هذه الأعمال إلى تقوية صمود أهل صـــور وأضـــعاف قـــوة الحصار الذي فرضه الفرنجة[1].

وزحفت قوات الفرنجة ومعها أبراج الخشب لتسلق أسوار المدينة، فألقى أهل المدينة النيران على الابراج واصابت بعض أجزاء البرج الصـــغير والتـــي سرعان ما تم أطفاءها، ووصلت قوات الفرنجة إلى السور وثلمت بعض أجـــزأه ودفنت الخندق المحيط بالمدينة وصدم أهل المدينة البرج الكبير الملاصق للسور بالكبش الحربي الذي صنعه أحد بحارة المدينة، وأستخدموه في رمـــي البـــرج الكبير الـــــذي التهمنه النيـــــران فهجموا عليه وأستولوا على مـــا فيـــه مـــن السلاح والعتاد[2].

وأشتبك أهل صور مع قوات الفرنجة التي أوقعوا في صفوفها المزيد من القتلى وأسروا العديد من أفرادها واستولوا على معداتها فاضطرت إلى الرحيـــل عنها في 10 شوال سنة 505 هـــ/ 1111م.بعد أن أحرقت الـــزوارق وبيـــوت الخشب التي بنتها، وفي هذه الأثناء وصل طغتكين فلم يسلم أهل صور المدينـــة اليه وشكروه على المساعدة التي قدمها لهم[3]،وقال لهم (إنا مـــا فعلـــت الا لله تعالى لا لرغبة في حصن ولا مال ومتى دهمكم عدو جئتكم بنفس ورجـــالي)[4] ورجع إلى دمشق ومعه القوة الدمشقية التي كانت تقاتل الفرنجة في صور[5].

تهيأت مملكة بيت المقدس مرة اخرى للتوجه إلى مدينة صور سنة 506 هـــ/1112م ، وعندما علم والي المدينة عز الملـــك انوشـــتكين وأهلهـــا بهـــذه التحركات أرسلوا إلى الأتابك طغتكين يعرضون عليه تسليم المدينة وقالوا له(أن

---

(1) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج8 ق1. ص 38.

(2) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 179-180.

(3) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ص181،أبـــن شـــداد: الاعـــلاق الخطيـــرة، ج2، ق2ص 167.

(4) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج8ق1، ص 39.

(5) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 181.

أرسلت الينأ والياً وعسكراً والا سلمنا البلد إلى الفرنج)[1]،فأن شعور أهل المدينة بعجز الخلافة الفاطمية في الدفاع عن المدينة وأعتقادهم بأن الأتابك طغتكين لن يبخل عليهم بالمساعدة أن طلبوها فقد أرسلها إليهم عندما تعرضت مدينتهم لعدوان الفرنجة سنة 505 هـ/111م،هو الذي دفع أهل صور إلى طلب المساعدة من الأتابك طغتكين[2].

وعندما وصلت اليه رسالة أهل صور أرسل إلى الأمير مسعود بن السلار والي مدينة بانياس وطلب منه تسليم المدينة إلى الامير تاج الملوك بوري بن طغتكين، والتوجه إلى صور وتسلمها من واليها الفاطمي عز الملك انوشتكين فدخلها ووزع الأموال والغلال التي حملها معه على أهل المدينة وبقيت الخطبة والسكة للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (ت525 هـ/1130م) فحكمت حكماً ثنائياً من قبل القاهرة ودمشق فمن الناحية الدينية والروحية كانت تابعة للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله في القاهرة ومن الناحية السياسية كانت تابعه للأتابك طغتكين في دمشق[3] .

وقد أصيب الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس بخيبة أمل كبيرة عندما وصلت اليه الأخبار بتسلم الأتابك طغتكين مدينة صور من الفاطميين والتي سبقه أليها في الوقت الذي كان تستعد فيه قواته للزحف عليها والتوجه أليها، وعندما أدرك صعوبة أحتلالها أرسل إلى واليها الأمير مسعود بن السلار وعقد معه

---

[1] أبن الأثير: الكامل، ج9، ص 228.

[2] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 182؛ الباز العريني : الشرق الاوسط، ج1، ص 340.

[3] أبن الأثير : الكامل ،ج9، ص 288؛ أبن شداد : الاعلاق الخطيرة، ج2 ق2، ص 168؛ ذياب: سياسة الدول الاسلامية ، ص 298.

معاهدة صداقة[1]، وقد أرسل الأتابك طغتكين إلى الوزير الأفضل طالباً إرسال لأسطول اليه[2].

وأرسل الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله والوزير الأفضل مبعوثهما إلى دمشق سنة 507 هـ /1113م، ومعه الخلع والهدايا إلى الأتابك طغتكين وخواصه وولي عهده الامير تاج الملوك بوري والامير مسعود بن السلار والي صور وقد أثنى الوزير الأفضل على الموقف النبيل الذي وقفه الأتابك طغتكين تجاه مدينة صور وأهلها، وقد أقرت الخلافة الفاطمية حكم الأتابك طغتكين لها، وأرسلت الأسطول المصري حاملاً الأموال والمؤن إلى القوات المرابطة لها[3].

أستقرت الأوضاع بها وفتحت طرق البحارة ورخصت الاسعار [4]، ويعد هذا التحالف معجزة لأنه لأول مرة في التاريخ يحدث تحالف بين السنة والشيعة ضد الكفار وهم الفرنجة النصارى. فقد تجاوز حكام دمشق السنة وحكام القاهرة الشيعة هذا الخلاف الطائفي المقيت في هذه الظروف ، وكان حكام دمشق يستهدفون من ورائه هذا التحالف توحيد الصف الإسلامي ضد الفرنجة[5] وحكام القاهرة يسعون من ورائه استعادة ما أخذه الفرنجة من ممتلكاتهم أو على الأقل الحفاظ على ما تبقى منها بأيديهم[6].

---

[1] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 182؛ عاشور: الحركة الصليبية، ج1، ص 513.

[2] فقال له الأتابك طغتكين [أن بغدوين قد جمع وحشد للنزول على صور وأن أهلها التمسوا مني دفعة فبادرت بانهاض من اثق بشهامته وشجاعته لحمايتها والمرماة دونها اليه وحصلوا فيها ومتى وصل من مصر من يتولى أمرها ويذب عنها ويحميها بادرت بتسليمها اليه وخروج نوابي منها وانا ارجوا أن لا يهمل أمرها وأتفاذ الاسطول بالغلة والتقوية لها] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 182؛ أبن شداد الاعلاف الخطيرة، ج2 ق2. ص168-169.

[3] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج1، ق1، ص 45؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام، ص 175.

[4] أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 182.

[5] عاشور : الحركة الصليبية، ج1، ص 515.

[6] أبن الصيرفي : الإشارة ، ص 60-61؛ عاشور : الحركة الصليبية، ص515-515.

ولم يكتب لهذا التحالف الاستمرار بسبب مقتل الوزير الأفضل في 23 رمضان سنة 515 هـ /1121 في أحد شوارع القاهرة ومجيء الوزير ابو عبد الله المأمون البطائحي (ت 520 هـ/1121)[1] الذي تولي الوزارة بعده ولم يكن هذا الوزر يدرك أهمية الدور الذي تلعبه دمشق في أحداث الشام وخاصة في الحفاظ على ما تبقى من أملاك الدولة الفاطمية على الساحل الشامي فلم يسع الحفاظ على الصداقة معها كما كان يسعى إلى ذلك الوزير الأفضل الذي يعد مقتله خسارة كبيرة لهذا التحالف[2].

فقد أرسل المأمون الأسطول إلى مدينة صور فقبض على الأمير مسعود بن السلار سنة 516 هـ/1122 م، بعد إرسال أهلها إلى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله والوزير المأمون يتشكون منه بسبب المظالم الذي ارتكبها بحقهم وأرسل الأمير مسعود إلى القاهرة واكرم من قبل الخليفة الآمر باحكام الله والوزير المأمون ثم ارسل إلى دمشق وبعث المامون رسالة إلى الأتابك طغتكين أعتذر فيها منه عن أخذه مدينة صور دون علمه وأسره واليها الامير مسعود بن السلار وشكره على الجهود التي بذلها في حماية المدينة ومنع سقوطها بيد الفرنجة، وقبل الأتابك طغتكين أعتذاره وأعرب عن استعداده تقديم المساعدة إذا طلبها منه[3]، وتسلم الفاطميون المدينة التي بقيت تحت حكم دمشق عشر

---

[1] ابو عبد الله المأمون البطائحي (ت 520 هـ/1126م): وقد تولى الوزارة بعد مقتل الوزير الأفضل حوالي ثلاث سنوات (515-519 هـ)(1122-1125م) وبنى الجامع الأقمر بالقاهرة وعمل حمالا في السوق فدخل دار الأفضل خلال عمله بهذه المهنة فأعجب به الأفضل والحقه بسلك الخدم وتدرج بالوظائف إلى أن تولى الوزارة وقد قتله الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله (ت 525 هـ/113) بسبب الخلافات القائمة بينهما، الذهبي: العبر، ج4، ص44-45، أبن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج299،5.

[2] أبن ميسر: تاريخ اخبار مصر: ج2، ص 63.

[3] أبن الاثير : الكامل، ج9: ص 288؛ أبن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج2 ق2، ص 169.

سنوات (506-516 هـ/1112-1122م) وأزال الوالي الفاطمي المظالم التـــي أحدثها الأمير مسعود بن السلار[1].

أستفادت مملكة بيت المقدس من تفكيك التحالف بين دمشـــق والقـــاهرة فتجددت أطماعها بمدينة صور، فأرسلت قواتها أليها. وارســـل والـــي المدينـــة الفاطمي إلى القاهرة لطلب النجدة من الخلافة الفاطمية فأرسلت اليه الأســـطول المصري الذي أنهزم أمام الأسطول الجنوبي بعد أصطدامه به قرب مدينة صور سنة 517 هـ/ 1123م وعلى اثر ذلك شعر الوالي الفاطمي بالعجز عن الـــدفاع عن المدينة. وطلب المساعدة من الخليفة الفاطمي الآمر بأحكـــام الله ، فـــأمره بارجاع المدينة إلى الأتابك طغتكين فتسلمها منها وشحنها بالقوات والمؤن مـــا أعتقد فيه الكفاية في حماية المدينة[2].

وقد فرضت قوات مملكة بيت المقدس الحصار على المدينة بالاشتراك مع الأسطول الجنوي وطلب طغتكين من الخلافة الفاطمية إرسال أسطولها لمعاونته في حماية المدينة ومنع سقوطها بيد الفرنجة فلم تفعل[3]، وحاول الأتابك طغتكين يمنع سقوط المدينة بيد الفرنجة ولكن الظروف التي مرت بها المدينة كانت أقوى من الأتابك طغتكين ومنها.

1 .أن الحصار الذي فرضته قوات الفرنجة على المدينة قد اثر على أهلها تأثيراً كبيراً فقد نفذت المواد الغذائية وقلت المؤن وسئموا القتال وأشـــرف الكثيـــر منهم على الهلاك. وقد حاول طغتكين أن يخفف الضغط على المدينة فخـــرج عل رأس قواته إلى بانياس للاقتراب منها لاعتقاده بأن الفرنجة ســـيرحلون

---

[1] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 210.

[2] أبن شداد: الاعلاق الخطيرة ، ج2 ق2 ، ص170 ؛ عاشور : الحركة الصليبية ، ج1، ص 521.

[3] أبن الأثير: الكامل، ج9، ص 288؛ أبن اياس الحنفي: بدائع الزهور ، ج1، ص 67.

عنها حال رؤيتهم قواته ولكنهم لم يبالوا بها، بل شددوا الحصار على المدينة في ربيع الأول سنة 518 هـ/1113م[1].

2. **أفتقار موقف الأتابك طغتكين العسكري إلى المدد المصري الذي لم يأت أليه ولهذا فقد أرسل إلى الملك بلدوين الثاني (ت 526 هـ / 1132م) ملك بت المقدس بعد فشل جميع المحاولات التي حاول من خلالها الأتابك طغتكين الحفاظ على المدينة من السقوط بيد الفرنجة وإشراف أهلها على الهلاك يعرض عليه تسليم المدينة اليه مقابل السماح لاهل صور والقوة الدمشقية الموجودة داخلها بالخروج منها بسلام وقد وافق الملك بلدوين الثاني على ذلك ، وقد خرج الأهالي ومعهم أموالهم والقوة الدمشقية ولم يتعرض لهم أحد فدخلها الفرنجة في 23 جمادي الاخرة سنة 518 هـ/1124[2] وبسقوطها[3]. وقع الساحل كله بيد الفرنجة ولم يبق خارج نفوذهم سوى مدينة عسقلان التي ظلت تقاوم حتى سنة 548 هـ/1153م[4].**

ثالثاً : التعاون بين دمشق وطرابلس(498–503هـ/1105–1109)

تعرضت طرابلس التي كان بنو عمار يحكمونها إلى عدوان الفرنجة سنة 498 هـ/1105م وقد وصلت أستغاثته إلى دمشق في الوقت الذي كان فيه الأتابك طغتكين مصاباً بمرض أشرف فيه على الموت وكان خائفاً على دمشق

---

(1) الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس ، ص215 ؛ أبن ميسر : تاريخ اخبار مصر :ج2، ص 64 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام. من ص 179–180 .

(2) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 211؛ أبن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج2 ق ص 170–171؛ ذياب: سياسية الدول الاسلامية، ص 271.

(3) الذي وصفه أبن الأثير فقال عنه[كان.. وهنا عظيماً عظيماً على المسلمين فأنه من أحسن البلاد وأحصنها] الكامل ، ج9، ص 299.

(4) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8ق1، ص 215؛ القرماني : أخبار الدول، ص 279، كيلاني : الحروب الصليبية، ص 18.

من السقوط بيد الفرنجة بعد موته[1] ، فأضطر هو والأمير فخر الملك بن عمار (ت510 هـ/1116م) إلى طلب المساعدة من الامير سقمان بن أرتق (ت 498 هـ/1105) أمير ماردين الذي وصل إلى القريتين شمال دمشق لنجدتهما فمات بها وحمل جثمانه إلى ماردين[2] ، وعقد ابن عمار الهدنة مع ريموند السنجيلي سنة 498 هـ/1105[3].

ونقض الفرنجة المعاهدة التي عقدوها مع امارة طرابلس سنة 500هـ/1107م فأرسل كل من الأتابك طغتكين والامير فخر الملك بن عمار إلى السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (ت 511هـ/1118م) يطلبان المساعدة منه وشكوا له ما تعانيه بلاد الشام من عدوان الفرنجة، فأرسل اليها حملة عسكرية كبيرة توجهت نحوها، ولكن وقوع الاختلافات بين قادتها منعها من مواصلة تقدمها فرجعت إلى العراق[4].

أستنجد ابن عمار مرة اخرى بالسلاجقة عندما تعرضت طرابلس إلى عدوان الفرنجة سنة 501 هـ/ 1107م. فغادرها إلى بغداد فترك عليها ابن عمه ذا المناقب نائباً له فيها ونظم أمورها وحصنها ، ثم توجه إلى دمشق وبقى فيها اياماً ومنها توجه إلى بغداد برفقة الأمير تاج الملوك بوري، حاملاً إلى الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي الأموال والهدايا ، وقد وصل أليها وفي أثناء وجوده في بغداد استولى الأسطول المصري على طرابلس وقبض على عائلة فخر الملك واخذها إلى مصر عندما راسل اهل طرابلس الوزير الأفضل لتسليم المدينة اليه[5]

---

(1) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 146.

(2) أبن الأثير : الكامل ، ج9، ص82 –83 .

(3) أبو الفداء : المختصر، ج2، ص 216.

(4) أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 156؛ عبد الرؤوف: بلاد الجزيرة، ص 216.

(5) أبن شداد: الاعلاق الخطيرة ، ج2 ق2، ص 110؛ أبن ميسر: تاريخ أخبار مصر، ج2، ص43.

رجع فخر الملك من بغداد بعد سماعه نبأ أستيلاء الوزير الأفضل على طرابلس فوصل إلى دمشق ومنها توجه إلى جبله[1]التي استولى عليها بمساعدة القوات الدمشقية التي أرسلها معه الأتابك طغتكين عندما طلب منه المساعدة سنة 502 هـ/1109 م.عندما أظهر أحد موالي عمار الذي كان يحكم حصن عرفة[2]التابع له العصيان عليه وكان الفرنجة موجودين حول هذا الحصن وقد كان ابن عمار يخاف عليه من السقوط بيد الفرنجة[3]، فكتب إلى الأتابك طغتكين وعرض عله تسليم الحصن[4].

في هذه الاثناء كانت القوات الدمشقية تخوض المعارك الضروس ضد قوات مملكة بيت المقدس في طبرية بقيادة الأتابك طغتكين والتي تمكنت من الحاق الهزيمة المنكرة بها وتكبيدها الخسائر الفادحة من القتلى والأسرى وأستولت القوات الدمشقية على الكثير من الغنائم ، وكان من بين الأسرى الذين وقعوا بأيدي القوات الدمشقية قائد قوات الفرنجة الأمير جرفاس ابن اخت الملك بلدون الأول وقد عرض عليه الأتابك طغتكين الاسلام ولكنه رفض فقتله وأرسل الأسرى والغنائم إلى بغداد وبعد هذه المعركة عقدت بين دمشق وبيت المقدس هدنة امدها أربع سنوات[5].

---

[1] جبله: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت : معجم البلدان، ج2، ص 105.

[2] عرقة: بلدة بينها وبين البحر نحو فرسخ بينها وبين طرابلس أثنا عشر ميلاً وبينها وبين بعلبك ستة وستون ميلاً: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 255.

[3] أبن الاثير : الكامل، ج8، ص 502.

[4] وقال أبن عمار لطغتكين [أرسل من يتسلم هذا الحصن مني قد عجزت عن حفظه ولأن يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج. أبن الأثير : الكامل، ج8، ص 502.

[5] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 162؛ الذهبي : العبر، ج4، ص3؛ أبن خلدون: العبر، ج5؛ كرد علي، خطط الشام، ج1، ص 264.

بعد توقف القتال في طبرية أرسل الأتابك طغتكين قائده إسرائيل إلى حصن عرقه فتسلمه من ابن عمار، ولكن القائد إسرائيل قد سيطرت عليه نزعة الطمع والانانية فوجد في الحصن الاموال والأمتعة فأستولى عليها وأراد الاستئثار بها فقتل مولى ابن عمار حتى لا يعلم الأتابك طغتكين بها، وتوجه الأتابك طغتكين إلى حصن عرقة لكن هطول الامطار والثلوج حال دون الوصول اليه، وفي طريقه استولى على عدد من الحصون أهمها حصن الاكمة، وأصطدمت قوات الأتابك طغتكين بقوات الأمير ريموند السنجيلي التي تركت حصار طرابلس وأشتبكت مع القوات الدمشقية التي يقودها الأتابك طغتكين فالحقت قوات الفرنجة الهزيمة بها وأوقعت في صفوفها المزيد من الخسائر فهرب على أثرها الأتابك طغتكين إلى حمص ومنها توجه إلى دمشق[1].

توجهت هذه القوات إلى حصن عرقة وأنتزعته من سيطرة القوات الدمشقية وقبضت على القائد إسرائيل وأخذته أسيراً ثم أطلق سراحه مقابل اطلاق سراح احد قادة الفرنجة الموجود في الأسر بدمشق قبل سبع سنوات والتزمت دمشق بالمعاهدة المعقودة بينها وبين بيت المقدس عندما طلب الملك بلدوين الأول من الأتابك طغتكين الالتزام بها[2].

رجع تنكرد إلى حصار طرابلس فأخذها من الفاطميين في ذي الحجة سنة 502 هـ/1109[3]،. وتوجه بعد ذلك إلى مدينة جبله وفرض عليها الحصار وقد قاومت المدينة القوات الفرنجية مقاومة عنيفة الا أن الظروف الصعبة التي مرت بها المدينة أضطرت ابن عمار إلى طلب الامان فدخلتها القوات الفرنجية

---

(1) أبن الأثير : الكامل، ج9، من ص 130-131؛ أبن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج2، ق2، ص 94؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8 ق، من ص 28-29.

(2) أبن الأثير : الكامل ، ج9، ص 131؛ أبن خلدون: العبر ج5، ص 152؛ طلب صبار : امارة انطاكية ، ص167 .

(3) الذهبي : العبر، ج4، ص3.

في 22 ذي الحجة سنة 502هـ/1109م فرحل عنها إلى شيزر وبعدها رجع إلى دمشق واستقر بها واقطعه الأتابك طغتكين منطقة الزبداني[1].

رابعاً: التعاون بين دمشق وسلاجقة العراق (04–517هـ/1110–1123م):

أتخذت السلطنة السلجوقية في العراق المواقف السلبية تجاه الوجود الفرنجي في بلاد الشام والتي فشلت في انقاذ بعض اجزاء من السقوط بيد الفرنجة[2]. ولم تتخذ أي محاولات جدية تجاه الوجود الفرنجي في بلاد الشام الا بعد تسليم الامير مودود بن التوتكين (ت 507 هـ /1113) حكم الموصل بين عامي (502- 507/1108-1113م) والذي تولى قيادة الجيوش السلجوقية التي أشتركت في الجهاد ضد الفرنجة ببلاد الشام. فقد أمره السلطان محمد بن ملكشاه بالتوجه اليها فوصل بقواته إلى مدينة الرها وفرض الحصار عليها في شوال سنة 503 هـ/1110م ، الامر الذي أضطر مملكة بيت المقدس وامارتي انطاكية وطرابلس أن ترسل قواتها المساعدة أمارة الرها ضد السلاجقة[3] .

اخذ الأتابك طغتكين وقواته بمراقبة ورصد تحركات قوات مملكة بيت المقدس المتوجه لنجدة القوات المحاصرة من قبل السلاجقة ، ولما وصل الجيشان لنجدة من يعنيهما آمرهما في الرها وقعت معركة عنيفة بين المسلمين والفرنجة قرب شاطئ الفرات اضطرت على اثرها قوات الفرنجة إلى اللجوء إلى مدينة الرها بعد هزيمتها أمام القوات الإسلامية مما مكن السلاجقة من تشديد

---

[1] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 164-165؛ أبن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ج12،ص70؛ البار العويني: الشرق الأوسط، ج1، ص 438.

[2] ابن الاثير :الكامل،ج9، ص ص15-16؛ابو الفداء:المختصر ، ج2، ص ص210-211 .

[3] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 165؛ أبن خلدون: العبر، ج5، ص 154.

الحصار عليها وعاد الأتابك طغتكين إلى دمشق لاطمئنانه على الوضع ، ولم يدم الحصار طويلا لما عاناه السلاجقة من صعوبات التموين[1].

عاد الأمير مودود مرة أخرى لقتال الفرنجة فقاد حملة عسكرية أشترك فيها كبار امراء الدولة السلجوقية كالأمير برسق بن برسق أمير همدان والأمير سقمان القطبي أمير أرمينيا والأمير أحمد يل امير مراغة[2]، والامير ابو الهيجاء أمير اربل ، وقد خرجت هذه الحملة من العراق في أواخر سنة 504 هـ أ بناءً على أوامر السلطان محمد بن ملكشاه فوصلت إلى مدينة تل باشر[3] وفرضت عليها الحصار فوقع الاختلاف بين قادتها واستمال الأمير جوسلين الأول امير الرها أحمديل بالأموال والهدايا مقابل الانسحاب من تل باشر[4].

فرحلت عنها قوات الحملة وتوجهت إلى حلب سنة 505 هـ/111 م ومارست شتى أنواع التخريب من قتل وسلب ونهب وتهديم، فأغلق الملك رضوان بن تاج الدولة تتش (ت507 هـ/1103م) أبواب حلب بوجهها ، وفي اثناء ذلك مات الأمر سقمان القطبي وقد رجعت قواته إلى أرمينيا وهي تحمل جثمانه. وتوجهت البقية من قوات الحملة إلى معرة النعمان وقع الاختلاف بين قادتها مرة اخرى وعاد جميع الأمراء إلى العراق ولم يبق سوى الأمير مودود الذي اجتمع بالأتابك طغتكين الذي جاء بقواته للانضمام إلى قوات الحملة السلجوقية قرب نهر العاصي[5].

---

[1] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 169–170، أبو شامة : الروضتين، ج1، ص 68؛ خليل :عماد الدين زنكي ، ص136 .

[2] مراغة : بلد مشهورة باذربيجان ، ياقوت : معجم البلدان، ج5، ص 93.

[3] تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة تقع شمال حلب : ياقوت معجم البلدان ج2، ص 40.

[4] أبن الأثير : الكامل، ج9، ص 143؛ الذهبي : العبر، ج4، ص9؛ أبن خلدون العبر، ج5، ص 152.

[5] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص70؛ أبن العديم: زبدة الحلب ، ج2، ص 155.

وقد أستنجد بهما الأمير سلطان بن علي بن منقذ (ت549 هـ/1154) أمير شيزر عند تعرضها إلى العدوان الفرنجي بعد رحيل قوات الحملة السلجوقية إلى العراق وقد وجه مودود وطغتكين بقواتهما اليها ولكن القوات الفرنجية اثرت الانسحاب فلم تصطدم بقواتهما فتوجهت إلى افامية فذهب الأمير مودود إلى مدينة سروج ورجع الأتابك طغتكين إلى دمشق في اوائل سنة 506 هـ /1112م[1].

ورجع الأمير مودود مرة اخرى إلى بلاد الشام في نهاية عام 506 هـ/1113م. بعد تعرض دمشق إلى العدوان الفرنجي الذي شنته مملكة بيت المقدس التي وصلت قواتها إلى ضواحي دمشق ، فانقطعت طرق المواصلات وتعرقل وصول المواد والبضائع اليها مما أدى إلى أنفاذها من الأسواق وأرتفاع أسعارها مما نتج عنه حدوث أزمة أقتصادية داخل دمشق، فأضطر الأتابك طغتكين إلى طلب المساعدة من الأمير مودود الذي خرج من الموصل على رأس قواته وكان يرافقه فيها الأمير اياز بن ايلغاري أمير سنجار فرحلت إلى بلاد الشام ووصلت إلى دمشق[2].

وعسكرت في الاقحوانة[3] قرب نهر الأردن وأشتبكت مع قوات مملكة بين المقدس بقيادة الملك بلدوين الأول والتي أنهزمت أمام القوات الإسلامية التي تعقبتها وقتلت الكثير من أفرادها كما غرق الكثير من أفراد القوات الفرنجية في بحيرة طبرية ونهر الاردن، وتصدت للقوات الفرنجية التي أرسلتها أمارتي انطاكية وطرابلس لنجدة قوات مملكة بيت المقدس فهربت إلى جبال طبرية وأعتصمت بها، فتركتها القوات الإسلامية فتوجهت إلى فلسطين وتوغلت داخلها

---

[1] اسامة بن منقذ: الأخبار، ص 68-69؛ الذهبي :دول الاسلام، ج2، ص 25؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة ، ص ص143-144.

[2] سبط بن الجوزي : مرآة الزمان: ج8 ق1، ص 42-43؛ أبن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 175-167؛ أبن الوردي: تتمة المختصر، ج2، ص 30.

[3] الاقحوانة:موضع بالأردن على شاطيء بحيرة طبرية. ياقوت :معجم البلدان، ج1، ص 234 .

وشنت الغارات على مدنها فوصلت إلى بيسان[1] ،وتقدمت إلى عكـا وخربـت المناطق الواقعة بين بيسان وعكا ثم توجهت القوات الإسـلامية إلـى طبريـة وأستمرت بمحاصرة القوات الفرنجية المعتصمة بها التي لم تخرج لقتالها. وأمر مودود برجوع القوات إلى دمشق فـي ربيـع الأول سـنة 507 هـــ/1113 م للاستراحة من عناء القتال أستعداداً لاستئنافه مرة أخرى[2] .

ورجع الأمير مودود إلى دمشق وسكن فيها ويبدو أن جهاده للفرنجة قـد أغاظ الباطنية عليه فقاموا بقتله في جامع دمشق بعد إدائه صلاة الجمعة فيـه وكان مقتله خسارة كبيرة لحركة الجهاد[3] ، فرجعت القوات السلجوقية المرافقة له إلى العراق ، وقد ساءت العلاقة بين السلطان محمد بـن ملكشـاه والأتابـك طغتكين بعد مقتل الأمير مودود وذلك لاعتقاد السلطان محمد بن ملكشـاه بـأن الأتابك طغتكين كان له دور بمقتل الامير موددود وتحريض ذلك البـاطني علـى قتله[4]. فارسل حملة عسكرية لمقاتله طغتكين بقيادة برسق بن برسق فعبـرت

---

[1] بيسان: مدينة تقع في الجانب الغربي من غور الأردن بينها وبين طبرية ثمانية اميـال، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 243.

[2] أبن الجوزي: المنتظم، ج10، ص 167؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمـان، ج8 ق1 ص 22-23؛أبن كثير: البدايـة والنهايـة، ج12 ص 175-176؛ قاسـم: ماهيـة الحـروب الصليبية، ص 135.

[3] وقد سكن مودود دمشق وأستضافه املك طغتكين وحضر كل منهما صلاة الجمعة وهـي آخر جمعة من ربيع الاخر سنة 507 هـ /1113م في مسجد دمشق الجامع الاموي بعـد أنقضاء الصلاة تمشيا في ساحة الجامع وألتقيا بباطني يتظاهر بـزي متسـول فضـرب الامير مودود بالخنجر وأصابه بجروح بليغة أدت إلى حدوث نزيف شديد فحمـل إلـى الدار الاتابكية ولكنه توفىعلى أثر هذه الجروح فقبض على الباطني فتم تنفيذ حكم الاعدام فيه جزاء جريمته هذه. وقد حزن عليه الأتابك طغتكين واقام لـه العـزاء . الشـارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص 154ا ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 187-179.

[4] لم يثبت أي من المؤرخين المسلمين المعاصرين للحروب الصلبيبية بالدليل القاطع اشـتراك الملك المجاهد طغتكين في حادثة قتل الأمير مودود سنة 507 هـ/1113م ، فـأن سـكوت بعض المؤرخين كالفارقي: تاريخ ميافارقين، ص280؛ وأبن الجوزي: المنـتظم،ج10،ص

نهر الفرات فوصلت إلى حلب فاغلق الاتابك لؤلؤ الخادم المتحكم بشؤونها أبوابها امام الحملة ورفض تسليم المدينة إلى قائدها برسق بن برسق عندما طلب منه ذلك [1].

ووصلت قوات الحملة إلى حماة التابعة لدمشق وسلمتها للامير خير خان بن قراجا (ت 529هـ/1135م) امير حمص وقد اعلن كل من الأتابك طغتكين أمير دمشق والامير ايلغازي (ت 516هـ/1122م) امير ماردين العصيان ضد السلطان محمد بن ملكشاه وقطع خطبته عندما ارسل السلطان هذه القوات للقضاء عليهما وقد انضم اليهم الاتابك لؤلؤ الخادم وشمس الخواص مقدم عسكر حلب [2].

ولجاء هؤلاء الامراء إلى الامير روجر (ت513هـ/1119هـ) أمير انطاكيا للتحالف ضد السلاجقة ويعد التحالف بين طغتكين الحاكم المسلم والفرنجة الكفار ضد السلاجقة المسلمين من المؤاخذات التي تؤخذ على هذا المجاهد الذي نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين ويعتبر من التحولات الخطيرة في حركة الجهاد الإسلامي التي كان لها تاثيرا سلبيا عليها وتمثل هذا التاثير بتحول الأتابك طغتكين من قائد شارك في عملية الجهاد ضد الفرنجة إلى حليف يقف معهم ضد المسلمين [3]

---

130 عن اشتراكه في هذه الحادثة وبراءة بعض المؤرخين كالبنداري:مختصر دولة آل سلجوق ، ص158؛ وسبط بن الجوزي : مرآة الزمان،ج8، ق1 ، ص 23 من الاشتراك بها يثبت عدم تورطه بها اما قول أبن الأثير (قيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله) الكامل ،ح9،ص230 فأنه لا يصلح دليل على اثبات التهمة لأنه ورد بصيغة التمريض فهو دليل قائم على الظن.

[1] أبن الأثير : الكامل ، ج9، ص344 ؛ أبن كثير : البداية والنهاية ، ج12 ، ص187 179 ؛ أبن خلدون : العبر ، ج5، ص 153 .

[2] اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص90 ؛ أبن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص45؛ الجندي : تاريخ معرة النعمان ،ج2،ص161 ؛الباز العريني : الشرق الاوسط ، ص323 .

[3] أبن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 174 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ،ج1،ص464 .

وانضم إلى هذا التحالف بلدوين الأول ملك بيت المقدس وألامير بـونز (ت 531 هـ/1137م)أمير طرابلس ، وأستمرت الحملة السلجوقية في فعاليتها العسكرية في بلاد الشام فاستولت على كفر طاب وفشلت في الاستيلاء على قلعة افامية واشتبكت مع قوات الفرنجة قرب معركة النعمان سنة 509 هـ/1115 م فانهزمت قوات الحملة السلجوقية أمامها ورجعت بعد هذه الهزيمة إلى العراق. واجتمعت قوات التحالف قرب افامية وأتفقت على محاربة السلاجقة[1].

ولكن هذا التحالف لم يكتب له النجاح فقد أصابه التفكك رجـوع الأتابـك طغتكين والامير ايلغازي وشمس الخواص إلى بلادهم[2]،وبسبب النزاع الـذي حدث بين دمشق وبيت المقدس حول مدينة رفنية التابعة لدمشق والتي أستولى عليها الملك بلدوين الأول فاسترجعها منه الأتابك طغتكين واخذ منها الكثير مـن الاسرى والغنائم وعاد إلى دمشق[3].

وتوجه الأتابك طغتكين إلى بغداد لمقابلة السلطان محمد فـي ذي القعـدة سنة 509 هـ/115 م، استقبله وعفا عنه وقبل اعتذاره واصدر لـه مرسـوما ولاه فيه ولاية الشام حرباً وخراجاً[4]. وكان من عوامل فشل هذه الحملـة فـي تحقيق أهدافها انها لم تكن لصالح عملية الجهاد ضد الفرنجة بل هدفها القضاء

---

[1] الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص 155؛ اسامة بن منقذ: الاعتبار ن مـن ص 90-91؛ الجندي: تاريخ معركة النعمان، ص 162-163.

[2] أبن الوردي: تتمة المختصر، ج2، ص 33؛ أبن خلدون: العبر، ج5، ص 153.

[3] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج1، ق1 ص 56؛ الـداواداري: الـدرة المضـيئة، ص 487؛ زامباور : معجم الانساب ،ج1، ص46 .

[4] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 193؛ الذهبي : دول الاسـلام: ج2، ص27؛ أبـن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 179؛ المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام، مـن ص176-177.

على الأتابك طغتكين[1] ، ومع فشل هذه الحملة في القضاء على الأتابك طغتكين فأنها ساهمت في تفكيك الجبهة الإسلامية وانحياز بعض قادتها إلى الفرنجة وتحالفهم معهم ضد المسلمين[2] وقد أثبتت فشل الحملة الحقائق الاتية .

1. **ضعف النفوذ السلجوقي في بلاد الشام الذي أصبح هامشياً وضعيفاً بعد مقتل الأمير تاج الدولة تتش(ت 488هـ/1095) . وتعرض بلاد الشام للانقسام بعد مقتله [3]. وانشغال السلطنة السلجوقية بالصراعات الدائرة بين السلاجقة أنفسهم[4].**
2. **قوة النفوذ الذي كان الأتابك طغتكين يتمتع به في بلاد الشام وعدم وجود الشخصية التي تحل محله في التأثير في احداث الشام[5].**
3. **ادراك السلاجقة الخطأ الذي وقعوا فيه واعترفوا بأهمية الدور الجهادي الذي لعبه الأتابك طغتكين باعتباره من المجاهدين الذين وقفوا بوجه اطماع الفرنجة في بلاد الشام[6]. وتيقنوا بان معاداة الأتابك طغتكين وعزله عن ولاية دمشق سيؤدي إلى الارتماء باحضان الفرنجة والتحالف معهم مما سيكون له أثره السلبي على حركة الجهاد[7].**

رجع الأتابك طغتكين من بغداد سنة 10 5 هـ /1116 وأستأنف حركة الجهاد وأستمر التعاون بين دمشق والسلطة السلجوقية التي أرسلت قواتها

---

(1) وقد وضح هذا الهدف المؤرخ الذهبي فقال[قدم عسكر السلطان محمد الشام للانتقام من طغتكين لاللجهاد فنهبوا حماة وهي لطغتكين فأستعان بالفرنج فأعانوه] العبر، ج4، من ص17-18.

(2) أسامة بن منقذ: الاعتبار ، ص 90؛ أبن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص 32.

(3)الفارفي: تاريخ ميافارفين، ص 224-245 ؛ حتي: تاريخ العرب، ص750-751.

(4) ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص71 .

(5) أبن الأثير: الكامل ، ج9، ص 247؛ خليل: عماد الدين زنكي ، ص 138.

(6) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج14، ص 434 .

(7) أبن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 174؛ أبن الوردي : تتمة المختصر ، ج2: ص 32.

بقيادة الأمير اقسنقر البرسقي (ت 520 هـ/1126)[1] امير الموصل الذي توجه إلى بلاد الشام لمساعدة الأتابك طغتكين لصد العدوان الذي شنته قوات امارة طرابلس على منطقة البقاع سنة 510هـ/ 1116 م واشتبكت معها والحقت بها هزيمة منكرة ورجعت قوات السلاجقة إلى العراق بعد هذا الانتصار الذي احرزته على قوات امارة طرابلس وكذلك رجع الأتابك طغتكين إلى دمشق [2].

عادت القوات السلجوقية مرة اخرى إلى بلاد الشام سنة 517 هـ /1123م بقيادة اقسنقر البرسقي فوصلت إلى قلعة عزاز قرب حلب وأشتركت مع قوات دمشق بقيادة الأتابك طغتكين في حصار القلعة وكادت تستلم نتيجة شدة الحصار عليها ، ولكن إرسال امارة إنطاكية قواتها لنجدة القلعة وأشتباكها بالقوات السلجوقية والدمشقية والحاق الهزيمة بها وتكبيدها الخسائر الفادحة من القتلى والاسرى والغنائم حال دون سقوط القلعة مما اضطر كلا من امير الموصل وملك دمشق إلى الرحيل عنها والعودة إلى بلديهما بعد إلحاق قوات امارة إنطاكية الهزيمة بقواتها[3] .

خامساً :التعاون بين دمشق وحلب (511–514هـ/1117–21120)

تعرضت مملكة حلب إلى مشكلات وأضطرابات داخلية بعد موت الملك رضوان بن تاج الدولة (ت 507 هـ/113م) ومجيء ابنه الملك الب ارسلان (ت 508 هـ/114م) إلى الحكم الذي كان ظالما كأبيه ، وقد نصبه الاتابك لؤلؤ الخادم المتحكم بشؤون حلب ، وكان أول عمل للملك الب ارسلان أن أمر بإبادة

---

[1] اقسنقر البرسقي (ت 520هـ/1126م) قد ولاه السلطان محمد ملكشاه (ت 511 هـ /1118م) ولاية الموصل بعد مقتل الامير مودود سنة 507 هـ /113م وأستولى على مدينة الرحبة وسار إلى حلب وامتلكها ودفع الفرنجة عنها بعد مكاتبة أهلها ويوصف بالتدين والعدالة قتل على أيدي الإسماعيلية في الموصل سنة 520هـ/1126م .الذهبي :العبر، ج4 ص 46.

[2] سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص63

[3] الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص 224؛ أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 206؛ أبن الراهب : التاريخ، ص 74.

الباطنية الذين كان أبوه يقربهم[1] ، وطلب من الملك طغتيكن تــدبير شــؤون مملكته فغادر الملك طغتيكن دمشق إلى حلب وبسبب سوء الاوضاع فيها تركها ورجع إلى دمشق[2].

استمر لؤلؤ الخادم يتحكم في امور حاب وكان صاحب الكلمة العليا والنفوذ القوي فيها فقتل الملك الب أرسلان سنة 508 هــ/1174 ونصب أخاه ســلطان شاه ملكاً على حلب وأستمر لؤلؤ الخادم يتحكم بشؤون حلب إلى أن نخلص منه مماليك الملك ألب أرسلان قرب قلعة نادر فقتلــوه ســنة 510 هـــ /1116م. فاضطربت أمور حلب مما اطمع الفرنجة في احتلالها[3] .

ولخوف الحلبيين على مدينتهم من السقوط بأيدي الفرنجــة فقــد أثــروا تسليمها إلى الأمير ايلغاري بن ارتق (ت 516 هــ/1222م) على أن لا تقع بيد الفرنجة وهكذا دخلت حلب تحت حكم الارانقة سنة 511هــ /1117م[4] ، لتحل محل أسرة تاج الدولة تتش التي تم القضاء نهائياً على حكمها في دمشق أولاً سنة 497 هــ/1104 م فحل محله حكم الاسرة الطغتكينية[5]،وحلب ثانياً بعــد إحلال حكم الاراتقة محلها، وهكذا تم القضاء نهائياً على حكم اسرة تاج الدولــة تتش بن ألب أرسلان في بلاد الشام[6].

عقد الأمير ايلغاري هدنة مع امارة انطاكية ليتفرغ إلى معالجة الاوضــاع الداخلية في حلب والاستعداد للحرب ، فذهب إلى ماردين لتنظيم أمورها فرجــع إلى حلب ونقضت امارة إنطاكية المعاهدة التي عقــدتها مــع الاميــر ايلغــاري

---

(1) أبن الأثير: الكامل، ج9، ص 151؛ الذهبي: دول الاسلام، ج2، ص 63، قاسم : ماهيــة الحروب الصليبية ، ص 135.

(2) أبن العديم: زبدة حلب، ج2، ص 191؛ الذهبي : العبر، ج4، ص 16.

(3) أبن الأثير: ج9، ص 170-171؛ أبن كثير : البداية والنهاية، ج12، ص 180؛ عاشــور الحركة الصليبية ج1، ص 504.

(4) أبن العديم: زبدة الحلب، ج5، ص 185.

(5) أبن خلكان: وفيات الاعيان: ج2، ص 265؛ أبن خلدون: العبر، ج5، ص 150.

(6) أبن الأثير: الكامل، ج9، ص 171.

فاستعان بالأتابك طغتكين وذهب اليه في دمشق للالتقاء بـه سنة 512 هـ /1118 م واستقبله مع رجال دولته وتم الأتفاق بينهما بأن يذهب الأمير ايلغاري إلى ماردين وان يكون اللقاء بينهما في حلب في صفر سنة 513هـ /1119م[1].

توجه الأمير ايلغاري إلى ماردين وجلب معه قوة كبيرة من التركمان بعد رجوعه منها إلى حلب والتي وصل اليها الأتابك طغتكين في ربيع الاول سنة 513 هـ /1119م. أي بعد الموعد المحدد بينهما فخرجا من حلب على رأس قواتهما والتقيا بقوات امارة انطاكية التي كان يقودها الامير روجر امير انطاكية فوقعت بينهما معركة عنيفة قرب سرمدا[2] الواقعة بين حلب وانطاكية وانتهت هذه المعركة بمقتل الأمير روجر وهزيمته قواته في ربيع الأول سنة 513 هـ /1119م[3].

بعد رجوع الأتابك طغتكين من حلب توجه إلى منطقة الثنيه[4] ومنها ارسل بعض قواته بقيادة ابنه الأمير تاج الملوك بوري للتصدي للهجوم الذي شنته قوات مملكة بيت المقدس على اذرعات[5] ، فتصدى لها الأمير تاج الملوك بوري فهزمته وكبدت قواته الكثير من القتلى ، فأضطر إلى الرجوع إلى الثنية ومنها عاد إلى دمشق مع أبيه الأتابك طغتكين الذي أرسل إلى الأمير ايلغاري يطلب منه المساعدة للتصدي لهذا الهجوم ولم تكتف بذلك بل توجهت قواتها إلى حوران فالتجأ الكثير من أهلها إلى منطقة اللجاة للاعتصام بها والهرب من قوات

---

(1) أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 199-200؛ سبط الجوزي : مرآة الزمان ج8، ق1 ص 80-81؛ الذهبي : العبر ،ج4،ص28 .

(2) سرمدا: مدينة من أعمال حلب ياقوت : معجم البلدان، ج3، ص 215.

(3) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص 40؛ أبن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: ج12، ص 89؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 149؛ طلب صبار : امارة انطاكية ، ص ص 143-144.

(4) الثنيه: وهي ثنيه العقاب المشرفة على غوطة دمشق: ياقوت : معجم البلدان، ج2، ص233.

(5) اذرعات: بلد في طرف الشام مجاور البلقاء: ياقوت : معجم البلدان، ج1. ص 130.

مملكة بيت المقدس التي أستمرت بملاحقتهم فقتلت بعضهم وأسرت البعض الاخر ثم عادت إلى فلسطين[1].

رجع الأتابك طغتكين مرة أخرى إلى حلب للتصدي لقوات امارة إنطاكية التي جاءت للثأر لمقتل أميرها روجر الذي قتل سنة 513 هـ/1119م. عندما أستنجد به الأمير ايلغازي فخرجت قواتهما من حلب والتقت بقوات امارة إنطاكية قرب دانيث[2] فوقع القتال الضاري بين القوتين، وقد قاتل الجيش الفرنجي ببسالة وشجاعة منقطعة النظير وكاد يلحق الهزيمة بالقوات الإسلامية، ولكن صمود هذه القوات وتشديدها الضغط على قوات الفرنجة غير النتيجة لصالح المسلمين فتحقق الانتصار وحلت الهزيمة بقوات الفرنجة فهربت إلى معرة النعمان فلحقتها القوات الإسلامية واستحر القتال فقتلت الكثير من أفرادها وأجهزت على القوات الفرنجية وكادت تبيدها ابادة كاملة[3] .

لكن تدخل الأتابك طغتكين والأمير ايلغازي وطلبهما من القوات الإسلامية الكف عن القتال أنقذ البقية الباقية من قوات الفرنجة من الابادة ، ونتيجة لهذه الخسائر الفادحة والهزائم المنكرة والوضع السيء الذي آلت اليه قواتها أضطرت امارة انطاكية إلى عقد هدنة جديدة مع حلب سنة 514 هـ/1120م، عاد الأتابك طغتكين إلى دمشق والأمير ايلغازي إلى حلب بعد هذه الانتصارات[4].

---

[1] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8 ق1، ص 80؛ أبن خلدون: العبر ج5، ص 154؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 233.

[2] دانيث: بلد من أعمال حلب يقع بين حلب وكفر طاب: ياقوت : ومعجم البلدان، ص 434.

[3] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص212 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1،ص475

[4] أبن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص191 .

سادساً : القتال بين دمشق وبيت المقدس (519–521هـ/1125–1127م)

أستمرت مملكة بيت المقدس في نشاطها العدواني خلال السنوات الأخيرة من حكم الأتابك طغتكين فشنت قواتها بقيادة الملك بلدوين (ت 525 هـ/1130) عدوانها على منطقة حوران سنة 519 هـ/1125، وأقتربت من دمشق وقطعت طرق المواصلات المؤدية اليها ووصلت إلى طبرية فخرج الأتابك طغتكين على رأس قواته اليها وعسكرت بالقرب من شرخوب ومرج الصفر،[1] فبعث إلى ولاته يطلب منهم ارسال القوات التي كانت تحت أمرتهم فأستجابوا لطلبه وأرسلوا قواتهم اليه ومعها اعداد كبيرة من المتطوعين[2].

شاهد الفرنجة كثافة القوات الدمشقية فأدركوا عجزهم عن مقاومتها وبأنهم لا طاقة لهم بمحاربتها فأصابهم الخوف والذعر ، فأنسحبوا إلى فلسطين فلحقتهم قوة من التركمان المساندة للقوات الدمشقية وهجمت عليها وقتلت الكثير من أفراد القوات الفرنجية التي أضطرت إلى الرجوع إلى قتال القوات الدمشقية التي انسحبت إلى دمشق بعد خسارتها امام القوات الفرنجية ، وقرر الأتابك طغتكين العودة إلى قتال الفرنجة ولكن قواتهم انسحبت إلى فلسطين قبل خروج القوات الدمشقية اليها[3] .

---

(1) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان . ياقوت : معجم البلدان ، ج5، 101 .

(2) الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص275 ؛ أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص212؛ أبن الوردي : تتمة المختصر ،ج2، ص47 .

(3) سبط أبن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص 116 ؛ الدواداري : الدر المضية ، ص496 ؛ عاشور : الحركة الصلبية ، ج1، ص527– 528 ؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص 45 .

شنت ملكة بيت المقدس عدواناً اخر على مدينة رفنية فاحتلتها وأنتزعتها من دمشق[1] وهجمت على وادي موسى[2] في البلقاء سنة 521 هـ /1127م فقتلت الكثير من سكانه وشردتهم وعادت إلى فلسطين مصطحبة معهما الأسرى والغنائم بعد تخريب هذا الوادي[3].

لقد أستمر الأتابك طغتكين في عطائه الجهادي ضد الفرنجة على مدى ربع قرن (497-522/1104/-1128م) وقد تبين لنا ذلك من خلال الأعمال الجهادية التي مارسها طوال هذه الحقبة من سياسية التحالفات مع القوى الإسلامية الأخرى كالفاطميين والسلاجقة والاراتقة ، والنشاطات الفردية التي اعتمد فيها على القوة الذاتية لدمشق التي استطاع بواسطتها الحفاظ على ما تبقى من بلاد الشام من السقوط بأيدي الفرنجة. كما أن مساهمتها في حركة الجهاد ، ما هي الا مرحلة سبقت ظهور قادة آخرين تولوا قيادتها كالأمير عماد الدين زنكي (ت541 هـ1146م) والملك العادل نور الدين محمود (ت 569 هـ/1174م) والسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب (ت 5.9هـ/ 1193م)[4]

---

[1] الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص235 ؛ أبن الأثير : الكامل ، ج9،240؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص478 .

[2] وادي موسى : هو وادي ينسب إلى النبي موسى (عليه السلام) ويقع بين بيت المقدس وارض الحجاز . ياقوت : معجم البلدان ، ج5، ص326 .

[3] أبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص216 ؛ سبط أبن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص 126 .

[4] عوض : الحروب الصليبية ، ص 160.

الفصل الثاني :

العلاقة بين دمشق والموصل وتأثيرها في حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة (522-541هـ / 1128-1146م)

أولاً : ظهور الأتابك عماد الدين زنكي:

من الأحداث المهمة التي ظهرت في بلاد الشام بعد موت الأتابك طغتكين سنة 522 هـ / 1128م، ظهور شخصية الأتابك عماد الدين زنكي(ت 541هـ/ 1146م) الذي عينه السلطان محمود بن محمد ملكشاه (ت 525 هـ / 1130م) والياً على الموصل سنة 521 هـ /1127م[1]. وقد تمكن الأتابك عماد الدين زنكي من بناء دولة واسعة ضمت أجزاء كثيرة من بلاد الشام والجزيرة وشمال العراق[2]. وكانت سياسته هذه تهدف إلى توحيد البلاد الإسلامية في دولة واحدة وتوظيفها لخدمة حركة الجهاد ضد الفرنجة[3].

ألا أن هذه السياسة الوحدوية التي دعى أليها الأتابك عماد الدين زنكي واجهت عقبات متعددة ، منها النزعات الإقليمية للإمارات الإسلامية ورغبتها في الحفاظ على استقلالها ، ومع هذا فقد حقق الأتابك عماد الدين زنكي مشروعه الوحدوي بوسائل متعددة بالقوة تارة[4] والمحالفات تارة أخرى [5] ولم يتوان عن أتباع أي وسيلة في تحقيق هذا المشروع[6]، حيث تم له الاستيلاء على جميع بلاد الشام ولم تبق خارج نفوذه سوى أمارة حمص التي يحكمها خيرخان بن

---

(1) ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 244؛ القرماني : أخبار الدول، ص 379؛ خليل: عماد الدين زكي، ص 126.

(2) المقريزي: السلوك، ج1 ق1 ص 135؛ زامباور: معجم الأنساب، ج2، ص 341؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط7، ترجمة نبية فارس ومنبر البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص347 .

(3) بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج5، ص 388؛ خليل: عماد الدين زنكي، ص 166.

(4) ابن العديم: زبدة الحلب، ج4، ص 444.

(5) ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص 40؛ عاشور : الحركة الصليبية، ج1، ص 40.

(6) بن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق: ص338؛ابن العبري:تاريخ مختصر الدول، ص 358.

قراجا (529 هـ /1135)[1] وامارة شيزر التي يحكمها بنو منقـذ[2] وامـارة دمشق التي كانت تحكمها اسرة طغتكين [3]، التي حاول الأتابك عماد الدين زنكي ضمها اليه عدة مرات فادى ذلك إلى تدهور العلاقة بينه وبين حكام دمشق ممـا كان لها نتائجها السلبية على حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة [4].

ثانياً : العدوان الفرنجي على دمشق سنة 523هـ/1129م

لقد ذكرنا تآمر الإسماعيلية مع الفرنجة ضد دمشق ومعاقبة الأمير تـاج الملوك بوري لهم جزاء خيانتهم وغدرهم ، وكان الفرنجة يراقبون الأوضاع في دمشق ويهيئون أنفسهم لتسلمها من الإسماعيلية ، وقد جهزوا قوات كبيرة جدا والتي كانت تضم بالإضافة إلى قوات مملكة بيت المقدس القوات التي أرسلتها كل من امارة طرابلس وإنطاكية والرها والمتطوعين الفرنجة من التجار والحجاج ، فوصلت إلى أطراف دمشق في ذي الحجة سنة 523هـ/1139 م وعسـكرت حولها [5].

في أثناء ذلك وصلتهم الأنباء بإبادة الأمير تاج الملوك بوري للإسماعيلية وقتل وزيره المزدقاني المتعاطف معهم [6]، وكانت صدمة عنيفة لهم لأنها قضت على آمالهم وأحلامهم في الاستيلاء على دمشق التي كـانوا يهيئـون أنفسـهم

---

[1] عاشور: العلاقات بين الشرق والغرب، ص 356.

[2] ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص498 .

[3] ابن واصل : مفرج الكروب ،ج1،ص 9-10 ؛ عاشور: الحركة الصليبية ،ج1، ص40

[4] عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة ،ص65 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص224-225 ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12 ، ص137 ؛ الدواداري : الدرية المضية ، ص504 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص180-181 .

[6] الذهبي : العبر ، ج4، ص53 ؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ص96 ؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، ج3، ص 399 .

لأخذها من الإسماعيلية ، ولكي لا يحرموا من الكسب فقد استولوا على مدينة بانياس بعد ان سلمها لهم الداعية إسماعيل العجمي [1].

عندما شاهد الأمير تاج الملوك بوري كثرة قوات الفرنجة واعدادها الهائلة شعر بالعجز عن دفعها ، ارسل الفقيه الحنبلي عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري (ت536هـ/1142 م) مبعوثا إلى بغداد لطلب المساعدة من الخلافة العباسية ، ولكنها لم ترسل المساعدة إلى دمشق لانشغالها بالصراع مع السلاجقة [2] واضطر ازاء هذه الحالة إلى استنفار العرب والتركمان الساكنين بأطراف دمشق[3] ، وارسل الفرنجة قواتهم للإغارة على حوران فاستولت على الغلال والمواشي للاستفادة منها للتموين واخذت الكثير من الأسرى والغنائم فطاردتها القوة العسكرية التي أرسلها الأمير تاج الملوك بوري اليها فاصطدمت بها وقتلت الكثير من أفرادها وابادتها إبادة شبه كاملة فاسترجعت منها الأسرى والغنائم [4].

وقد استولى الخوف والذعر على قوات الفرنجة واهتزت معنوياتها نتيجة هذا العمل البطولي الذي قامت به هذه القوة الدمشقية فاضطرت قوات الفرنجة إلى الانسحاب واحرقت بعض الغلال التي تركتها وآخذت ما تستطيع حمله ، وقد عانت من انسحابها الآمرين ففي الوقت الذي كانت تهاجم فيه القوات الدمشقية

---

[1] ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص3 ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ،ج2، ص49 ؛ المطوي العروسي : الحروب الصليبية ، ص9 .

[2] سبط بن الجوزي:مراة الزمان،ج8، ق1 ،ص130-131؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص69

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص225 ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ،ج12، 137؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج3، ص299 .

[4] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ق1، ص131 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12 ص250-251 ؛ابن قاضي شهبه:الكواكب الدرية، ص96 ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج2، ص49 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص349-350 .

مؤخرة قوات الفرنجة كانت الظروف الجوية السيئة كالأمطار والثلوج تلعب دورها في اعاقة انسحابها مما كبدها خسائر فادحة بالأرواح والأموال [1].

وبهذه الروح القتالية العالية استطاع الجيش الدمشقي الحفاظ على سلامة دمشق من الاحتلال الفرنجي ملحقا بالفرنجة وأعوانهم الداخليين(الإسماعيلية) افدح الخسائر ولا يخفى دور عوامل الجو المختلفة في تحقيق هزيمة الفرنجة [2] ان انتصار دمشق على الفرنجة له طعم خاص قائم على انتصار الدمشقيين زعم قلتهم واعتمادهم على ذواتهم ، على جيش الفرنجة ذي الكثرة المدرية المدعومة من داخل دمشق من قبل الإسماعيلية ومن خارج دمشق من الإمارات الفرنجية الأخرى[3] .

ثالثاً :العلاقة بين دمشق والموصل في عهد الأمير تاج الملوك بوري (522– 526هـ/1128–1132 م)

كانت عين عماد الدين زنكي بعد انتزاعه حلب سنة 522هـ/1128 م من يد الاراتقة ترنوا نحو حماة وحمص وللوصول إلى هذا الهدف فقد تظاهر للملك تاج الملوك بوري بانه حريص على صداقته والتحالف معه ضد الفرنجة الذين يضغطون على دمشق انذاك ، وقد تعاهد كل من الأمير تاج الملوك بوري وعماد الدين زنكي على قتال الفرنجة [4] .

ولإيفاء تاج الملوك بوري ما عاهد عليه عماد الدين زنكي فقد امر ابنه الأمير سونج (ت528هـ/1134م) امير حماة بالالتحاق بالأتابك عماد الدين زنكي والذهاب اليه في حلب للمشاركة في الجهاد ضد الفرنجة ، وعندما وصلها الأمير سونج كانت خطة عماد الدين زنكي على مدينة حماة قد انتهت كما يريد ،

---

[1] ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص49 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ ، دمشق ،ص224 –225 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج14، ص434 .

[3] الذهبي : العبر ،ج4، ص53 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص349 .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص 227–228 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص41 ؛ ابن خلدون : العبر ،ج5، ص225 .

فقد القى القبض على سونج وقاده جنده ، ثم توجه نحو حماة الخالية من الجند فاستولى عليها ، ولان رغبة عماد الدين لازالت قاصرة في السيطرة على حلب ، فقد توجه إلى حمص لغرض أخذها من أميرها الأمير خير خان بن قراجا الــذي أشار على عماد الدين زنكي بالقبض على الأمير سونج الا ان حمص امتنعــت عليه فرحل عنها عائد إلى الموصل بصحبه الأمير سونج وقادة جيشـــه الــذين اخذهم اسرى [1] .

وكان الفرنجة يراقبون هذه الأحداث فاستغلت امارة انطاكية حالة الصراع بين دمشق والموصل فتوجهت قواتها إلى حلب سنة 524هـ/1130م ، وفرضت عليها الحصار ثم رفعته عندما توجه اليها الأتابك عماد الدين زنكي، وقد اشتبكت قواته مع قوات امارة انطاكية التي أرسلها الأمير بيد مونت (ت544هـ/1149م) امير انطاكية لمساعدة حامية حصن الاثارب [2] في فك الحصار الــذي فرضـــه عليها الأتابك عماد الدين زنكي واشتبكت معها قوات الأتابك عماد الدين زنكـــي والحقت بها هزيمة منكرة واوقعت في صفوفها كثيرا مـــن القتلـــى والأســـرى ، وتوجهت بعد ذلك إلى حصن الاثارب واستولت عليه واوقعت في صفوف الحامية المرابطة فيه المزيد من القتلى والاسرى وامر الأتابك عماد الدين زنكي بتخريب هذا الحصن وبعد ذلك اتجه الأتابك عماد الدين زنكي بقواته إلى حصن حـــارم[3] واحكم عليه الحصار مما اضطر قادته إلى طلب الصلح مع الأتابك عماد الـــدين زنكي فاعطوه نصف خراج الحصن فرفع الحصار عنه وعاد إلى الموصل [4] .

اما مملكة بيت المقدس فأنها لم تحرك ساكنا والتزمت بالمعاهدة المعقودة بها وبين دمشق ، وفي ظل هذا الوضع كان الأمير تاج الملوك بوري يفكر فـــي

---

[1] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص247 ؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص64؛ عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب ،ص356-357 .

[2] الاثارب : قلعة معروفة تقع بين حلب وانطاكية بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ ، ياقوت: معجم البلدان ، ج1،ص89 .

[3] حارم : كورة من أعمال حلب . ياقوت : معجم البلدان ، ج2، ص205 .

[4] ابن الاثير : الكامل ،ج9، ص298 .

فداء ولده الأمير سونج الأسير لدى الأتابك عماد الدين زنكي الذي عرض عليه الأمير تاج الملوك بوري خمسين آلف دينار مقابل إطلاق سراح ولده وقد رفض الأتابك عماد الدين زنكي هذا العرض ، ولكن هروب الأمير دبيس بن صدقه [1] من العراق إلى بلاد الشام يعد من التطورات المهمة التي حدثت على الساحة [2] وكان لها الدور المهم في عملية إطلاق سراح الأمير سونج فلقد توفرت في هذا الحدث فرصة غير متوقعة كانت مفتاح الفرج لإطلاق سراح الأمير سونج ، اذ حدث ان الأمير صدقه بن دبيس المزيدي امير الحلة الذي هرب من العراق إلى الشام خوفا من الخليفة العباسي المسترشد بالله (ت529هـ/ 1135م) متوجها إلى صرخد ولدى وصوله إلى الغوطة ودخوله احد احياء العرب الذي تسكنه قبيلة كلب اليمانية وما ان شعر به أبناء هذه القبيلة حتى القوا القبض عليه وسلموه إلى الملك تاج الملك بوري سنة 525هـ/1130م[3] .

ومن هنا بدأت الأمور تسير لصالح إخلاء سبيل الأمير سونج لأن دبيس مثلما كان مطلوبا للخليفة في بغداد فهو مطلوب لعماد الدين زنكي لتصفية حساب بينهما واخذ تاج الملوك بوري بالتحرك نحو هدفه كما يريد وبدلا من إرسال دبيس إلى بغداد لإرضاء الخليفة ، فانه أرسل إلى عماد الدين زنكي يساومه على عملية مقايضة إطلاق سراح ولده سونج وقادة جيشه مقابل تسليمه دبيس بشرط ان يبدا عماد الدين زنكي بإطلاق سراح ولده سونج أولاً ، ووافق الأتابك عماد

---

[1] دبيس بن صدقه المزيدي الاسدي (530هـ/ 1136م) وهو من امراء العرب في العراق من الاسرة المزيدية التي حكمت مدينة الحلة ويعد من الفرسان الشجعان ويتميز بالشجاعة والكرم وحكم اجزاء واسعة من العراق وكان كثير الخروج على الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية وهو شيعي امامي العقيدة قتل علي يد السلطان السلجوقي مسعود سنة 535هـ/1136 م بسبب سياسته العدائية للعباسيين والسلاجقة . الذهبي : العبر ، ج4، ص78 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج4، ص 90-91 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ، ج1، ص343 ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص52.

[3] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8،ق1، ص135 ؛ ابن كثير : البداية النهاية ،ج12 ص202؛ ابن خلدون : العبر ،ج5، ص226 .

الدين زنكي على هذا الشرط وبهذا خرج الأمير سونج من أسره ورجع مع قـــادة جيشه إلى دمشق ، وتسليم الأمير ، عماد الدين زنكي الأمير دبيس بن صدقة[1]

وفي هذه الأثناء أرسل الخليفة المسترشد بالله (ت 529 هـــ /1135م) كلا من سديد الدولة بن الأنبا ري وأبي بكر بن بشر الجزري إلى دمشق طالبـــاً من الأمير تاج الملوك بوري تسليم الأمير دبيس أليهما . فاعتـــذر لهمـــا بعـــدم وجوده في دمشق وأكد لهما بأن الأتابك عماد الدين زنكي قد اســـتلمه ، . وقـــد قبض الأتابك عماد الدين زنكي على رسولي الخليفة بعد مغادرتهما دمشـــق ثـــم أطلق سراحهما[2].

رابعاً : أحداث الصراع الإسلامي – الفرنجي في بلاد الشام في عهد شمس الملوك(526–529/1132–1135م).

استغل كل من حكام دمشق والفرنجة حالة غياب الأتابك عماد الدين زنكي وانشغاله بمشاكل العراق ، فقد نقضت مملكة بيت المقدس المعاهدة المعقـــودة بينها وبين دمشق بعد وفاة الأمير تاج الملوك بوري سنة 526 هـــ/ 1132م. وذلك باستيلاء والي بيروت الفرنجي على بضائع التجار الدمشـــقيين وأخـــذها بالقوة فتشكى هؤلاء التجار إلى الأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري من هذا التصرف فكتب شمس الملوك إسماعيل إلى والي بيروت وطلب منه استرجاع ما أخذ من هؤلاء التجار، ولكنه رفض طلبه[3].

ادى تجاهل والي بيروت لطلب شمس الملوك إسماعيل إلى قيامه بتجهيز قوة عسكرية كبيرة قادها بنفسه ، وتوجه بها من دمشق إلى بانياس التي وصل إلى مشارفها في آخر شهر محرم سنة 527 هـ/1133م، فهجمت هـــذه القـــوة على قلعة بانياس بسرعة خاطفة موقعة الخوف والارتباك في صـــفوف القـــوات المرابطة بها موقعة في صفوفها الكثير من القتلى ، فأضطر ما تبقى من هـــذه

---

(1) ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص5؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ،ج2، ص52 .

(2) ابن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 250.

(3) ابو الفداء: المختصر ج3، ص 5؛ ابن الوردي : تتمة المختصر، ج2، ص 52.

القوات إلى طلب الأمان من الأمير شمس الملوك إسماعيل فأعطاهم إيــاه ، ثــم دخل المدينة في صفر سنة 527 هـ/1133م ، ورجع بعد ذلك إلى دمشق مــع قواته المنتصرة وهي تحمل رؤوس القتلى وتجر الأسرى بالحبال ، واســتقبلوا من قبل أهل دمشق استقبال الأبطال الفاتحين واحتفلوا بهذا النصر[1].

أستغل الملك شمس الملوك انشغال الأتابك عماد الدين زنكي بمشاكله مع الخليفة العباسي المسترشد بالله ، الذي كان آنذاك يحاصر الموصل ، فتوجه إلى مدينة حماة فوصلها في أواخر شهر رمضان سنة 527 هـــ/1133م، وفــرض عليها الحصار فوجدها خالية من القوات ، فدخلها في عيد الفطر المبارك وصلى بها صلاة العيد ، وذهب بعد ذلك إلى مدينة شيزر وقد فــرض عليهــا الحصــار فحمل اليــه أمــيرها سلطان بــن منقذ بـــن علــي (ت 549 هـــ /1154) الأمــوال فرحل عنها [2].

نشطت الأعمال العدوانية للفرنجة أثناء غياب الأتابك عماد الدين زنكــي عن بلاد الشام ، فقد أرسلت مملكة بيت المقدس قواتها إلى حلب ، فخرج اليهــا سوار النائب أمير حلب بقواته واصطدم بها قرب قنسرين ، فالحقت قوات مملكة بيت المقدس الهزيمة بقواته فأضطر على اثرها إلى الرجوع إلى حلب ، واعــاد تنظيم قواته فأعاد الكرة عليها مرة أخرى واشتبكت قواته معها وانتصرت عليها ورجعت قوات مملكة بيت المقدس إلى فلسطين[3]. وقد احبط الأمير سوار النائب بالتعاون مع الأمير حسان التغلبي أمير منبج العدوان الذي شنته قــوات امــارة الرها على حلب ، وكان نتيجة ذلك تكبدت الكثير من القتلى والأسرى ، وفقــدت المؤن فعادت إلى مدينة الرها[4]

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8 ق1، ص 145؛ ابو الفداء: المختصر،ج3، ص 7؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية، ص 99؛ طلب صبار : إمارة إنطاكية ، ص152 .

(2) أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق: ص 238؛ ابن الوردي : تتمة المختصــر ، ج2 ص54 ؛ أبن خلدون : العبر ، ج5 ص288 ؛ خليل : عماد الدين زنكي ، ص121.

(3) أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق: ص 239.

(4) أبن العديم: زبدة الحلب، ج2، ص 252.

لم تكتف مملكة بيت المقدس بالاعتداء على حلب، بل واصلت سياستها العدوانية ضد دمشق سنة 528 هـ/1134م ، فأرسلت قواتها إلى منطقة حوران ومارست شتى أنواع التخريب بها، وتوجه شمس الملوك إسماعيل أليها بقواته وعسكر بالقرب منها ، وعندما شاهد كثرة قواتهم ، أدرك بأنه لا طاقة له على محاربتها وأمام ذلك لجأ إلى الخدعة ، فترك قسماً من قواته امام قوات الفرنجة، وتوجه بالقسم الآخر للإغارة على مملكة بيت المقدس ، مستخدماً طريقة الهجوم الخاطف وتوغل داخلها ، فوصل إلى طبرية وعكا وصيدا واكتسح ضواحيها ، فخرب المدن والضياع ، وقتل كثيراً من الفرنجة الساكنين فيها، وحمل المزيد من الأسرى والغنائم إلى دمشق فاضطرت قوات الفرنجة إلى الانسحاب إلى فلسطين بعد هذه الكارثة التي حلت بهم ، وكان من نتائجها أن أرسلت مملكة بيت المقدس إلى دمشق ، تطلب منها تجديد الهدنة فوافقت على هذا الطلب[1].

بعد هذه الأحداث تعرضت دمشق إلى مشاكل داخلية ، أضطر على اثرها الأمير شمس الملوك إسماعيل إلى مراسلة الأتابك عماد الدين زنكي وتسليم دمشق اليه ، وقد فرح الأتابك عماد الدين زنكي بهذه الدعوة ، لأنها ستحقق له حلماً طالما تمنى تحقيقه وهو ضم دمشق إلى دولته ، فجهز نفسه وقواته لتسلم المدينة من الأمير شمس الملوك إسماعيل ، الذي قتل قبل وصول الأتابك عماد الدين زنكي أليها مما ضيع الفرصة عليه في ضم دمشق إلى دولته[2].

وعندما وصل الأتابك عماد الدين زنكي إلى أطراف دمشق ، طلب من المسؤولين بها تسليم المدينة اليه ، فرفضوا طلبه وقاتله أهل المدينة بقيادة الأمير معين الدين أنر (ت544 هـ/ 1149 م) مقدم العسكر في دمشق ، فشدد الأتابك عماد الدين زنكي الحصار على المدينة ، وفي أثناء القتال الدائر بين قوات الأتابك عماد الدين زنكي وبين أهل دمشق. وصل مبعوث الخليفة العباسي

---

(1) أبن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق: ص242–243؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص507 .

(2) أبن الوردي: تتمة المختصر، ج2، ص 55؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص 230.

المسترشد بالله الرئيس بشر بن كريم إلى الأتابك عماد الدين زنكي طالباً منه رفع الحصار عن دمشق، فتم عقد الصلح بين دمشق والموصل على أن يخطب للأمير الب أرسلان بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بعد الخليفة والسلطان على منابر دمشق فوافق المسؤولون في دمشق على ذلك ورحلت قوات الأتابك عماد الدين زنكي عنها(1).

خامساً : أوضاع الشام بعد مقتل الملك شمس الملوك(529-532 هـ/1135-1138م)

توجه الأمير عماد الدين زنكي إلى العراق بعد رفعه الحصار عن دمشق سنة 529هـ /1135م منشغلا بمشاكله مع السلطنة السلجوقية وما أن حل المشاكل معها(2)حتى رجع مرة اخرى إلى بلاد الشام فوصل إلى حمص سنة 530 هـ/1136 م فشدد الحصار عليها ، وعندما شعر أولاد خبرخان بن قرجا والنائب عنهم خمارتاش بالعجز عن الدفاع عن المدينة اضطروا إلى مراسلة الأمير شهاب الدين محمود أمير دمشق سنة 530 هـ/1136 عارضين عليه التنازل عن مدينة حمص مقابل إعطائهم مدينة تدمر عوضا عنها فوافق على ذلك فأخذها منهم وسلمها لاتابكه الأمير معين الدين انر الذي شحنها ببعض القوات. مما أضطر الأتابك عماد الدين زنكي إلى رفع الحصار والعودة إلى الموصل(3).

استغلت دمشق رحيل الأتابك عماد الدين زنكي عن بلاد الشام وغيابه عنها، فأرسلت حملة عسكرية كبيرة بقيادة الأمير شجاع الدولة بزواش (ت 532 هـ/1138م) مقدم العسكر في دمشق ضد إمارة طرابلس في رجب سنة 531 هـ /1137م. واصطدمت بقوات إمارة طرابلس التي كان الأمير بونز

---

(1) أسامة بن منقذ : الاعتبار . ص1؛ ابن واصل : مفرج الكروب، ج8، ص 58؛ ابو الفداء : المختصر ، ج3،ص9؛ عاشور: الحركة الصليبية، ج2. ص 630.

(2) ابن العمراني: الانباء، ص 222؛ ابن الأثير: الباهر، ص 65.

(3) ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق:ص245؛ ابن شداد:الاعلاق الخطيرة:ج2، ق2، ص 140.

(ت 531 هـ/1137م) يقودها فأنزلت بقواته هزيمة ساحقة وتوغلت داخل إمارة طرابلس فخربت مدنها وضياعها ، وتوجهت بعد ذلك إلى حصن ابن الأحمر وهو من الحصون المنيعة وفرضت عليه الحصار وفتحته وقتلت كثيراً من أفراد القوات المرابطة به وأخذت منه كثيراً من الأسرى والغنائم وعادت إلى دمشق مظفرة منصورة[1] .

عاود الأتابك عماد الدين زنكي مرة أخرى التوجه إلى حمص وفرض الحصار عليها في شعبان سنة 531 هـ /1137م وطلب من الأمير معين الدين أن يسلمها اليه وأرسل له نائبه صلاح الدين الياغسياني وكان يتمتع بالذكاء فعرض عليه بعض الاغراءات مقابل التخلي عن حمص، فاعتذر أليه وأكد له بأن المدينة ليست ملك يمينه وانما هي ملك الأمير شهاب الدين محمود ولن يسلمها الا عن غلبة، ورداً على هذا الجواب شدد عماد الدين زنكي الحصار عليها ثم رفعه عندما واجه صعوبة في فتحها في العشرين من شوال من السنة المذكورة[2]

فتوجه بعد ذلك إلى قلعة بارين القريبة من حماه فوصل أليها في آخر شهر شوال فأرسلت أمارة إنطاكية قواتها للدفاع عنها والتقت بقوات الأتابك عماد الدين زنكي فاصطدمت بها ملحقة بها هزيمة منكرة فلجأت إلى القلعة واعتصمت بها. فشدد الأتابك عماد الدين زنكي الحصار عليها مانعاً وصول الإمدادات أليها وفي أثناء حصاره القلعة أرسل قسماً من قواته فتمكنت من فتح معرة النعمان وكفر طاب والمناطق الواقعة بين حلب وحماة ، واضطرت القوات القوات المعتصمة في القلعة إلى طلب الأمان من الأتابك عماد الدين زنكي فأعطائهم أياه وأخذ القلعة منهم[3].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 289؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص 202؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 526-527.

(2) ابن الوردي : تتمة المختصر، ج2، ص 58 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، ص158 .

(3) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص 157؛ بو الفداء: المختصر، ج3، ص 12؛ الداواداري : الدرة المضية ، ص 526-527.

بعد ذلك رجع الأتابك عماد الدين زنكي إلى حمص فوصلها في شهر محرم سنة 532هـ /1138م. وفرض عليها الحصار ثم رفعه عنه ثم توجه إلى بعلبك فاستولى على حصن المجدل وأرسل إلى أمير بانياس إبراهيم بن طرغت التابع لدمشق فأعلن له الولاء والتبعية ودخل طاعته فأقره على إمارة بانياس. وعاود الحصار بعد ذلك على مدينة حمص ثم رفعه عنها عندما جاءته الأنباء بتوجه قوات التحالف البيزنطي الفرنجي إلى حلب التي توجه أليها[1] .

سادساً : التحالف الفرنجي البيزنطي وموقف دمشق منه سنة 532 هـ/1138.

في أثناء حصار بارين توجه كثير من القسس والرهبان إلى الإمبراطورية البيزنطية وأرمينية وأوربا طالبين منها النجدة ضد المسلمين ، وبين هؤلاء القس والرهبان بأن استيلاء عماد الدين زنكي على قلعة بارين سيكون مقدمة للاستيلاء على بيت المقدس[2] ووصلت القوات البيزنطية إلى بلاد الشام في شهر محرم سنة 532 هـ/1138. فسيطرت على بزاغة. وتوجهت إلى حلب التي وقع القتال بين اهل وبين القوات البيزنطية ثلاثة ايام والتي اضطرت على أثرها الانسحاب إلى حصن الاثارب نتيجة كثرة الخسائر التي وقعت في صفوفها فتعقبتها قوات حلب بقيادة الأمير سوار النائب فأنقذت كثيراً من الأسرى والسبايا الذين وقعوا بأيدي البيزنطيين توجه عماد الدين زنكي إلى سلمية فحاصرها، ثم عبر نهر الفرات وعسكر بالرقة لمراقبة أخبار البيزنطيين[3].

وتوجهت جهود التحالف البيزنطي الفرنجي للسيطرة على مدينة شيزر فعرضت عليها قوات التحالف الحصار فأستنجد أميرها سلطان بن علي بن منقذ (ت 549 هـ/1154م) بالأتابك عماد الدين زنكي الذي وصل بقواته أليها ومنها أرسل بعض قواته للإغارة على معسكرات الفرنجة والبيزنطيين فأوقعت بها

---

[1] ابن الأثير : الكامل ، ج2، ص 301 .

[2] ابن الأثير: الباهر، ص 55.

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 265-266.

الخسائر الفادحة بالأرواح والمعدات [1]وقد اعتصمت هذه القوات بجبل يقع شرق شيزر وطلب منها الأتابك عماد الدين زنكي الخروج إلى الصحراء وقد انطلقت هذه الخطة على قادة الفرنجة وطلبوا من الأمير البيزنطي يوحنا كومينين(ت 538 هـ/1143م) الذي فطن إلى خطة الخروج إلى الأتابك عماد الدين زنكي فلم يوافقهم وحذرهم من الوقوع فيها[2].

وعندما فشلت هذه الخطة لجأ الأتابك عماد الدين زنكي إلى خطة أخرى تمكن من خلالها بث التفرقة وبذور الشقاق بين طرفي التحالف فأرسل إلى الإمبراطور البيزنطي يحذره من قادة الفرنجة بأنهم مستعدون للتخلي عنه وأرسل إلى قادة الفرنجة يحذرهم من الإمبراطور البيزنطي بأنه أن ملك حصنا بالشام أخذ جميع المدن والقلاع الواقعة تحت نفوذهم. وهكذا فشل التحالف في تحقيق أهدافه[3]وبعد رحيل القوات البيزنطية توجه عماد الدين زنكي ، إلى حصن عرفه فأخذه من امارة طرابلس[4] ، لم تقف دمشق من هذا التحالف موقفاً إيجابياً في بداية هجوم قواته إلى بلاد الشام بسبب العلاقات المتدهورة بين حكام دمشق والأتابك عماد الدين زنكي الذي يضغط على دمشق ويسعى إلى القضاء على استقلالها ، أن هذا الموقف يدرس جانبين وهما الجانب الخاص. فأن أهميته تتعلق بدور هذا التحالف بتخفيف الضغط على دمشق فأضطر عماد الدين

---

[1] أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص 2؛ ابن الأثير : الباهر، ص 55.

[2] قال ابن الأثير [ثم أرسل زنكي إلى ملك الروم يقول له: انكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقي ، فأن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وأن ظفرتم احذتم شيزر وغيرها، ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه فأشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافقته وهنوا أمره عليه فلم يفعل وقال.أتظنون أن ليس له من العسكر الا ما ترون إنما يريد أن تلقونه فيجيئة من نجدات المسلمين ما لا حد له]:الكامل،ج9. ص 303.

[3] ابن الأثير : الباهر، ص 57؛ خليل: عماد الدين زنكي، ص 145.

[4] ابن الوردي: تتمة المختصر،ج2،ص58؛النبراوي :العلاقات السياسية الإسلامية، ص 158.

زنكي إلى رفع الحصار عن حمص التابعة لدمشق عند قدوم قوات التحالف إلى بلاد الشام [1].

والجانب العام يتعلق بخطورة هذا التحالف على بلاد الشام والذي يسعى إلى القضاء على الوجود الإسلامي فيها. ومع ظهور هذه الخطورة وضوح أهداف هذا التحالف[2]، فأن دمشق لم ترسل قواتها لمساعدة الأتابك عماد الدين زنكي في صد قوات التحالف الا عند وصول هذه القوات إلى شيزر. وكانت على وشك الرحيل منها بعد وهزيمتها أمام قوات الأمير عماد الدين زنكي[3].

سابعاً :التحالف بين دمشق والفرنجة(534-541هـ/1140-1146م).

بعد فشل التحالف الفرنجي البيزنطي في تحقيق أهدافه رجع الأمير عماد الدين زنكي مرة أخرى إلى دمشق وفرض الحصار على حمص ثم رفعه عنها، فوجد أن خير وسيلة لتملك دمشق هي الزواج من الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون (ت 557 هـ /1162) المتحكمة في شؤون دمشق. فأرسل إلى ابنها الأمير شهاب الدين محمود يخطبها منه ، فوافق على ذلك وتم عقد الزواج في دمشق بينهما في أواخر سنة 532 هـ /1128 م والذي تم فيه تسليم مدينة حمص وقلعتها إلى الأتابك عماد الدين زنكي والذي ذهبت اليه الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون في أوائل سنة 533 هـ/1139م . إلى حلب. الا أن هذا الزواج لم يحقق للأمير عماد الدين زنكي ما أراد من ورائه للاستيلاء على دمشق[4].

فقد ساءت العلاقة مرة أخرى العلاقة بين الموصل ودمشق ونشبت الحرب بينهما، بعد مقدم الأتابك عماد الدين زنكي إلى دمشق بناءاً على استدعاء

---

[1] ابن الأثير : الكامل : ج9، ص201.

[2] ابن الاثير : الباهر ، ص56؛ خليل : عماد الدين زنكي ، ص143-145 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 226؛ خليل: عماد الدين زنكي، ص 174.

[4] ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 358؛ أبو الفداء: المختصر، ج3، ص 12؛ ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية ، ص 108.

الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون التي طلبت منه الانتقام لولدها الذي قتله رجال دولته وفي هذه الظروف الصعبة التي مرت بها دمشق توفى الأمير جمال الدين محمد حكمها بعد مقتل أخيه الأمير شهاب الدين محمود سنة 533 هـ/1139. وقد فوض الأمير جمال الدين محمد الأمير معين الدين انر أمور الدولة[1].

وقد أستعد أهل دمشق لقتال قوات الأتابك عماد الدين زنكي الذي سار إلى مدينة بعلبك وفرض عليها الحصار وأرسل إلى الأمير معين الدين انر الذي كان متواجد فيها آنذاك طالباً منه تسليم المدينة اليه فرفض طلبه فأدى ذلك إلى قيام الأتابك عماد الدين زنكي بتشديد الحصار على المدينة[2] وحاول رشوة الوزير المصري رضوان بن ولخشي اللاجئ إلى دمشق والمتواجد في مدينة صرخد فأغراه بالأموال مقابل مساعدته في فتح دمشق ، وقد خشى الأمير معين الدين انر من قيام هذا التعاون بين الأتابك عماد الدين زنكي والوزير المصري وحاول إحباطه بالوسائل وأرسل إلى الوزير المصري أسامة بن منقذ الذي تمكن من إقناعه بالعدول عن مساعدة الأتابك عماد الدين زنكي طائلة من الأموال[3].

في هذه الحقبة تحسنت العلاقات بين دمشق وبيت المقدس وتم تبادل الأسرى بين الطرفين وكان الوسيط بينهما الأمير أسامة بن منقذ الذي أرسله الأمير جمال الدين محمد مبعوثاً إلى الملك فولك الخامس (ت 539 هـ/1144م) ملك بيت المقدس[4]وأستمر الأتابك عماد الدين زنكي في حصار بعلبك التي دخلها في ذي الحجة سنة 533 هـ /1140م ، فوجد فيها جارية الأمير معين الدين انر فأخذها وغدر لحامية المدينة وصلب مقاتليها بعد إعطائهم الأمان وقد أثار هذا

---

[1] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8 ق 1 ، ص 165؛ ابن خلدون: العبر ، ج5، ص 158؛ خليل : عماد الدين زنكي، ص 126.

[2] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص 31.

[3] أسامة بن منقذ : الاعتبار ص 30-31؛ خليل: عماد الدين زنكي ، ص 127.

[4] المصدر نفسه، ص 81؛ ابو الفداء : المختصر ،ج3، ص 7؛ الالوسي: أسامة بن منقذ، ص 102.

الفعل الشنيع كراهية أهل دمشق للأتابك عماد الدين زنكي[1] وبعد ذلك توجـه الأتابك عماد الدين زنكي إلى دمشق وعندما وصل إلى أطرافها في شهر محـرم سنة 534 هـ/1140م ، بعث إلى الأمير جمال الدين محمد عارضاً عليه إعطاءه مدينة بعلبك أو حمص مقابل تسليم دمشق اليه. وقد أستشار الأمير جمال الدين محمد رجال الدولة وأعيان دمشق حول هذا الطلب، وأجمـع هـؤلاء علـى رفض هذا الطلب وأبلغ الأتابك عماد الدين زنكي بذلك وردا على هـذا الجـواب سار الأتابك عماد الدين زنكي إلى داريا فوصلها في ربيع الأول ملحقاً الهزيمـة بالقوات الدمشقية التي اصطدمت بقواته فيها. واشتبكت قواته مع قوات دمشـق مرة أخرى قرب المصلى، فانهزمت قوات دمشق أمامها. وتوقف القتـال مـدة عشرة أيام . وخلال هذه الحقبة أرسل الأتابك عماد الدين زنكي إلى الأمير جمال الدين محمد طالباً منه تسليم دمشق اليه مقابل التخلي له عن بعلبك أو حمص أو اي مكان أخر يختاره هو. وكان الأمير جمال الدين محمد لديه الرغبة في قبول هذا العرض لشعوره بالعجز نتيجة الخسائر الفادحة التي وقعت بـين صـفوف القوات الدمشقية أثناء قتالها مع قوات الأمير عماد الدين زنكي. الا أن ضـعفه وتحكم الأمير معين الدين انر بشؤون دمشق وكراهية أهلها للأتابك عماد الـدين زنكي جعلته يرفض هذا العرض الذي تقدم به له الأمير عماد الدين زنكي[2].

بعد فشل المفاوضات بين حكام دمشق والأتابك عماد الدين زنكـي وقـع القتال بينها مرة أخرى : وفي أثناء القتال الدائر حول دمشق توفى الملك جمـال الدين محمد بن وري فأستقدم الأمير معين الدين انر أبنه الأمير مجير الـدين آبق(ت 564هـ /1169م) فتصبه ملكاً على دمشق مكان أبيه وسـيطر الأميـر

---

[1] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ق 172؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التـواريخ،ج12 ص 273؛ ابن خلدون: العبر، ج5 ، ص 158-159.

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 271؛ ابن العديم: زبـدة الحلـب، ح2، ص 273؛ النبراوي: العلاقات السياسية الإسلامية، ص 158.

معين الدين انر على الاوضاع وحكم دمشق نيابة عن الأمير مجير الدين آبق فاستقرت الأحوال بها.[1]

وعزم الأتابك عماد الدين زنكي هذه المرة على فتح دمشق وضمها إلى دولته فوقعت دمشق بين خيارين لا ثالث لهما اما الاعتماد على قوتها الذاتية وهذا مستحيل لأن الأتابك عماد الدين زنكي كان يمثل قوة لا يستهان بها مما يؤدي إلى سقوط دمشق بيده والاستعانة بقوة مكافئة لقوة الأتابك عماد الدين زنكي تقف بوجهها ولم يجد حكام دمشق من يقف بوجه عماد الدين زنكي سوى الفرنجة يتحالفون معهم ضده من أجل الحفاظ على استقلال دمشق[2].

وبناءا على ذلك أرسل الأمير معين الدين انر إلى الملك فولك الخامس يقترح عليه إقامة تحالف بين دمشق وبيت المقدس ضد الأتابك عماد زنكي عارضاً عليه التنازل عن مدينة بانياس أن استطاعت قواته طرد قوات الأتابك عماد الدين زنكي عن دمشق وقد حذر الأمير معين الدين انر الملك فولك من خطورة احتلال الأمير عماد زنكي لدمشق على مملكة بيت المقدس[3].

درس الملك فولك الاقتراح الذي عرضه عليه الأمير معين الدين انر وأعتقد بأن التحالف مع دمشق واتخاذها حليفاً يقف معهم ضد الأتابك عماد الدين زنكي ودفع خطره ، خير من إثارة العداء معها، وأرسلت مملكة بيت المقدس قواتها لنجدة دمشق بعد موافقة الملك فولك على اقتراح الأمير معين انر. قد توجه الأتابك عماد الدين زنكي للتصدي لقوات مملكة بيت المقدس قبل وصولها إلى دمشق. فوصل إلى مدينة حوران في رمضان سنة 534 هـ/140 م وعسكرت قواته بها.

---

[1] أبن الأثير: الباهر، ص 59؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ، ج12، ص 354؛ باركر الحروب الصليبية، ص 61.

[2] ابن الأثير: الكامل ، ج 9ص 313-314؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص 158؛ الباز العريني: الشرق الأوسط ، ج1 ص 518.

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص 272؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية، ص111؛ طلب صبار : امارة انطاكية ، ص153 .

ولم تحاول قوات مملكة بيت المقدس الاصطدام بقوات الأتابك عماد الدين زنكيبل فضلت الرجوع إلى فلسطين، فشدد الأتابك عماد الدين زنكي الحصار على دمشق وأحرق قرى المرج والغوطة فرحل عنها بعد وصول القوات الفرنجيـــة لنجدتها[1].

توجه الأمير معين الدين انر إلى مدينة بانياس ليأخذ من أميرها ابراهيم بن طرعت الموالي للاتابك عماد الدين زنكي وتسليمها للفرنجة تنفيذاً للوعد الذي قطعه لهم مستقلاً غياب واليها الأمير إبراهيم بن طرغت الذي كان متوجهاً إلى امارة طرابلس للإغارة عليها. فاصطدم ابر أهيم بن طرغت بقوات أمارة انطاكية بقيادة أميرها البرنس بيدموت (ت 544 هــ/1149م) والتي جاءت لتجده دمشق فتمكنت من قتله ونشبت قواته التي لجأت إلى بانياس التي كانت تحاصرها قوات التحالف الدمشقي الفرنجي التي فتحتها فتسلمها الأمير معين الدين انر فأعطاها للفرنجة ورجع إلى دمشق[2].

وعندما سمع الأتابك عماد الدين زنكي باستيلاء قوات التحالف الدمشقي – الفرنجي على بانياس ومقتل واليها الأمير إبراهيم بن طرغــت عــاد إلـــى مهاجمة دمشق فسار بنفسه اليها ووقع القتال بينه وبين أهلها. كما أرسل بعض قواته للإغارة على حوران، ثم ذهب إلى مرج راهط فعسكر بها واستولت قواته على كثير من المؤن والمعدات وعاد بعدها إلى الموصل[3].

وكادت دمشق تسقط بيد الأتابك عماد الدين زنكي نتيجة إلحاحه وتشديده الضغط عليها، ولكن استنجاد الأمير معين الدين انر بمملكة بين المقدس وعقــد التحالف معها هو الذي أنقذ دمشق من السقوط بيد الأتابك عماد الدين زنكي[4]. ومن أجل توثيق هذا التحالف ذهب الأمير معين الدين انر إلى زيارة مملكة بيت المقدس ونزل بعكا والتقى بالملك فولك فيها وكان يصحبه في هذه الزيارة التـــي

---

[1] المصدر نفسه، ص 272–273؛ ابو الفداء: المختصر، ج3، ص 16.

[2] الذهبي: دول الإسلام ، ج2، ص 39؛ ابن خلدون: العبر، ج5، ص 159.

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص، ص 273.

[4] ابن قاضي شهية: الكواكب الدرية، ص 111؛ زابروق: الصليبيون في الشرق، ص 171.

استمرت عدة ايام أسامة بن منقذ وبعدها رجع إلى دمشق[1]. وكانت عنده من المبررات ما أضطره إلى التحالف مع الفرنجة[2].

أن المحاولات التي أراد من خلالها الأتابك عماد الدين زنكي إخضاع دمشق إلى سلطنه على مدى خمس سنوات (529-534/1135-1140)[3] كان خطئاً سياسياً وقع فيه الأتابك عماد الدين زنكي. فلم تكن هذه المحاولات لصالح عملية الجهاد. بل أن الفرنجة قد استفادوا منها كطريق ينفذون من خلاله داخل الصف الإسلامي من خلال استمالة دمشق والتحالف معها كحليف يقف معهم ضد المسلمين ويساعدهم في إعاقة حركة الجهاد الإسلامي وتمزيق الصف الإسلامي لصالحهم، كما أنه أدى إلى إهدار الطاقات البشرية لمسلمين والتي يمكن توظيفها في خدمة حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة[4].

لم تلجأ دمشق خلال السنوات الخمس التي تعرضت فيها إلى ضغط الأتابك عماد الدين زنكي إلى التحالف مع الفرنجة لأن الظروف السائدة آنذاك كالصراع بين الأتابك عماد الدين زنكي والسلطان السلجوقي مسعود سنة 529 هـ/1135[5].والهجوم البيزنطي الفرنجي على حلب سنة 532 هـ/1138[6] ، ساهمت في تحقيق الضغط على دمشق، فلم تكن بحاجة إلى التحالف التحالف مع الفرنجة، ولكن إصرار عما الدين زنكي على فتح دمشق سنة 534 هـ/1140م. وخوف حكامها وأهلها من سقوطها بيد عماد الدين زنكي هو الذي

---

(1) أسامة بن منقذ: الاعتبار ، ص 169؛ الباز العريني: الشرق الأوسط، ج1، ص 373.

(2) رنسيمان: تاريخ الحروب الصلبة، ج2، ص 367.

(3) المحاولة الأولى سنة 529 هـ/1135م. المحاولة الثانية سنة 530 هـ/1136. المحاولة الثالثة سنة 531 هـ/1137م. المحاولة الرابعة سنة 532 هـ/1138. والمحاولة الخامسة 533 هـ/1139 والمحاولة السادسة والسابعة سنة 534هـ/1140.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 313-314؛ الباز العريني:الشرق الأوسط، ج1، ص 520.

(5) ابن العمراني : الأنباء ، ص 222.

(6) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص263.

دفع الأمير معين الدين انر التحالف مع الفرنجة[1] ، ووجدت سياسة الأمير معين الدين انر التأييد الكامل من أهل دمشق الذين يكنـــون الـــولاء العميـــق للأتابـــك طغتكين وأسرته[2] ويكنون الكراهية للأتابك عماد الدين زنكـــي بســـبب ظلمـــه لرعيته وغدره[3] بالأعداء والأصدقاء[4].

وقفت دمشق من حركـــة الجهـــاد خـــلال هـــذه الحقبـــة فـــي (529-541/1135-1146م) موقفاً سلبياً فلم تمارس أي عمل جهادي سوى الحملـــة العسكرية التي قادها الأمير شجاع الدولة بزواش مقدم العسكر في دمشق ســـنة 531 هـ/1137[5] فقد انشغلت عن حركة الجهاد وتحولت مـــن عـــدو لـــدود للفرنجة يشارك في حركة الجهاد ضدهم إلى حليف مخلص يقـــف معهـــم ضـــد المسلمين[6] عندما أصبحت الموصل هي التي تقود حركة الجهاد ضدهم[7]

وقد أدرك عماد الدين زنكي بعد هذا التحالف بين دمشق وبيت المقـــدس صعوبة فتح دمشق وضمها إلى نفوذه فانشغل بجهاد الإمارات الفرنجة الشمالية

---

[1] ابن الاثير: الكامل، ج9، ص 313-314؛ ابن قاضي، شهبة الكواكب الدرية، ص 111.

[2] ابن القديم: زبدة الحلب، ج2، ص 357.

[3] فأن غدره بالأمير سونج بن بوري سنة 524 هـ/1130م. ابن واصل مفرج الكـــروب، ج1، ص41 ؛ أبو الفداء: المختصر، ج3، ص3، وبحامية بعلبك سنة 533 هـــ/ 1139. بعد أن أعطاها الامان، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ق1، ص 172؛ ابن قاضـــي شهبة الكواكب الدرية، ص 109. لا زالت عالقة في أذهان أهل دمشق. مما زاد كراهيتم للأمير عماد الدين زنكي، وان الاجواء الداخلية في دمشق لم تكن مهيئة له ممـــا جعلهـــم يقاومونه ويرفضون تسليم المدينة اليه. ابن القلانسي : ذيل تـــاريخ دمشـــق، ص271؛ المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام، ص 185.

[4] الذهبي : العبر ، ج4، ص112 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص507 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص258؛ زابروف: الصليبيون في الشرق، ص 171.

[6] اين الأثير:الكامل،ج9،ص313-314؛رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 366.

[7] بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج5، ص 388؛ حتي: تاريخ العرب، ص 762-763.

كأمارة الرها وانطاكية وقد انتزع العديد من المدن والحصون منها [1] ، وكـان من ثمرة هذا الجهاد عودة مدينة الرها للسيطرة الإسلامية سنة 539هـ/1144م ويعد استرجاع مدينة الرها من اهم الانتصارات التي حققها المسلمون على الفرنجة [2].

وطوال هذه الحقبة (534-541هـ/1140-1146م) كانت الجبهة ساكنة بين دمشق والموصل ، فلم تحدث أي محاولة من قبل الأتابك عماد الدين زنكي كما فعل سابقا سوى المحاولة التي قام بها سنة 540هـ/1145م . للسيطرة على دمشق والتي لا تعدو ان تكون مجددا اشاعة ، لكنها تشير بشكل خفي بان الأتابك عماد الدين زنكي لازالت لديه الرغبة في العودة إلى دمشق وضمها إلى دولته [3].

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص274؛ ابن الاثير : الباهر ، ص61 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ، ج1، ص351؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدولة ، ص385؛ الجميلي : اتابكية الموصل ، ص52 ؛ هارولدلامب : شعلة الاسلام ، ص27 .

[3] وقد اشار إلى ذلك ابن القلانسي فقال (في جمادى الاخرة منها (سنة 540هـ) تناصرت الانباء من ناحية الأمير عماد الدين اتابك بصرف الاهتمام بالتأهب والاستعداد والجمع والاحتشاد لقصد الغزو والجهاد وشاعت عنه الأنباء بأنه ربما قصد الأعمال الدمشقية والنزول عليها ولم تزل اخبارة بذلك متصلة وماهو عليه بالاستكثار من عمل المنجنيقات والة الحرب وما يحتاج اليه لتذليل كل ممتنع صعب إلى اوائل شعبان ووردت الاخبار بان عزيمته عن ذلك قد انحرفت واعنة راية قد ثبتت واعيدت المناجيق إلى ناحية حمص من بعلبك) : ذيل تاريخ دمشق ، ص282 .

الفصل الثالث:

التحالف بين دمشق وحلب ودوره في خدمة حركة الجهاد ضد الفرنجة (541-544هـ / 1146-1149م)

أولاً: أوضاع بلاد الشام بعد مقتل الأتابك عماد الدين زنكي

بدأت الأحداث في بلاد الشام تأخذ شكلا اخراً بعد مقتل الأتابك عماد الدين زنكي سنة 541هـ/1146م [1] ، والذي تعرضت دولته الواسعة التي اقامها إلى هجوم أعدائها من المسلمين والنصارى على حد سواء . التي كان من نتائجها استيلاء الأمير جوسلين الثاني على مدينة الرها وتمكنه من دخولها بعد المساعدة التي حصل عليها من سكانها الارمن ، وهجوم قوات امارة انطاكية على أملاك الزنكيين في بلاد الشام . والتي وصلت إلى مشارف حلب . وهجوم الاراتقة في حصن كيفا وماردين على أملاك الزنكيين في الجزيرة الفراتية واسترجاعهم بعض المدن التي انتزعها الأتابك عماد الدين زنكي منهم . [2]

واستفادت دمشق من حالة الاضطراب التي حدثت في بلاد الشام بعد مقتل الأتابك عماد الدين زنكي ، فاسترجعت مدينة بعلبك من سيطرة الزنكيين واضطر واليها الأمير نجم الدين أيوب إلى الاستلام عند عدم وصول النجدة أليه من ولدي الأتابك عماد الدين زنكي . وطلب الأمير معين الدين انر من أميري حمص وحماه إعلان الطاعة والولاء لدمشق عقب سقوط بعلبك [3] .

لم يتخذ ولدا الأتابك عماد الدين زنكي أي اجراء ضد دمشق التي استولت على بعض ممتلكاتهما ، لانشغالهم برد الاعتداءات التي وقعت على املاكهما بعد

---

[1] لقد قتل الأتابك عماد الدين زنكي على يد خادمه برنقش الفرنجي في ربيع الاول سنة 541هـ/1146 عندما كان يحاصر قلعة جعبر وقد التجا قاتل عماد الدين زنكي إلى امير القلعة علي بن سالم بن مالك العقيلي فرحب به واكرمه . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 284-285 ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص359 .

[2] ابن الأثير : الكامل ج9، ص342 ؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص134 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 287- 288 ح ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص110 ؛ ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص19 .

مقتل والدهم[1]،وحدوث المنازعات بينهما حول تركه أبيهما ووراثة الحكم فـي دولته[2] ، التي انقسمت بين ولديه الملك سيف الدين غازي الذي اخذ الأقسـام الشرقية التي تشمل الموصل والمناطق التابعة لها ، والملك نور الدين محمـود الذي اخذ الأقسام الغربية التي تشمل حلب والمناطق التابعة لها [3] .

بالرغم من انقسام المملكة بين ولدى عماد الدين زنكي وعودة الصـفاء بينهما فانهما لم يعملا على اثارة المشاكل مع دمشق وذلك لانشغال سيف الدين غازي بمشاكله مع الاراتقة [4] ، وانشغال نور الدين محمود بمشكلة الرها وهي المدينة التي استعادها الأتابك عماد الدين زنكي مـن سـيطرة الفرنجـة سـنة 539هـ/1144 م ، والتي كان يسكنها بالإضافة إلى المسلمين النصـارى مـن السريان الذين كانوا يفضلون حكم الأتراك المسلمين على حكم الفرنجة النصارى اخوانهم في الدين لما وجدوا في الدين الإسلامي وحكمه من العدالة والامان مـا لم بجدوه في حكم الفرنجة القائم على الظلم والتعسف ، والأرمن الذين يفضلون حكم الفرنجة النصارى على حكم الأتراك المسلمين لدافعين احدهما ديني ممـثلا بكراهية الأرمن للمسلمين وكانوا يحملون نزعة الحقد نفسها التي كان الفرنجـة يحملونها وثانيهما عنصري لان أم جوسلين الثاني كانت ارمنية وكانوا يـرون فيه نصف ارمني[5] .

تمكن الفرنجة بالتواطؤ مع الارمن من دخول المدينة واستباحتها وقتـل جميع المسلمين فيها الا حامية المدينة التي اعتصمت بقلعتها ، فسار اليها نور

---

(1) ابن الأثير : الكامل ،ج9، ص342 .

(2) ابن الأثير : الباهر ، ص87-88 ؛ المقريزي : السلوك ، ج1، 38 .

(3) سبط بن الجوزي : امراة الزمان ، ج8، ق1، ص193؛ الذهبي : العبـر ، ص111؛ ابـن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص221 ؛ الجميلي:اتابكية الموصل، ص 68- 69 .

(4) ابن الأثير : الباهر ، ص88 .

(5) ابن الأثير : الكامل ،ج9، ص342؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص125؛ عليـه عبـد السميع الجنزوري (الدكتورة) : امارة الرها الصليبية ، القاهرة ، مطابع سـجل العـرب ، 1975، ص314 .

الدين محمود وحاصرها من جميع الجهات فدخلها وامر بنهبها وقتـــل ســـكانها النصارى من الأرمن وغيرهم جزاء غدرهم وخيانتهم . [1]

ثانياً : تطور العلاقات بين دمشق وحلب

بعد ان تخلص نور الدين محمود من مشكلة الرها ، تحسنت العلاقات بين حلب ودمشق وسعت كل منها إلى الحفاظ على هذه العلاقات وتطويرهـــا ، وقـــد عبرت حلب عن رغبتها في الحفاظ على هذه العلاقات وتطويرها عنـــدما ارجـــع الملك نور الدين محمود إلى الأمير معين الدين انر اخذها ابوه الأتابك عماد الدين زنكي بعد استيلائه على بعلبك سنة 533هـ/1139م[2]، وسعت دمشق من جانب اخر على تطوير هذه العلاقة مع حلب ، وذلك من خلال قيام الأمير معين الـــدين انر بتسليم الخادم بر تقش الفرنجي قاتل الأتابك عماد الدين زنكي إلى ولديه بعد لجوءه إلى دمشق [3]، على الرغم من الكراهية التي كان حكام دمشـــق واهلهـــا يكنونها للامير عماد الدين زنكي ، بسبب هجوماته التكررة على دمشق والتـــي كان يهدف من ورائها ضم مشق إلى دولته والقضاء على استقلالها ، فان هـــذا الموقف من حكام دمشق لا يمكن اعتباره موقفا متعاطفا مع الأمير عماد الـــدين الزنكي ، بل له غايات واهداف سياسية منها .

1- الرغبة في إقامة علاقات ودية بين حكام دمشق وولدي عماد الدين زنكي .

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص288؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص219؛ محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، حلـــب ، المطبعـــة العلميـــة ، 1342 -1942م ،ج2 ، ص6 .

[2] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص 310-311؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ص61؛ ابـــن خلدون : العبر ، ص247 .

[3] ذكر ذلك ابن القلانسي فقال (وصادم برتقش القاتل لعماد الدين اتابك رحمه الله قد فصـــل عن قلعة جعبر لخوف صاحبها من طلبه منه وصل إلى دمشق متيقنا انه قد امن بها ومـــدلا بما فعله وظن ان الحال على ما توهمه فقبض عليه وانقذ إلى حلـــب صـــحبه مـــن حفظـــه واوصله اليها فاقام بها اياما ثم حمل إلى الموصل وذكر انه قتل بها): ذيل تاريخ دمشـــق ، ص 288 .

2- رغبة حكام دمشق في ابعاد ولدي عماد الدين زنكي عن التفكير بالاستيلاء على دمشق كما ابوهما يسعى للاستيلاء عليها عدة مرات ففشل .

3- رغبة حكام دمشق في ان يكون هذا الموقف ثمنا لسكوت ولدي عماد الدين زنكي عن مطالبة حكام دمشق بما اخذوه من املاك ابيهما عماد الدين زنكي

وكان نور الدين محمود يسعى إلى توطيد العلاقة مع حكام دمشق من اجل تخليص حكومة دمشق من التحالف مع مملكة بيت المقدس وتطوير العلاقة بين حلب ودمشق بما يخدم حركة الجهاد ضد الفرنجة ، وقد سعت حكومة دمشق إلى ابقاء التحالف مع مملكة بيت المقدس على الرغم من النوايا الحسنة إلى كان الملك العادل نور الدين محمود يظهرها لدمشق [1] .

ان الشعور بعدم الثقة والاطمئنان والخوف من ولدي عماد الدين زنكي كان مسيطرا على نفوس حكام دمشق ، وقد تولد هذا الشعور بسبب هجمات عماد الدين زنكي المتكررة على دمشق ،ومما ساعد على زيارته مواصلة الملك نور الدين محمود سياسته في توحيد الجبهة الإسلامية وتوظيفها في خدمة حركة الجهاد ، وارادت حكومة دمشق من إبقاء التحالف مع مملكة بيت المقدس حجة تستند عليها في حفظ توازن القوى في بلاد الشام والاستفادة منه في الحفاظ على استقلالها والاستنجاد بملكة بيت المقدس في حالة تعرضها إلى هجمات ولدي الأتابك عماد الدين زنكي[2] .

وتطورت العلاقات بين حلب ودمشق من صفة العلاقات السياسية القائمة على المراسلات الدبلوماسية إلى العلاقات الاسرية التي اثمرت عن مصاهرة بين الملك العادل نور الدين محمود حلب والأمير معين الدين انر نائب أمير دمشق الذي تزوج الملك العادل نور الدين محمود ابنته الأميرة عصمة الدين خاتون [3]

---

[1] الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، 539 .

[2] حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ، ص43؛ عاشور : اضواء جديدة ، ص29 .

[3] عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين انر (ت581هـ/1186م) ، زوجة الملك العادل نور الدين محمود (ت569هـ / 1174م ، وقد تزوجت السلطان صلاح الدين بن يوسف بن ايوب (589هـ/1193 م) سنة 572هـ/1176 م . وكانت من اهل الديانة=

وبعد اتمام مراسيم الرواح في دمشق في شهر شوال سـنة 541هـ/1146 م ارسلت إلى حلب في ذي القعدة السنة نفسها [1]، ومع هـذا لـم تسـتطع تلـك العلاقات الاسرية من تفكيك التحالف بين دمشق وبيت المقدس [2] .

ثالثاً : قصبة حوران سنة 541هـ/1146 م.

لقد اخذت بوادر تفكك التحالف بين دمشق وبيت المقدس تلـوح بـالافق رغم حرص الأمير معين الدين انر على ابقاء هذا التحالف بعد قيام مملكة بيـت المقدس بمساعدة الأمير التونتاش امير صرخد وبصرى المتمرد علـى دمشـق الذي عرض على أمراء مملكة بيت المقدس التنازل عن مدينتي صرخد وبصرى مقابل مساعدته بالاستقلال باقليم حوران [3]، ولم يدرك هـؤلاء الأمـراء قيمـة الدور الذي تلعبه دمشق بوصفها حليفة يقف معهم ضد أعدائهم المسلمين [4] ، وادت هذه السياسة العدوانية[5] إلى استعانة حلفائهم حكام دمشق بعدوهم الملك

والعفاف والتقوى وتقرب العلماء والصالحين وبنت المدرسة الخاتونية في حجـر الـذهب لفقاء المذهب الحنفي وبنت خانقاه (تكية) للصوفية . الذهبي : العبر ، ج4 ، ص245 .

[1] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص 129 ؛ الذهبي : دولة الاسلام ، ج2، ص129 .

[2] النبراوي : العلاقات السياسية الاسلامية ، ص185 .

[3] ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص289 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج1، ص129 .

[4] عاشور : الحروب الصليبية ، ج2، ص616 .

[5] فان وقوع مملكة بيت المقدس تحت حكم ملك قاصر هو بلدوين الثالث تحت وصاية أمراءة هي امة الملكة مليزاند . وتحكم الأمراء والنبلاء في شؤون مملكة بيت المقدس بعد وفـاة الملك فولك سنة 539هـ/1144م . فان الملكة الوصية وأمراء مملكة بيت المقـدس لـم يكونوا بمستوى الحكمة والتعقل الذي ان الملك فولك الخامس يتمتع به وكان يدرك قيمـة الدور الذي تلعبه دمشق في الوقوف بوجه مخططات الأتابك عماد الدين زنكي ومشـاريعه . فان معدان التعقل والحكمة لدى أمراء مملكة بيت المقدس جعلها تخبط في سياستها اتجاه دمشق : الباز العريني : الشرق الاوسط ،ج1، ص540 .

العادل نور الدين محمود ضدهم ، الذي كان يأخذ حصونهم وقلاعهم ويسعى إلى القضاء على نفوذهم وتحرير الشام من سيطرتهم واحتلالهم[1] .

ولم يكن هؤلاء الأمراء والقادة على جهل بالاحداث التي وقعت في بلاد الشام بعد مقتل الأتابك عماد الدين زنكي سنة 541هـ/1146م، فان هجوم الاعداء على دولته وانقسامها بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود [2]، جعلهم يعتقدون بان الخطر الذي كان يهددهم قد زال بمقتل الأتابك عماد الدين زنكي وان ولديه لم يكونا بمستوى الخطر الذي كان ابوهما يشكله عليهم [3]، وبزوال هذا الخطر فان وجود دمشق حاجزا يقيهم من هذا الخطر وحليفا يساعدهم ضد المسلمين ، لم يعد له اهمية بنظرهم ، ولم يقدروا هذا الموقف تقديرا صحيحا ، ولم يدركوا فداحة الخطأ الذي وقعوا فيه الا بعد فوات الاوان [4] .

ووجد أمراء مملكة بيت المقدس في العرض الذي تقدم به التونتاش الفرصة للتوسع على حساب دمشق ، وارسلوا قواتهم بقيادة الملك بلدوين الثالث والذي كان قاصرا يبلغ من العمر ستة عشر فوصلت إلى طبرية ومنها توجهت إلى حوران ،وقد ارسل الأمير معين الدين انر إلى قادة بيت المقدس منددا بسياستهم العدائية هذه ضد دمشق وطلب منهم احترام الحلف المعقود بين دمشق وبيت المقدس ، وحذرهم من نتائج هذه السياسة العدوانية ضد دمشق والتي ستلقي بحكام دمشق بالتحالف مع عدوهم نور الدين محمود وستجر عليهم

---

[1] الفتح بن علي البنداري (ت 648هـ/ 1246م) : سنا البرق ، تحقيق ، الدكتوره فتحية البنداري ، مصر ، مكتبة الخانجي ، 1979 م ج2، ص 16 .

[2] الذهبي : دول الاسلام ، ج2، ص42 ؛ القرماني : اخبار الدول ، ص279 .

[3] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2 ، ص291 .

[4] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص129 .

نتائج وخيمه ، وقد تجاهل قادة بيت المقدس تحذير الأمير معين الدين انر ولـم يعيروا له أي اهتمام [1] .

وادى ذلك إلى توجه الأمير معين الدين انر إلى صرخد على راس قواتـه وعسكر بها وارسل إلى الملك العادل نور الدين محمود طالبا منه المساعد والذي وصل بقواته إلى صرخد واجتمع بها مع الأمير معين الدين انر ومنها توجها إلى بصرى لمنع الفرنجة من الوصول اليها ، واصطدمت قواتهما بالقوات الفرنجيـة مكبدتها خسائر هائلة من القتلى والجرحى مما جعل وضعها سيئا للغاية ، فجعل قادة بيت المقدس يندمون اشد الندم على هذا الفعل الشنيع الذي ارتكبوه بحـق حليفتهم دمشق وطلبوا من الأمير معين الدين انر السماح لقواتهم بالعودة إلـى فلسطين لأنهم كانوا لا يردون اثارة المشاكل مع دمشق [2] .

واستغلت القوات الإسلامية الحالة المرزية التي كانـت عليهـا القـوات الفرنجية فهجموا عليها واوقعوا في صفوفها الخسـائر الفادحـة ، ممـا ادى بالأمير معين الدين انر إلى التدخل والطلب من القوات الإسلامية الكف عن القتال والسماح لهم بالعودة من حيث اتوا ، لعدم رغبته في اثارة المشاكل مع مملكـة بيت المقدس ، وقد انسحبت هذه القوات وهي تجر اذيـال الخيبـة والخسـران بصعوبة بالغة بعد تكبدها خسائر كثيرة بالرجال والأموال . [3]

رغم انكشاف أطماع مملكة بيت المقدس بدمشق بشكل جلـي وانكشـاف الوجه الحقيقي لقادتها بأنهم لا يرعون عهدا ولا ميثاقا ولا يحترمون صديقا ولا حليفا ، ومع هذه الحقائق الواضحة للعيان ، فان الأمير معين الدين انـر لازال الشك يساوره اتجاه الملك العادل نور الدين ولازالت لديه الرغبـة فـي إبقـاء

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص289؛ الباز العريني : الشـرق الاوسـط ،ج1، ص 540-541 .

[2] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص 129-130 ، عاشور : الحركـة الصـليبية ، ج2، ص 618-619 ،

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص290 .

التحالف بين دمشق وبيت المقدس وتجديده [1]، وساهم هذا العمل العدواني الذي شنته مملكه القدس على دمشق في تقوية التحالف بينها وبين حلب مما ساعد على تطوير حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة والتي تمثلت بظهور شخصية الملك العادل نور الدين محمود علي مسرح الأحداث في بلاد الشام وقدرته على مواجهة الفرنجة ففتح عدة حصون منها بصرفوت [2] وكفر لاثا[3]سنة 542هـ/1147 م[4] .

رابعاً : الحملة الصليبية الثانية سنة 543هـ/1148م

من الأحداث المهمة التي ظهرت ببلاد الشام في عهد الاتابكية قدوم قوات الحملة الصليبية الثانية سنة 543 هـ/1148م ، بقيادة الإمبراطور الالماني كونراد الثالث والملك الفرنسي لويس السابع وهما اكبر ملكين في أوربا الغربية [5]، والتي ارسلت من قبل البابوية نتيجة طلب الفرنجة لها بعد تحرير الرها سنة 539هـ/144م [6] ، من الاحتلال الفرنجي ، والتي احدث تحريرها تاثيرا نفسيا قويا لدى النصارى من الفرنجة والارمن الذين اتجهت جموعهم إلى اوربا الغربية تطالب البابا بإرسال حملة صليبية جديدة لاسترجاع الرها من أيدي المسلمين[7].

وكانت لمدينة الرها أهمية سياسية باعتبارها عاصمة لأول أمارة فرنجية أقيمت على الأرض العربية الإسلامية [8]، وأهمية دينية باعتبارها من المدن

---

[1] ابو شامة : الروضتين ،ج1، ص130 .

[2] بصر فوت : حصن من اعمال حلب ، ياقوت : معجم البلدان ،ج1، ص420.

[3] كفر لاثا : قرية من اعمال حلب : ياقوت : معجم البلدان ، ج4، ص470 .

[4] ابو شامة : الروضتين ،ج1، ص132 ؛ طلت صبار : امارة انطاكية ، ص186 .

[5] ابن الجوزي : المنتظم ، ج1، ص351 ؛ عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة ، ص174 .

[6] البنداري : مختصر دولة ال سلجوق ، ص116؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج2، ص52 .

[7] قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، ص137 .

[8] الجنزوري : امارة الرها ، ص343 .

المقدسة عند النصارى [1]، فان تحريرها بأيدي المسلمين كان صـــدمة عنيفـــة لنصارى الشرق والغرب على حد سواء [2]، كما انه يمثل بداية النهايـــة لـــذلك الصرح الفرنجي الذي بناه الفرنجة في الشرق [3]، وغير موازين القوى لصالح المسلمين الذيــــن تحولت حالتهم من حالة الدفاع السلبي إلى حالـــة الهجـــوم الإيجابي [4].

بعد وصول قوات الحملة الصليبية الثانية إلى فلسطين تم عقـــد مجلـــس حربي حضره الإمبراطور الألماني كونراد الثالث والملك الفرنسي لويس السابع بعكا في ربيع الاول سنة 543 هـ/1148م ، واجتمعا بأمراء فرنجة الشرق وهم الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس والأمير جوسلين الثاني امير الرها والأمير بيدمونت امير انطاكية والأمير ريموند الثالث امير طرابلس ، وجرى فيه نقـــاش حول وجهة الحملة [5].

واختلف أعضاء المجلس حول وجهة الحملة فقد كان ملكا اوربا الغربيـــة وقادة بيت المقدس يرغبون في توجيه الحملة إلى دمشق التي كان أمراء بيـــت المقدس يسعون إلى ضمها إلى مملكتهم ، بينما كان ملكا أوربا الغربية يرغبـــان في تكوين إمارة فرنجية في دمشق على غرار الإمارات الفرنجية التـــي اقيمـــت على الأرض العربية الإسلامية في أعقاب الحملـــة الصـــليبية الأولـــى (488-492هـ/1095-1099م) ، وكان أمراء الرها وطرابلس وانطاكية يرغبون في توجيهها إلى شمال بلاد الشام ، فقد كان امير الرها يرغب فـــي توجيـــه قـــوات

---

(1) ان قدسية هذه المدينة تعود إلى وجود المنديل الذي يعتقد فيه النصارى بان صورة الســـيدة المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) بعد مسحه فيه في كنيستها . ابن العبري : تـــاريخ مختصر الدول ، ص278 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، ج10 ، ص351 ؛ زابروف:الصليبيون في الشرق، ص185 .

(3) البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق ، ص186 ؛ الجنزوري : امارة الرها ، ص343 .

(4) ابن الأثير : الباهر ، ص34 .

(5) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12،ص 416 ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص455 .

الحملة لاستعادة الرها من ايدي المسلمين ، بينما كان كل من امير طرابلس وامير انطاكية يرغبان في توجيه قوات الحملة للهجوم على حلب [1]،لمعاقبة الملك نور الدين محمود الذي اذاقهم الويل بضرباته الموجعة لهم[2] .

لقد انتصر الفريق الذي دعا إلى توجيه الحملة إلى دمشق مما اضطر أمراء الرها وطرابلس وانطاكية إلى الانسحاب من المجلس ، ولم تشترك قواتهم بالحملة فلم يهتم ملكا اوربا الغربية بالخطر الذي تتعرض له الإمارات الفرنجية في شمال بلاد الشام من قبل الملك نور الدين لعدم معرفتهما الكافية بأوضاع الشام والخطر الذي يشكله نور الدين محمود على الوجود الفرنجي بها [3]، اما أمراء مملكة بيت المقدس مع معرفتهم بهذه الأوضاع فلم يهتموا بما يحدث في شمال الشام وذلك للاسباب التالية .

1- **ان توسط دمشق بين بيت المقدس وحلب جعل أمراء مملكة بيت المقدس يشعرون بالامان من ضربات نور الدين محمود على عكس الإمارات الشمالية التي كانت تتعرض لضرباته [4].**
2- **عدم استيعابهم الدرس القاسي الذي تلقوه على يد القوات الدمشقية والحلبية عندما تحالفوا مع التونتاش الأمير المتمرد على دمشق سنة 541هـ/1146 [5].**
3- **اغترارهم بالجموع الهائلة التي قدمت من اوربا الغربية وظنوا ان المسلمين غير قادرين على الانتصار عليها [6] .**

---

[1] عاشور: الحركة الصليبية ، ج2، ص416 ؛ البـاز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص564.

[2] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص132 ؛ زابروف : الصليبيون في الشرق ، ص185 .

[3] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج5، ص282 .

[4] ابن العديم : زبدة الحلب ، ص 303 –304 .

[5] ابن واصل مفرج الكروب ، ج1، ص129 ؛ سميل : الحروب الصليبية ، ص158.

[6] البنداري : مختصر دولة ال سلجوق ، ص205؛ ابن الأثير : الباهر ، ص88.

4- تنصيب ملك قاصر تحت وصاية امرأة فضلاً عن تحكم الأمراء والنبلاء بشؤون مملكة بيت المقدس [1] ، الذين يفتقرون إلى الحنكة والخبرة السياسية والتعامل بحكمة مع الأوضاع جعلهم يقعون بالتخبط والتهور [2] .

تحركت قوات الحملة من عكا ووصلت إلى طبرية ومنها توجه إلى دمشق عن طريق بانياس في ربيع الاول سنة 543هـ /حزيران 1148 م ، وهاجمت الغوطة واحتلت بعض المراكز الأمامية كالمزة والربوة وتصدى لهم اهل دمشق الذين الحقت القوات الفرنجية الهزيمة بهم واستشهاد عدد كبير منهم [3] ، ونزلت قوات الفرنجة في الميدان الأخضر وعسكرت فيه وقطعت الأشجار وهدمت القناطر وتحصنت فيه ، لكنها اضطرت إلى الانسحاب بصعوبة إلى المناطق الشرقية من دمشق ، بسبب المقاومة العنيفة التي ابدها اهل دمشق ضدها [4].

في ظل هذا الوضع الصعب الذي مرت به دمشق ، أعلن الأمير معين الدين انر النفير العام فيها وامر ولاة المدن إرسال القوات الموجودة فيها إلى جبهات القتال ، وطلب النجدة من الأمير سيف الدين غازي (ت544-هـ/1149م) ملك الموصل ، الذي لبى نداء الأمير معين الدين انر وتوجه بقواته إلى حمص للالتقاء بأخيه الملك نور الدين محمود ملك حلب للتوجه سوية لقتال الفرنجة [5] .

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص227 .

(2) عاشور : الحركة الصليبية ، ج2، ص 631 .

(3) اسامة بن منقذ :الاعتبار ، ص 94-95 ؛ الذهبي : العبر ، ج4، ص 116-117.

(4) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص299 ؛ ابو شامة الروضتين ، ج1، ص138 ؛ عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة ، ص126 .

(5) ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص535 ؛ ابو الفداء : المختصر ،ج3، ص20 ،ج1، ص138 ؛الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص565 ؛ الحصني : جامع التواريخ ، ج1، ص149 .

في اثناء تواجد قوات الموصل وحلب في حمص طلب الأمير سيف الدين غازي من الأمير معين الدين انر ان يسلم دمشق إلى نوابه ، [1]، الأمر الذي حمل معين الدين انر على الشك في صدق نوايا ولدي عماد الدين زنكي نحو دمشق ، ولاسيما ان العلاقة التي بين حكام دمشق وبين أبيهما الأتابك عماد الدين الزنكي كان يسودها التوتر ، ولم يرد الأمير معين الدين انر على طلب الملك سيف الدين غازي بالموافقة او الرفض فانه كان يخشى ان سلم المدينة اليهم لا يخرجون منها[2]. وقد ارسل الأمير سيف الدين غازي تهديدا إلى الإمبراطور الألماني والملك الفرنسي بقتالهما ان هما لم ينسحبا من دمشق [3].

وقد استطاع الأمير معين الدين انر بما يمتلك من ذكاء وخبرة سياسية ان ينقذ دمشق من السقوط بيد قوات الحملة الصليبية الثانية ، فقد أرسل إلى الإمبراطور الألماني والملك الفرنسي وهددهما بالاستعانة بسيف الدين غازي كما ارسل إلى قادة بيت المقدس وحذرهم من نوايا الإمبراطور الألماني والملك الفرنسي وهددهم بتسليم دمشق إلى سيف الدين غازي [4]، وقد عرض الأمير

---

[1] فقال سيف الدين غازي لمعين الدين انر (لقد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح في بلادي ، فان انا ان جئت اليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابي واصحابي وكانت الهزيمة علينا لا يسلم منا احد لبعد بلادنا عنا وحينئذ يملك الفرنج دمشق وغيرها ، فان اردت ان القاهم واقاتلهم فتسلم البلد إلى من اثق به وانا احلف لك ان كانت النصرة لنا على الفرنج لاخذ ولا اقيم بها الا بقدر ما يرحل العدو واعود إلى بلادي) : ابن الأثير ، الباهر ، ص89 .

[2] ابن واصل : مفرج الكروب ، ص113؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص127؛ الجميلي : الاتابكية الموصل ، ص89 .

[3] ابن الأثير : الباهر ، ص89 .

[4] قال ابن الأثير (ارسل معين الدين إلى الفرنج الغربا ان ملك الشرق قد حضر فان رحلتهم والا سلمت البلد اليه ، وحينئذ تندمون وارسل إلى فرنج الشام يقول لهم بأي عقل تساعدون هؤلاء وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق اخذوا ما بأيدكم من البلاد الساحلية وما ان رأيت الضعف في حفظ البلد سلمته إلى سيف الدين وانتم تعلمون ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام بالشام) : الكامل ، ج9 ، ص354 .

معين الدين انر علـــــــى قادة بيت المقدس اعطائهم مدينة بانياس مع الأموال ان استطاعوا اقنـــــــــاع هؤلاء الفرنجة القادمين من اوربا الغربية بالرحيـل عن دمشق [1] .

وبالفعل اجتمع قادة بيت المقدس بملكي اوربا الغربية وحـــذروهما مـــن سيف الدين غازي بما عنده من الجيوش والإمدادات ما يصعب دفعـه فاقتنعـا ورحل عن دمشق [2] ،وهكذا رحلت قوات الحملة الصليبية الثانية عــن دمشــق وهي تجر اذيال الخيبة والخسران بعد ان فشلت في تحقيق اهدافها [3]، وتم عقد المعاهدة بين دمشق وبيت المقدس التي تسلم قادتها مدينة بانياس والأموال من الأمير معين الدين انر الذي وعدهم في إعطائهم إياها حال رحيل القوات الالمانية والفرنسية عن دمشق [4] .

يعد توجيه الحملة قصر نظر وخطأ سياسيا ارتكبه قاده بيت المقدس بحق دمشق وبحق أنفسهم ، ذلك لان الحملة أساساً لم تكن موجهة إلى دمشق ، بـل كانت متوجهة إلى مدينة الرها لاستعادتها من أيدي المسلمين [5] ، ولـم تكـن حكومة دمشق في عهد الأمير معين الدين انر قد اتخذت اية سياسة عدائية ضد الفرنجة بل على العكس من ذلك ، بل كانت تسعى إلى مصالحتهم ومدهم بالأموال والتحالف معهم ضد المسلمين [6] ، فادت هذه السياسة العدائية لمملكـة بيـت المقدس إلى تخلي امارات شمال الشام الفرنجية عن نصرتها وتحالف دمشق مع عدوها نور الدين محمود ضدها، ولم تحافظ على العلاقة معها ، رغـم حـرص

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص244؛ الحصني : جامع التواريخ، ج1، ص149 .

[2] ابن الأثير : الكامل ، ج9 ، ص354 .

[3] اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص116 ؛ ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص20 .

[4] ابن واصل:مفرج الكروب ، ج1، ص113 ؛ ابن الوردي : تيمة المختصر ،ج2، ص68
المطوي العروسي : الحروب الصليبية ، ص48 .

[5] الجنزوري : امارة الرها ، ص323 .

[6] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص272 ؛ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ص111 .

دمشق على علاقة الصداقة معها [1]، ولم تفكر مملكة بيت المقدس بالإمارات الفرنجية التي تتعرض إلى ضربات نور الدين في بلاد الشام،بل كانت تسيطر على قادتها النزعة الأنانية والسياسة العدوانية[2]،وساهمت عدة عوامل على إفشال الحملة الصليبية الثانية منها:

1- **انحرافها عن هدفها المعلن في استرجاع مدينة الرها من أيدي المسلمين والتوجه إلى دمشق ، الامر الذي اغضب الكنيسة والبابوية على ملكي اوربا الغربية وقادة بين المقدس واعتبرته خيانة كبرى للقضية الدينية التي يقاتل من اجلها الفرنجة [3] .**
2- **المقاومة البطولية لأهل دمشق الذي انتخوا لنصرة دينهم وأمتهم ضد الفرنجة اذ كان لها الاثر الكبير في إيقاع الخسائر الفادحة في صفوف قوات الحملة الصليبية الثانية مما ساهم إرباك حركتها ، وقد اشترك الجميع في قتال الفرنجة من الفقهاء والعلماء والعباد ، كما قاتل الرؤساء والأعيان . [4]**
3- **الدور السياسي المحنك الذي لعبه الأمير معين الدين انر في اثارة بذور الشك والريبة بين فرنجة الشرق والغرب ،[5]واستخدامه وجود ولدي زنكي ورقة ضغط على الفرنجة[6] الذين خافوا من الاصطدام بقواتهما بعد ان تأكدوا بأنهم لا يستطيعون مجاراتها فاضطروا إلى الانسحاب [7].**

---

[1] ابن الأثير : الكامل ، ج9، ص 313- 314 .

[2] عاشور : الحركة الصليبية ، ج2 ، ص631 .

[3] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج2، ص457 .

[4] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج8، ق1 ، ص197 ؛ ابن خلدون :العبر ، ج5، ص160 .

[5] الذهبي :العبر،ج4 ص117-118؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج2،ص 463.

[6] ابن الأثير : الباهر ، ص89 .

[7] الداواداري : الدرة المضية ،ص511 ؛ الجميلي : اتابكية الموصل ، ص76؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص47 .

4- السياسة العدوانية الخاطئة التي ارتكبها الفرنجة بحق دمشق والتي ادت إلى تحالف حكام دمشق مع نور الدين ضدهم وتخلي امارات الفرنجة في شمال الشام عنهم[1].

وكان من نتائج هذه الحملة ان قواتها أصيبت بنكسة كبيرة من الناحيــة العسكرية ومن الناحية السياسية والمعنوية ادت إلى فقدان شعوب أوربا الغربية ثقتها بالحركة الصليبية [2] ، وخاصة بعد مقتل القسيس ايليا الــذي ادعــى ان السيد المسيح عليه السلام قد وعده بفتح دمشق ، [3]، فان وجود هذا القســيس في صفوف قوات الحملة لم يكن امرا اعتباطيا بل كان مخطط له قد يكون لملكي أوربا الغربية وقادة بيت المقدس لهم دور في دس هذا القسيس فــي صــفوف الحملة لإيجاد المبرر الديني لانحراف الحملة عن هدفها الأصلي [4].

وقد ساعدت هذه الحملة على تقوية هذا التحالف بــين دمشــق وحلــب وظهور الملك العادل نــــــور الديــــن محمود قائداً لعملية الجهاد ضد الفرنجة خلفا لأبيه [5]،وكشفت القدرة السياسية الهائلة التي كان الأمير معين الدين انــر يتمتع بها ،والتي استطاع من خلالها الحفاظ على استقلال دمشق ودفع الفرنجة عنها مما ادى إلى ازدياد مكانته بين اهل دمشق [6].

خامساً : فتح حصن العزيمة سنة 543هـ/1148م

في أثناء تواجد الأمير معين الدين انر في بعلبك التي ذهب أليها بعد رحيل قوات الحملة الصليبية الثانية عن دمشق ، وصلت أليه رسالة من الأمير ريموند الثالث (ت548هــ/1153م) امير طرابلس والذي ايضا راسل الملك العادل نـــور الدين محمود ، طالبا منهما مساعدته ضد قائد حصن العزيمة ابن الفنش الــذي

---

[1] ابن الأثير : الباهر ، ص89 .

[2] باركر : الحروب الصليبية ، ص96 .

[3] ابن الجوزي: المنتظم ، ج10 ، ص131 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص224 .

[4] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج2، ص453 .

[5] الذهبي : العبر : ج4، ص209 .

[6] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص 113 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، ص158 .

تمرد عليه وهدده بانتزاع امارة طرابلس منه ، وتعد ظاهرة استعانة أمراء الفرنجة بالمسلمين بعضهم ضد بعض بسبب الخلافات الشخصية بينهم والاطماع السياسية لهم ورغبة احدهما بالتوسع على حساب الاخر من الظواهر السائدة بين الفرنجة في بلاد الشام[1].

واستجاب الأمير معين الدين انر والملك العادل نور الدين محمود لطلب امير طرابلس وتوجها بقواتهما إلى الحصن ، وطلبا من الأميرسيف الدين غازي أمير الموصل ارسال القوات والمساعدة اليهما ، ووصلت قواتهما إلى الحصن وفرضت عليه الحصار وقد اعتصم به ابن الفنش واستمرت حامية الحصن بالمقاومة إلى ان تمكنت قوة النقابين المرافقة للقوات الدمشقية والحلبية من نقب اسوار الحصن ، مما سهل مهمة القوات الإسلامية في السيطرة عليه بعد استسلام الحامية المرابطة فيه واستولت على جميع ما فيه ، وخربته وبعد هذه العملية الحربية المظفرة عاد نور الدين محمود إلى حلب ومعين الدين انر إلى دمشق [2] .

سادساً : العدوان الفرنجي على حوران سنة 543هـ/1149م

لم يستوعب الفرنجة الدرس الذي تلقوه في اثناء الحملة الصليبية الثانية ولم تحترم مملكة بيت المقدس المعاهدة المعقودة بينها وبين دمشق في أعقاب الحملة الصليبية الثانية ، فقد شن الفرنجة الساكنين في صور وصيدا والمناطق الساحلية التابعة لها غارة عسكرية على اقليم حوران في اواخر سنة 543هـ/1149 م ، وعد الأمير معين الدين انر هذا العمل نقضا للمعاهدة المبرمة بين دمشق وبيت المقدس ، فتوجه على راس قواته إلى حوران وعسكر

---

[1] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص 142 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،ج2، ص2 ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ،ج2، ص68 .

[2] ابن الأثير : الباهر ، ص90 ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،ج2، ص292 ؛ الجميلي : اتابكية الموصل ، ص78-79 ؛ محمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية ، ص15 .

بها وعندما وصلته أخبار تحركات الفرنجة استنفر مع قواته قوة من التركمان ، كما ارسل إلى البدو الساكنين بأطراف دمشق طالبا الإمدادات [(1)].

توغل هؤلاء التركمان والبدو إلى داخل مملكة بين المقدس وشنوا الغارات العنيفة على المدن التابعة لها فقتلوا كثيرا من الفرنجة الساكنين بها واستولوا على كل ما وقعت عليه أعينهم مما أثار الرعب والهلع في نفوس قادة بيت المقدس الذين طلبوا من الأمير معين الدين انر تجديد المعاهدة المعقودة بين دمشق وبيت المقدس ، ودفعهم إلى ذلك خوفهم من للجوء للأمير معين الدين انر إلى طلب المساعدة من الملك العادل نور الدين محمود ضدهم ، وقد وافق الأمير معين الدين انر على تجديد المعاهدة لعدم رغبته في اثارة المشاكل مع مملكة بيت المقدس والعمل على الحفاظ على علاقة الصداقة القائمة بينهما [(2)].

سابعاً :التعاون بين حلب ودمشق ضد امارة انطاكية سنة 544هـ/1149م

يعد التعاون بين دمشق وحلب في محاربة إمارة انطاكية سنة 544هـ/1149م ، اخر مظهر من مظاهر التعاون بينهما ، فعندما توجه الملك العادل نور الدين محمود إلى انطاكية أرسل اليه الأمير معين الدين انر قواته التي كان يقودها الأمير بزان بن مامين الكردي بناء على طلب الملك العادل نور الدين محمود عندما طلب المساعدة منه [(3)].

ووصلت هذه القوات إلى حلب ومنها خرجت إلى انطاكية بصحبة قوات الملك نور الدين محمود ، والحقت هذه القوات الهزيمة المنكرة بقوات امارة انطاكية مكبدة اياها العديد من القتلى ومنهم أميرها البرنس بيدمونت ، وانتزعت الكثير من المدن والقلاع من سيطرتها ، ورجعت هذه القوات إلى حلب بعد هذا الانتصار ، وقد انفصلت عنها قوات الأمير معين الدين انر عائدة إلى

---

(1) ابو شامة الروضتين ،ج1، ص149 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 303-304 .

(3) ابن الأثير : الباهر ، ص90 ؛ ابن واصل :مفرج الكروب ، ج1، ص44 ؛ بركر : الحروب الصليبية ، ص96 .

دمشق [1]،وقد توفى الأمير معين الدين انر بعد اشهر قليلة من عودة قواته من حلب وبوفاته طويت صفحة التعاون بين دمشق وحلب لتبدأ صفحة جديدة من العداء والصراع بينهما لتكون تمهيدا لسقوط دمشق بيد نور الدين محمود [2].

ثامناً : تقييم سياسة دمشق خلال فترة التحالف بين دمشق وحلب (541-544هـ/1146-1149م)

ان سياسة دمشق التي كان الأمير معين الدين انر يديرها يعتبره المتولي لشؤون دمشق نيابة عن أولاد طغتكين [3]، ظهرت خطوطها العريضة بان دمشق لازلت ترغب في الحفاظ على علاقات التحالف والصداقة مع بيت المقدس [4]، برغم من وضوح الأطماع العلنية لمملكة بيت المقدس في أراضي دمشق وتعرضها إلى العدوان من قبلها [5]،ولازال الشك وعدم الثقة من ولدي عماد الدين زنكي يسيطر على نفوس حكام دمشق [6]، بالرغم من النوايا الحسنة التي كان يظهرها ولدي عماد الدين زنكي تجاه دمشق وسعيهم للمحافظة على العلاقات معها [7].

كما كانت دمشق ترغب في الاستفادة من العلاقة مع بيت المقدس كحليف يقف معها ضد ولدي عماد الدين زنكي في حالة تعرضها إلى هجمتهما ، فان مملكة بيت المقدس استفادت من هذا التوجه ان لم يكن حليفا يقف معهم ضد ولدي الأتابك عماد الدين زنكي فعلى الأقل حاجزا

---

(1) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص292 ؛ الجميلي : اتابكية الموصل ، ص78-79 ؛ طلب صبار : امارة انطاكية ، ص173 .

(2) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج8، ق1 ، ص203 ؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص48 .

(3) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ،ج12، ص408 .

(4) الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص522 .

(5) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص289 .

(6) الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1 ، ص530 .

(7) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص113 .

يقيها ضرباتهما [1]، ومع عدم ثقة حكام دمشق بولدي الأتابك عماد الدين زنكي فــانهم كــانوا يسعون إلى المحافظة على العلاقات معهما ، وعدم اثارة المشاكل بينهم وترسيخ علاقة التعاون والتحالف معهما ، وكان الهدف الأساسي من كل هذا ابعادهما عن التفكير بضم دمشــق إلــى ممتلكاتهما ، والاستعانة بهما في حالة تعرض دمشق إلى عدوان الفرنجة وخاصة مملكة بيــت المقدس [2].

---

[1] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص130 .

[2] عاشور : الحركة الصليبية ، ج2، ص616 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ،ج1، ص584 .

الفصل الرابع :

سياسة مجير الدين آبق ودورها في سقوط اتابكية دمشق (544-549هـ/1149-1154م) :

أولاً : موقف مجيرالدين ابق من العدوان الفرنجي على دمشق والمناطق التابعة لها .

لقد استفادت حركة الجهاد ضد الفرنجة من حالة التقارب بين وحلب(541-544هـ/1146- 1149م) فقد استطاع الملك العادل نور الدين محمود خلال هذه المدة العمل على تصفية ما تبقى من أملاك إمارة الرها [1]،وانتزاع الكثير من المدن والقلاع من إمارة انطاكية [2]، وكانت وفاة الأمير معين الدين انر سنة 544هـ/1149م ، نهاية التحالف بين دمشق وحلب لتبدأ مرحلة جديدة تسودها حالة العداء والكراهية بينهما ولتكون نقطة البداية للقضاء على دولة الاتابكية في دمشق [3].

يعد تسلط الأمير مجير الدين ابق على مقاليد الأمور في دمشق بداية النهاية لحكم الأسرة الطغتكينية فيها ، لافتقاره إلى الصفات التي كان الأمير معين الدين انر يتمتع بها كقوة الشخصية والخبرة والحكمة السياسية في التعامل مع الأحداث والاستفادة في الحفاظ على استقلال دمشق [4]، بل كان ضعيف

---

(1) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص361؛ ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص23 ؛ الجنزوري : إمارة الرها ، ص323 .

(2) ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص151 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ص144 ؛ الطباخ : اعلام النبلاء ، ج2، ص12 .

(3) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1 ، ص203 ؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص48.

(4) الذهبي :العبر، ج4، ص 121 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص596 .

الشخصية متهوراً ميالا إلى سفك الدماء [1]، وقد اتخذ موقفا خيانياً متخاذلا تجاه حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة [2].

ثانياً : حصار دمشق الأول سنة 544–545هـ/1150م

لما لم يتخذ الأمير مجير الدين ابق أي موقف إيجابي من العدوان الفرنجي الذي تعرضت له منطقة حوران التي اخذ الفرنجة بعض سكانها من النساء والأطفال آسري ومارسوا السلب والنهب بها ، فقد ادت هذه الأعمال العدوانية إلى اثارة غضب اهل حوران ، وعز على الملك نور الدين ان يقف مكتوف الايدي امام ما تعرض له اهل حوران الذين تخاذل مجير الدين ابق عن نصرتهم فتطوع نور الدين محمود لنجدتهم بدون طلب منهم ، ولدى وصوله إلى بعلبك هطلت أمطار غزيرة عرقلت زحف قواته [3] .

وعندما وصل إلى منطقة جسر الخشب اراد طمأنة حكام دمشق لحسن نية مقصده فارسل رسالة إلى الأمير مجير الدين ابق ووزيره مؤيد الدين ابن الصوفي أوضح فيها ان لا هدف له في دمشق مؤكدا ان هدفه نصرة أهل حوران الذين اعتدى عليهم الفرنجة، وبعث فيهما دواعي النخوة الإسلامية لمساعدته في الجهاد ضد الفرنجة [4] ،واظهر حكام دمشق عدم أهليتهم لتحمل المسؤولية إزاء

---

(1) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج15، ص136 .

(2) ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص176 .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص303 ؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ،ص134.

(4) فقال لهما نور الدين محمود (ما قصدت بنزولي هنا طالبا لمحاربتكم انما دعاني هذا الامر كثرة شكاية اهل حوران والعربان بان الفلاحين اخذت أموالهم وسبيت نسائهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم لا يسعني مع اعطائي الله وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ولا يحل لي القعود عنهم والانتصار لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم إلى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي وبذلكم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلما لهم وتعديا عليهم ، وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدا من المسلمين ولابد من المعونة بالف فارس تزاح العلة تجرد مع من توثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر

ما تتعرض له حوران على يد الفرنجة عندما ردوا على رسالة نور الدين محمود بما يدل على خيانتهم للمسلمين وعمالتهم الواضحة للفرنجة [1].

وبهذا الموقف الخياني مهد مجيرالدين ابق من حيث لا يدري لنور الدين محمود محاصرة دمشق وانتزاعها من حاكمها الخائن واعادة اعتبارها الذي فقدته على يد مجير الدين ابق أليها ، وكان للأمطار دور في عرقلة تقدم قوات نور الدين محمود لحصار دمشق ، وجرت بين الطرفين مراسلات لتلافي هذه الازمة التي كان من اثارها عقد الصلح بينهما في شهر محرم سنة 545هـ/1150 م ، والذي بموجبه بذل حكام دمشق الطاعة لنور الدين محمود وذكر اسمه في الخطبة على المنابر ونقشه على النقود بعد اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي [2] .

ولم ينسى نور الدين محمود لمجير الدين ابق عمالته للفرنجة وقام بمحاولة انتزاع دمشق منه وتعامل مع اهل دمشق بما حملهم على محبته ، لامسين الفرق الكبير بينه وبين مجير الدين ابق [3]، وقد كان لهطول الأمطار وحرص نور الدين محمود على اروح المسلمين دورا كبيرا في إفشال محاولة ضم دمشق إلى دولته ، مما ادى ذلك إلى قبوله الصلح مع حكام دمشق والعودة بقواته إلى حلب[4].

عسقلان وغزه) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق،ص309؛ابو شامة:الروضتين،ج1،ص178-179 .

(1) وكان جواب مجير الدين ابق وابن الصوفي على رسالة نور الدين محمود ما يلي فقالا (ليس بيننا وبينك الا السيف وسيوافينا الافرنج ما يغنينا عن دفعك ان قصدتنا ونزلت علينا) ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ، ص309 ؛ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية ، ص135 .

(2) ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق، ص310 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،ج12، ص228.

(3) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ،ج 8، ص206 ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج5، ص318؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص190 .

(4) ابن العديم : زبدة الحلب ،ج2، ص304 ح الذهبي : العبر ، ج4، ص123 .

ثالثاً : حصار دمشق الثاني سنة 546هـ/1151م

عندما لم يلتزم حكام دمشق ببنود الصلح الذي عقد بين دمشق وحلب سنة 545هـ/1150 م ، عاد نور الدين محمود لحصار دمشق التي وصل اليها في شهر محرم سنة 546هـ/1151 م مرة اخرى ،وعسكرت قواته بعيون الفاسريا بين دومة وعذراء [1] ، فارسل إلى حكام دمشق طالبا منهم التراجع عن التحالف مع الفرنجة ولم يجيبوا على طلبه هذا [2]،فرحلت قواته عنها وعسكرت قرب منطقة مسجد القدم ، ففرضت الحصار على دمشق ، ولم يحاول الزحف عليها خشية وقوع المزيد من القتلى في صفوف المسلمين [3] .

استنجد حكام دمشق بمملكة بيت المقدس وطلبوا منها المساعدة في طرد نور الدين محمود عن دمشق مقابل بعض الأموال ، واستمرت المناوشات بين الطرفين إلى يوم 13صفر سنة 546هـ/1151 م ، وعندما سمع الملك نور الدين بمقدم قوات الفرنجة لنصرة حكام دمشق انسحب بقواته إلى داريا متجنبا الصدام معها ، وعندما وصلت هذه القوات خرج مجير الدين ابق ووزيره ابن الصوفي لاستقبالها ، وتوجهت هذه القوات بصحبة القوات الدمشقية إلى صرخد بعد اعلان واليها الأمير فارس الدولة سرخاك العصيان والتمرد ضد حكومة دمشق ، وفرضت عليها الحصار لكنها فشلت في دخولها فاضطرت إلى رفع الحصار المفروض عليها والرحيل عنها ، وفي أثناء ذلك طالب قادة القوات

---

[1] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ،ج8، ق1 ، ص210 ؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص138 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص ص191-192 .

[2] وقال نور الدين لحكام دمشق (لقد اتفقت معكم وحلفت لكم والان قد صح عندي انكم ظاهرتم الفرنج وما قصدي الا الجهاد فان اعطيتموني عساكركم لأجاهد في سبيل الله رجعت عنكم) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص138 .

[3] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1 ، ص210 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص191-192 .

الفرنجية حاكم دمشق مجير الدين ابق ووزيره ابن الصوفي بدفع الأموال المتفق على دفعها ان رحلوا قوات نور الدين محمود عن دمشق [1].

وعندما وصلت هذه الأنباء إلى نور الدين محمود عاد إلى دمشق واستعرض قواته في منطقة البقاع فنزل ارض كوكبا ، ورحل إلى جسر الخشب ومنها توجه إلى مسجد القدم واستمر معسكرا بقواته اياما قليلة لم يحدث خلالها أي قتال ، وفيها استمرت المراسلات بين نور الدين محمود ومجير الدين ابق بوساطة الفقيه الحنفي برهان الدين البلخي والأخوين نجم الدين أيوب واسد الدين شيركوه وتم عقد الصلح بينهما ، وبعد ذلك توجه نور الدين محمود إلى صرخد وطلب من حكام دمشق إرسال الأسلحة والمعدات الحربية اليه لتسليح فرقة من جيشه الذي توجه إلى مدينة صرخد التي فرض الحصار عليها وعندما فشل الملك العادل نور الدين محمود بالاستيلاء عليها رحل عنها عائدا إلى حلب ، وهكذا فشلت المحاولة الثانية لفتح دمشق والتي كان من عوامل فشلها مجيء قوات الفرنجة لنجدة حكام دمشق وخوف نور الدين محمود من وقوع المزيد من القتلى في صفوف المسلمين [2] .

رابعاً : موقف حكام دمشق من احداث البقاع وبانياس في سنة 546هـ/1151م

وبالرغم من الاعتداءات التي كانت قوات الفرنجة تشنها على دمشق والمناطق التابعة لها ، فان حكام دمشق اتخذوا موقفا خيانياً متخاذلا منها ، واعتبروا الفرنجة حلفاء أوفياء يفضلون التعاون معهم على التعاون مع نور

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص315-316 ؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص202 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، ص255 ؛ عاشور : الحركة الصليبية ،ج2، ص ص665-666 .

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص316؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص138؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص592-593 .

الدين محمود الذين ينظرون اليه على انه العدو اللدود الذي يحاول انتزاع دمشق منهم وكانوا يستعينون بالفرنجة عليه [1].

لما هجمت القوات الفرنجية على منطقة البقاع سنة 546هـ/1151 م ، واخذت بعض سكانها من النساء والأطفال آسرى واستولت على المواشي ، لم يقدم حكام دمشق أي مساعدة لأهل البقاع ، سوى المساعدة التي قدمها الأمير عطاء الحاجب عندما أرسل بعض القوات التي كانت تحت امرته ، فتمكنت من اللحاق بقوات الفرنجة واسترجعت ما آخذته من الأسرى والغنائم [2].

وفي السنة نفسها شن التركمان هجوما على مدينة بانياس فابادوا الحامية الفرنجية المرابطة بها ، فما كان من حكام دمشق الا ان بعثوا بعض قواتهم لملاحقة التركمان واسترجاع ما آخذوه من الفرنجة من الأموال والغنائم [3]،ان اختلاف موقف حكام دمشق من هجوم الفرنجة على بعلبك وهجوم التركمان على بانياس ، يدل دلالة واضحة على الموقف الخياني المتخاذل لهؤلاء الحكام ورغبتهم الواضحة في الحفاظ على علاقات التعاون والتحالف مع الفرنجة لعدم ثقتهم بالملك العادل نور الدين وخوفهم منه [4] .

خامساً : موقف حكام دمشق من سقوط عسقلان سنة 548هـ1153م :

تعد قضية عسقلان وحصار الفرنجة لها سنة 548هـ/1153م ، من القضايا المهمة التي كشفت بشكل جلي وواضح الموقف الخياني لحكام دمشق من قضايا العرب والمسلمين وجهادهم ضد الفرنجة ، ففي أثناء حصار عسقلان من قبل قوات مملكة بيت المقدس أرسل أهلها إلى الملك العادل نور الدين محمود يطلبون منه المساعدة ، وكان يرغب في ابداء المساعدة لهم وذلك لاعتقاده بحتمية مساعدة المسلمين ضد الكفار ولو كانوا مخالفين له في المعتقد

---

[1] بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص349 .

[2] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص211 .

[3] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص317؛ابو شامة:الروضتين ،ج1، ص209-210 .

[4] الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص593 .

والمذهب [1]، الا ان توسط دمشق بين حلب وعسقلان منعه مـــن تقـــديم هـــذه المساعدة [2] .

ولكي يتمكن نور الدين محمود من إيصال مساعدته إلى عســقلان فقــد طلب من مجير الدين ابق ان يشاركه في تقديم المساعدة لها وقد جمعا قواتهمـــا وتوجها إلى بانياس من اجل تخفيف الضغط عليها ، وما ان وصلت هذه القوات إلى منطقة الأعوج حتى وقع الخلف بين الجيشين الدمشقي والحلبـــي ، والـــذي على اثره رجع نور الدين محمود بقواته إلى حمص ومجير الدين ابق بقواته إلى دمشق[3] .

والمتتبع لسير الأحداث يلمس ان اختلاف الجيشين لم يكن وليد ساعته ، بل له جذور سابقة تمده باسباب بقائه ، وذلك لان العلاقة بين حلـــب ودمشـــق يسودها الشك والارتياب وبالتالي فان دمشق لا تثق بحلب وتنظر أليها على إنها الخطر الذي يهدد دمشق ، وترى في الفرنجة الصديق الوفي الذي يوفر لدمشق أسباب البقاء من خلال طلب مساعدة الفرنجة للوقوف بوجه خطر نـــور الـــدين محمود ، وهكذا قررت دمشق ان لا تضع يدها في يد حلب في أي مشروع مـــن المشاريع المهمة ، واذا ما وضعت يدها بيد حلب مضطرة او للمجاملة فسرعان ما تفتعل اسباب سحب يدها[4] .

وهذا ما فعله مجير الدين ابق وحاشيته لتشتيت قوة الجيشـــين الحلبـــي والدمشقي المتوجهين لنصرة عسقلان لان حدود نظر مجير ابق لاتعدو الفرنجة وكانت ثمرة الاختلاف بين الجيشين لصالح الفرنجة ، فقـــد ســـقطت عســـقلان بايديهم سنة 548هـ/1153 م ، وهي اخر مدينة ساحلية بقت بأيدي المسلمين

---

[1] ابن الاثير : الكامل ، ج9 ، ص392 .

[2] ابن لاثير : الباهر ، 106 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12،ص231 – 232.

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص321–322 ؛ سبط ابن الجوزي : مـــراة الزمـــان ، ج8، ق1 ، ص214–215 ؛ رنسيمان :الحروب الصليبية، ج2، ص548 .

[4] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص126 ؛ ابـــن قاضـــي شـــهبه : الكواكـــب الدريـــة ص137 ؛ كرد علي : خطط الشام ، ج2، ص22 .

لحين سقوطها والذي به صار الساحل الشامي كله من حدود انطاكية إلى العريش بمصر تحت سيطرة الفرنجة [1]

سادساً : وقوع دمشق تحت الحماية الفرنجية :

طمع الفرنجة في دمشق بعد استيلائهم على عسقلان فواصلوا اعمـــالهم العدوانية على دمشق والمناطق التابعة لها ، وقد مارسوا شتى أنواع التخريـــب فيها من قتل وسلب ونهب وسبى ، ونتيجة لهذه الأعمال العدوانية وقعت دمشق تحت الحماية الفرنجية والتي كان من مظاهرها فرض ضريبة عليها وقد دفعهـــا اهلها إلى جابي الضريبة الفرنجية [2] ، وعد أهل دمشق واعيانهـــا وعلمـــاء الدين فيها ان ارتماء حكام دمشق بهذا الشكل المهين في احضان الفرنجة خيانة عظمى للإسلام والمسلمين وعماله علنية للكفار الفرنجة [3].

وكان حاكم دمشق مجير الدين ابق من الحكام الخونة الذين تنكروا لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف وقيم العروبة الأصيلة ، وهو من الحكام الذين تحـــالفوا مع الكفار أعداء الإسلام المسلمين من اجل الحفاظ علـــى عروشـــهم الخاويـــة الهاوية والانتقام من خصومهم ومخالفيهم من ابناء جلدتهم وتحقيق المصـــالح الانيه على حساب المبادئ الدينية السامية والقيم الأخلاقية النبيلة ، وقد ابتليـــت هذه الآمة ذات التاريخ المشرق بهؤلاء الخونة الذين يمثلون ظاهرة شاذة مـــن

---

[1] ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ،ج2، ق2 ، ص261 ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص362 ح الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص637 .

[2] وقد وصف ابن الاثير هذا الوضع وصفا دقيقا 9فقال (فقوى الفرنج .. حتى طمعـــوا فـــي دمشق واستضعفوا مجير الدين ابق وتابعوا الغارة على اعماله واكثـــروا القتـــل والنهـــب والسبي وزاد الامر بالمسلمين بها إلى ان جعل الفرنج على أهل المدينة قطيعة كـــل ســـنة فكان رسولهم يجيء إلى دمشق ويجبيها من أهل البلد ثم اشتد البلاء على أهلها حتى ارسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم ممن اخذ من سائر بلاد النصرانية وخيروهم بين المقام عنـــد مواليهم او العودة إلى اوطانهم فمن احب المقام تركوه ومن احب وطنـــه ســـار اليـــه) : الباهر ، ص106 ؛ الكامل ، ج9، ص398 .

[3] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص238–289؛ الـــذهبي : دول الاســـلام ، ج2، ص47 ؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص202 .

ظواهر التاريخ الإسلامي المشرق ، ومما يثلج الصدور ان هذه الأمة التي تأبى الذل الهوان والضيم سرعان ما تتخلص من مثل هؤلاء الخونة ليصبحوا عبـرة لمن اعتبر من أمثالهم [1].

في ظل هذا الوضع المضطرب ثار اهل دمشق على مجير الـدين ابـق وحوصر مع وزيره مؤيـد الـدين ابـن الصـوفي فـي قلعـة دمشـق سـنة 548هـ/1153م ، وارسل المحاصرون لحاكم دمشق ووزيره إلى الملك العـادل يعرضون عليه تسليم المدينة ولكنه لم يستجب لهم خوفا من قدوم الفرنجة لنجدة مجير الدين ابق [2].

ان الموقف الذي اتخذه نور الدين محمود قد استمده من تراكم تجاربه مع دمشق وثبت لديه ان اخذه بالقوة سيؤدي إلى وقوع المزيد من الخسائر والقتلى دون نتيجة[3]،وهذا يتعارض مع حرصه على حقن دماء المسلمين [4] ، لما جبل عليه من التدين والرافه والإحسان إلى الناس [5] ، وتوقعه استعانة حكام دمشق بالفرنجة الذين سيأتون لنجدتهم نكاية بنور الدين محمود الذي أزعجهـم بأخـذ قلاعهم وانتزاع المدن الشامية من سيطرتهم واحتلالهم ، ولما سبق رفض نور الدين محمود طلب أهل دمشق [6].

وبدلا من اخذها بقوة السلاح ولرغبة نور الدين محمود فـي الاسـتيلاء عليها فرض عليها حظرا اقتصاديا سنة 548هـ/1153 م ، منع بموجبه وصول البضائع القادمة من شمال الشام إلى دمشق عن طريق حلب مما ادى إلى حدوث ازمة اقتصادية على أثرها ارتفعت الأسعار بشكل فاحش واختفت البضـائع مـن الأسواق ومات بسببها كثيرا من الناس وخاصة الفقراء ، وقد امر الملك العادل

---

[1] عاشور الحركة الصليبية ، ج2، ص621 .

[2] ابن الاثير : الباهر ، ص106-107 ؛ باركر : الحروب الصليبية ، ص202 .

[3] لبن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص126 .

[4] سبط ابن الجوزي :مراة الزمان ، ج1، ق1، ص210 .

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص326 .

[6] ابن الاثير : الباهر ، ص107 .

نور الدين محمود برفع هذا الحضر وسمح بدخول البضائع إلــى دمشــق بعــد احساسه بالاضرار التي لحقت بسكانها [1].

سابعاً : عوامل سقوط اتابكية دمشق

يعد سقوط اتابكية دمشق من الأحداث المهمة التي غيرت مجرى التاريخ في عصر الحروب الصليبية ومن اجل معرفة قيمة هذا الحدث لابد مــن معرفــة العوامل والأسباب التي أدت أليه ومنها .

1. **الضعف الذي اصاب الاتابكية بعد موت الأتابك طغتكين (ت522هـ/1128 م) ، ورغم ان الأميرين تاج الملوك بوري بن طغتكين (ت526هـ/1132 م) [2] ، وشمس الملوك إسماعيل بن بوري (ت529 هـ/1135م) [3] ، كانا مــن الحكام الأقوياء ولكن تعرض دمشق في عهديهما إلى اضــطرابات داخليــة خطيــرة ومجــيء اتابكــة ضــعاف كــالأمير شــهاب الــدين محمــود (ت533هـ/1139م) [4] ، والأمير جمال الدين محمد (534هـ/1140م) [5] ، والأمير مجير الدين ابق (564هـ/1169م) [6] ولم يكن هؤلاء الأمراء بمستوى الذين سبقوهم ، مما أوقعهم تحت وصــاية الأميرة صفوة الملك زمرد خاتون (ت557هـ/1162م) ، والامير معين الدين انر (ت544هـ/1149م) فافقد اسره طغتكين حكمها الحقيقي لدمشق وتحول إلى حكم صوري قد ساهم في اضعاف الأتابكية [7].**

---

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص325-326؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص597 .

[2] بدرا ن : تهذيب تاريخ دمشق ، ج2، ص299 .

[3] الذهبي : العبر : سير اعلام النبلاء ، ج14، ص465 .

[4] ابن العديم : زبدة الحلب ،ج2، ص257 ؛ القرماني : اخبار الدول ، ص381 .

[5] ابن الاثير : الباهر ، ص58؛ ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص85 .

[6] ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج2، ص265 .

[7] الذهبي : العبر ، ج4،ص92؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج9، ص99.

2.وفاة الامير معين الدين انر سنة 544هـ/1149 م، الذي استطاع ان يحكم دمشق نيابة عن اسرة طغتكين وان يمد في عمر حكم هذه الاسرة لها وبموته خسرت دمشق تلك الشخصية الفذة ، التي استطاعت الحفاظ على استقلالها [1] ولم يكن مجير الدين ابق ذلك السياسي البارع الذي يمتلك الخبرة والحنكة السياسية ، بل كانت ضعيف الشخصية متهورا واقعا تحت تأثير وزيره ابن الصوفي الذي كان من الشخصيات الانتهازية التي لاتهمها الا مصالحها الخاصة [2] ، ولم يكن له من الحرص على مصالح دمشق وامنها ، كما كان للامير معين الدين انر [3] ، وهكذا فقد البيت الطغتكيني الاحترام الذي كان يتمتع به من قبل اهل دمشق بسبب ظلم مجير الدين ابق وتعسفه المفرط بحق اهل دمشق [4] ، وتحالفه المهين مع الفرنجة [5] .

3. تعرض دمشق إلى ضغط الفرنجة من الجنوب [6]وضغط الامير عماد الدين زنكي [7] ، وولده نور الدين محمود من الشمال [8] ادى إلى استنزاف قوتها البشرية والاقتصادية مما سبب أضعافها فلجأت إلى سياسة التحالفات المتوازنة من اجل الحفاظ على استقلالها [9].

---

[1] ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12 ، ص430 ؛ باركر : الحروب الصليبية ، ص61 .

[2] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص203 .

[3] الذهبي : العبر ، ج4، ص138 .

[4] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص231 ح ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ج5، ص318 .

[5] ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص137؛ باركر : الحروب الصليبية ، ص203 .

[6] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص126 .

[7] ابو الفداء : المختصر ، ج3،ص 15 ا.

[8] الذهبي : العبر ، ج4، ص123 .

[9] الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص539 .

4. تعرض دمشق إلى الاضطرابات الداخلية التي كان لها الدور في زعزعة الاستقرار الداخلي مما اضعف الجبهة الداخلية[1].

5.التدهور الاقتصادي فقد ساهمت الظروف الطبيعية كالجفاف والبرد في تدمير الزراعة التي تعد العمود الفقري للاقتصاد الدمشقي[2] والظروف السياسية كالأزمات السياسية والحروب في حدوث بعض الأزمات الاقتصادية مما أدى إلى أضعاف الاتابكية وجعلها عرضة للسقوط[3].

6.الموقف الخياني المتخاذل لحكام دمشق من العدوان الفرنجي على بلاد الشام وخاصة الموقف الذي وقفوه من قضية عسقلان سنة 548هـ /1153م ، والتي كان الملك نور الدين يرغب في تقديم المساعدة لها ولكن توسط دمشق بين حلب وعسقلان منع من تقديم المساعدة لها كان من العوامل التي شجعت نور الدين محمود على فتح دمشق وضمها إلى الجبهة الإسلامية المتحدة [4].

7. طمع الفرنجة بدمشق واستهانتهم بحكامها وفرض الضريبة عليها ووضعها تحت الحماية الفرنجية من قبل مجير الدين ابق ، ادى إلى خوف نور الدين محمود من سقوطها بيد الفرنجة مما يؤدي إلى نتائج وخيمة على حركة الجهاد الإسلامي وكان كل من نور الدين محمود والفرنجة يتسابقون إلى الفوز للحصول عليها [5] .

---

[1] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12،ص226 ؛ بدران : تهذيب تاريخ دمشق ،ج2، ص320

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص308 –309 ؛ ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ، ص135 .

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص318 ؛ الريحاوي : مدينة دمشق ، ص19 .

[4] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص303 –304 .

[5] ابو الفداء : المختصر ، ج3، ص39 ؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص48 .

ثامناً : فتح دمشق سنة 549هـ/1154م :

لم يتخذ الملك نور الدين محمود بعد مراسلة اهل دمشق اليه أي جــراء عسكري ، لكنه وجد ان افضل وسيلة لأخذها هو استعمال الحيلة فقــد تظــاهر بالحرص على كسب ود الأمير مجير الدين ابق والحرص على صــداقته فكــان يواصله بالهدايا حتى توثقت العلاقات بينهما ، واستغل هذه العلاقة وسيلة لاثارة الخلاف والشقاق بين الأمير مجير الدين ابق ورجال دولته فقد نجح فــي ذلــك وكان يؤكد له بان رجاله يتآمرون معه عليه ويعدونه بتسليم دمشق اليه خــلال الرسائل التي يرسلها اليه [1] .

وقد انطلقت الحيلة على مجير الدين ابق فتخلص من رجاله واحــداً بعــد الآخر فكان مصيرهم القتل والسجن ومصادرة الأموال والأمــلاك [2] ، فتخلــى أعيان دمشق عن نصرته ولم يبق معه سوى الأمير عطاء بن حفــاظ الســلمي الذي جاء به من بعلبك وفوض اليه شؤون الحكم وكان نور الدين محمود يــرى في عطاء العقبة الوحيدة التي تقف بوجهه في اخذ دمشق وان افضــل وســيلة لأخذها هو التخلص منه [3].

فكتب نور الدين محمود إلى مجير الدين ابق بان عطاء يتآمر معه ضــده فقبض عليه وامر بقتله ففطن عطاء إلى الحيلة وطلب إبقاءه حتى يتــيقن مــن صدقة[4] ، ولكنه لم يصغ اليه فقتله وهكذا تخلص الأمير مجير الدين ابق مــن

---

[1] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص304 ؛ القرماني : اخبار الدول ، ص280 .

[2] ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج12، ص478 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج5، 161 .

[3] سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ، ج8، ق1، ص221 ؛ ابن قاضــي شــهبه : الكواكــب الدرية ، ص145.

[4] وقال مجير الدين ابق (ان الحيلة قد تمت عليك فلا تقتلني واستبقني فانه سيظهر لــك مــا اقول) . أبن لأثير : الباهر ، ص107 .

جميع أمراءه ورجال دولته وعندئذ ارسل نور الدين محمود إلى أهـــل دمشـــق وطلب منهم تسليم المدينة فأجابوه [1] .

فدخل نور الدين محمود دمشق وحاصر القلعة التي اعتصم بهـــا مجيـــر الدين ابق وطلب منه الاستسلام ، فارسل إلى حلفاءه الفرنجة يعـــرض علـــيهم إعطائهم مبلغا من المال والتنازل عن قلعة بعلبك مقابل مساعدته في ترحيل نور الدين محمود عن دمشق ، وعد اهل دمشق الذين انتخوا لإسلامهم وعـــروبتهم استعانة حاكم دمشق بالفرنجة خيانة عظمى للقضية الإسلامية وعمالـــه علنيـــة للفرنجة ، وهاج اهل دمشق واعتبروا هذا العمل الخياني وصمة عار في جبـــين البيت الطغتكيني الحاكم في دمشق وهكذا تخلى أهلها عن نصرة هذا البيت [2] .

اشترك اهل دمشق مع قوات نور الدين محمود في حصار القلعة واضطر مجير الدين ابق إلى الاستسلام نتيجة طول الحصار فـــدخلها فـــي صـــفر ســـنة 549هـــ/ نيسان سنة 1154م ، وقد وصلت قوات مملكة بيتذ المقـــدس لنصـــر حاكم دمشق بعد فوات الأوان ، فقد سبقها نور الدين محمود في دخول دمشق ، فرجعت إلى فلسطين خائبة تجر اذيال الخيبة والخسران ، ورفـــع نـــور الـــدين محمود المظالم التي حدثت في دمشق في عهد مجير الدين ابق واشاع العدل بين الناس واحسن اهل دمشق بالفرق بينه وبين مجير الدين ابق [3] .

---

[1] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص238–239 ؛ ابـــن كثيـــر : البدايـــة والنهايـــة ، ج12 ص223 .

[2] ابمن الاثير : الباهر ، ص107 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج1، ص127 ؛ حبشـــي : نور الدين والصليبيون ، ص70 –71 .

[3] ابن العديم : زبدة الحلب ،ج2، ص305؛ القرماني : اخبار الدول ، ص280 ؛ عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج1، ص369 .

تاسعاً : نتائج فتح دمشق :

1. **نهاية حكم اسرة طغتكين في دمشق بعد حكم دام حوالي نصف قــرن (497-549هــ/1104-1154 م) وحل محلها حكم اسرة عماد الدين زنكي فد خلت دمشق مرحلة جديدة من تاريخها [1].**
2. **خسران الفرنجة الحليف المسلم الذي يقف معهم ضد المســلمين والمجــال الحيوي الذي يتوسعون على حسابه فياخذون المدن والقلاع والاموال منــه مقابل حمايته من خصومه المسلمين [2] .**
3. **ازالة الحاجز الذي كان يقي مملكة بيت المقدس من ضربات عماد الدين زنكي وولده نور الدين محمود لتوسط دمشق بين حلب وبيت المقدس وبازالة هذا الحاجز أصبحت مملكة بيت المقدس تحت رحمه نور الدين [3] ، فقد كان فتح دمشق بيد نور الدين محمود من حيث الأهمية يفوق فــتح عســقلان ســنة 548هــ/1153م بيد الفرنجة ، فان فتح عسقلان لم يؤثر علــى المســلمين لأنها كانت اخر مدينة على الساحل الشامي بقيت بيد المسلمين وكانت محاطة بعدد من المدن الشامية الواقعة تحت نفوذ الفرنجة بينما فــتح دمشــق قــد عرض جميع الامارات الفرنجية إلى ضربات نور الدين محمود واوقعها تحت رحمته [4] .**
4. **العمل على ضم ما تبقى من المدن والامارات الاسلامية في بلاد الشام التــي بقيت خارج نفوذ نور الدين محمود ومنها مدينة بعلبك التــي اعتصــم بهــا اميرها الضحاك بن خليد السلمي الذي اعلن العصيان ضد نور الدين محمود بعد فتح دمشق وظل يقاوم إلى ان تمكن نور الدين من فــتح قلعتهــا ســنة**

---

[1] البنداري : دولة ال سلجوق ، ص225؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص362 .

[2] ابن خلدون : العبر ج5، ص241 ؛ المعاضيدي : الحياة السياسية من بلاد الشام ، ص192 ؛ الباز العريني : الشرق الاوسط ، ج1، ص 597 .

[3] البنداري : سنا البرق الشامي ،ج1، ص19 ؛ حتي : تاريخ العرب ، ص 763 .

[4] الذهبي:العبر ،ج4، ص166-167 ؛ الباز العريني :الشرق الاوسط ، ج1،ص600 .

551هـ/1156م[1] ، وامارة شيزر التي كان بنو منقذ يحكمونها وكان لـدى نور الدين الرغبة في الاستيلاء عليها ، ولكنه كان يخشى استعانة حكامهـا بالفرنجة ، غير ان الزلزال الذي اصاب مدينة شيزر سنة 552 هـ/1158م ، وقتل الكثير من سكانها مكن نور الدين محمود من الاستيلاء عليهـا [2] ، وهكذا أصبحت بلاد الشام دولة واحدة تحت حكم سلطة مركزية واحـدة [3] ،عاصمتها دمشق بعد انتقال الملك العادل نور الدين محمود اليها لاول مـرة منذ سقوط مملكة تتش سنة 488هـ/1095م [4].

5. **تغيير موازين القوى لصالح المسلمين ، لقد اوقع فتح دمشق بيد نور الـدين محمود الخوف والهلع في صفوف الفرنجة في قلعة باشر التي اضطرت إلى الاستسلام لنور الدين محمود سنة 551هـ/1157م [5]، وحصن حارم الذي راسل قادته الملك نور الديـن محمود سنة 552 هـ/1158 م ، وصـالحوه على نصف خراج الحصن [6].**
6. **تحالف الفرنجة مع البيزنطيين وكان مـن مظـاهر هـذا التحـالف هجـوم البيزنطيين والفرنجة على حلب سنة 554 هـ/1159م ، ولكن نـور الـدين محمود تمكن من تفكيك هذا التحالف فتخلى البيزنطيون عن الفرنجة وعادوا إلى بلادهم [7]**

---

[1] ابن الاثير : الكامل ، ج9، ص415 .

[2] ابن الاثير : الباهر / ص145 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5، ص325 .

[3] قد اشار إلى ذلك ابن الاثير فقال(والقى الاسلام بدمشق جراته وثبت اوتاده وايقن الكفـار بالبوار فصار جميع من بالشام من البلاد الاسلامية بيد نور الـدين) . البـاهر، ص107-108.

[4] ابن العديم: زبدة الحلب،ج2،ص307؛ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ ،ج12، ص297 .

[5] ابو شامة : الروضتين ، ج1، ص242 .

[6] ابن الاثير : الكامل ، ج9 ، ص409 ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص305-306 .

[7] بن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص357-358 ؛ حبشي : نور الدين والصليبيون ، ص 70؛ بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص350 .

7. **ان فتح دمشق ساعد الملك نور الدين محمود على تطبيق مشروعه الـديني الذي سعى من خلاله إلى توحيد المسلمين عقائديا في بلاد الشـام ، وكـان المشروع يدعو إلى احلال المذهب السني محل المذهب الشيعي [1] ، وتمثلت مظاهر هذا المشروع بالقضاء على اثار التشيع الفاطمي المتمثلة بالآذان بحي على خير العمل وسب الصحابة وامر نور الدين محمود بقتل من يعود إلـى احياء هذه الاثار [2] .**

ومن مظاهرة الأخرى بناء المدارس للمذاهب السنية الفقهية كالمذهبين الحنفي والشافعي والخانقات (التكايا) للصـوفية [3] ، وكـان مـن فقـرات مشروعه الديني حشد المسلمين لتحرير بيت المقدس اولى القبلتين وثـاني المسجدين وثالث الحرمين من رجس الفرنجة المغتصبين[4] كمـا اسـتهدف المشروع القضاء على الفرق الباطنية كالإسماعيلية [5] وغيرها باعتبارها من من الفرق المارقة التي تعمل على نشر الأفكار المنحرفة الغالية فـي وسـط المسلمين وتسعى إلى تمزيق وحدتهم[6]وتوالي الكفار وتتحالف معهم للكيـد للإسلام والمسلمين[7].

8. **تسابق كل من نور الدين والفرنجة للسيطرة على مصر فقد كانـت الدولـة الفاطمية تعاني من الضعف وتلفظ انفاسها الأخيرة والخليفة العوبة بيد الوزير**

---

(1) ابن الاثير:الباهر ، ص171 –172 ؛الباز العريني:الشرق الاوسط ، ج1، ص601 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج2، ص294–294 ؛ ابن تغري بردي : النجـوم الزاهـرة ، ج5، ص282 ؛ بدران : منادمة الاطلال ، ص 217 .

(3) البنداري : سنا البرق الشامي ، ج1 ، ص16 ؛ ابن الاثير : الباهر ، ص174 .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ، ج10، ص249 .

(5) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص301 ؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج5،ص282

(6) ابو الفرج ابن الجوزي : (ت597هـ/1200) : تبليس ابليس ، بغداد ، منشـورات مكتبـة التحرير ، 1988 ، ص103–112 ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص 275–280 .

(7) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج2، ص49 .

الذي كانت بيده السلطة الحقيقية[1] ، والصراع بين الرجال الدولة على اشده من اجل الاستئثار بمنصب الوزارة [2] ، لقد استثمر الخليفة العباسي المقتفي بامر الله (ت555هـ/1160م) انتصار نور الدين في فتحه دمشق للاستفادة منه في إنهاء الدولة الفاطمية في مصر كما فعل في دمشق فا صدر له مرسوما اسند بموجبه ولاية الشام ومصر للملك العادل نور محمود ، وبهذا المرسوم قد استمد الملك نور الدين محمود شرعيته في حكم الشام ومصر من الخليفة العباسي[3] ، اما دور الدولة الفاطمية فان الفرنجة وجدوا فيها ضالتهم ، كونها ذات توجه طائفي سعى إلى إثارة الانقسام في صفوف المسلمين وذات توجه اقليمي انعزالي سعى للحفاظ على استقلال الاقليم المصري ، الحليف الذي يقف معهم ضد نور الدين محمود ، كما وجدوا في الإقليم المصري المجال الحيوي الذي يتوسعون على حسابه مستغلين حاله الصراع الداخلي فيه [4] .

وكان نور الدين يرى في بقاء مصر خارج الجبهة الإسلامية المتحدة يعيق حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنجة ولهذا فقد حرص على ضمها لتحقيق هدفين اولهما القضاء على الخلافة الفاطمية باعتبارها ظاهرة انقسامية ذات توجه طائفي [5] ، وثانيهما استخدام مصر كؤسيلة للضغط على مملكة بيت المقدس في

---

[1] ابن ميسر : تاريخ اخبار مصر ، ج2، ص42؛ ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ج5، ص222 .

[2] ابو شامة : الروضتين ،ج1، ص244؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص288 ؛ ابن اياس الحنفي : بدائع الزهور ، ج1، ص68 .

[3] ابن الجوزي : المنتظم ، ج10 ، ص405-406 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12، ص 231 ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 440 .

[4] ابن الراهب : التاريخ ، ص75؛ كيلاني : الحروب الصليبية ، ص21 .

[5] ابن الاثير : الباهر ، ص157؛ المقريزي ، السلوك ، ج1، ق1، ص21 .

في الجنوب لتكون بين فكي كماشه والاستفادة من ثروتها البشرية والاقتصـــادية في خدمة حركة الجهاد[1].

فان هذه الفرصة لم تحقق لنور الدين إلى بعد استعانة شـــاور بـــه ضـــد منافسه الوزير ضرغام الذي استنجد بالفرنجة سنة 559هـ/1164م ، فارســـل الملك العادل نور الدين محمود إلى مصر ثلاث حملات بقيادة اسد الدين شـــركوه الاول سنة 559هـ/1164م والثانية ســـنة 562هـــ/1168م والثالثـــة ســـنة 564هـ/1169م[2] ، وفي هذه الحملة الاخيرة نجح اسد الدين شـــيركوه فـــي السيطرة على مصر فولاه الخليفة الفاطمي العاضد بالله الوزارة ، وقد توفى بعد شهرين من توليه الوزارة فخلفه فيها ابن اخيه صلاح الدين يوسف بـــن ايـــوب [3]، الذي استمر بها ثلاث سنوات يعمل من خلالها القضاء على الخلافة الفاطمية التي تمكن من الغائها سنة 567 هـ/1171م واحل الخطبة للخلافـــة العباســـية محلها[4] ، وقد تحقق الحلم الذي كان يسعى السلاجقة إلى تحقيقه [5].

فقد حكم صلاح الدين مصر نيابة عن نور الدين فكون نواة الدولة الايوبية التي حكمة مصر بعد وفاة نور الدين سنة 569هـ/1174م والتي استمرت بقيادة عملية الجهاد ضد الفرنجة على مدى ثمانية عقـــود (569- 648هـــ/1174-

---

(1) الذهبي : العبر ، ج4، ص185 ؛ ابن قاضي شهبه : الكواكـــب الدريـــة ، ص ص212-213؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص206 .

(2) ابن الاثير : الباهر ، ص120 ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص288 ؛ بـــدران : منادمـــة الاطلال ، ص217 .

(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهـــرة ، ص378-388 ؛ الســـيوطي : تـــاريخ الخلفـــاء ، ص444 .

(4) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج2، ص174؛ شلبي : موسوعة التاريخ الاســـلامي ، ج5، ص746-747 .

(5) ابن دحية : النبراس ص160 ؛ ابن الراهب : التـــاريخ، ص90 ؛ عاشـــور : اضـــواء ، ص30 .

1250م) [1]، لتحـــل محلهـــا دولـــة اخـــرى هـــي دولـــة المماليـــك (648-922هـــ/1250-1517م) في حكم مصر والشام والتـــي اســـتطاعت تحريـــر الساحل الشامي باكمله من سيطرة الفرنجة وتصفية وجودهم بشكل نهائي علـــى الأرض العربية الإسلامية سنة 690هـــ/1291 [2].

[1] ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج4، ص233-236 ؛ القرماني : اخبار الدول ، ص194-197 ؛ قساطلي : الروضة الغناء ، ص49.

[2] الذهبي : العبر ، ج4، ص364-365 ؛ ابن كثير : البدايـــة والنهايـــة ، ج13، ص321 ؛ كيلاني : الحروب الصليبية ، ص32 .

الخاتمة :

شهد القرن الهجري وهو يودع بقيته والقرن الثاني عشر الميلادي في مطلع فجـــرة ظهور نظام الاتابكية في دمشق الذي سطح نجمة عام (497هـ/1104م) في اشـــد اوقـــات العرب والمسلمين حراجة حيث تؤكد الدوال الحياتية ترهل الخلافة العباسية التـــي اغنـــتهم اعدائها الفرصة السانحة لعقر كعبها بغية اسقاطها وصولا إلى أهدافهم المرسومة ، فما كان من دمشق بنظامها الجديد الا ان تجرد عن ساعدها حاملة سلاحها لمشاركة اخواتهـــا فـــي التصدي لاطماع اعداء الإسلام والمسلمين من الفرنجة الغازين واتيح لدمشق ان تكون راس الحربة وحد السنان القاطع في حركة الجهاد الإسلامي لردع الفرنجة المعتدين ومنعهم ســـلب بقية بلاد الشام من ايدي المسلمين .

ولم تنس دمشق وهي في حومة الوغى بقيادة اتابكتها ان تعمل من اجل قوام الحياة من زراعة صناعة وتجارة وعلم وتعليم وتوثيق علاقاتها بالملك الاسلامية المجاورة ، ومـــع قيام الاتابكية في دمشق فقد كان ولائهم المباشر للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وكاد نظامهم الدستوري ان يشبه انظمة الحكم الذاتي في بعض الدول ومنها العراق .

وكان وازع التوسع على حساب الاخر يراود جيران الاتابكية الامر الـــذي يزعجهـــا فيعكر صفو علاقتها بجيرانها من المسلمين او الفرنجة فتطلب مساعدة مـــن يقـــف بوجـــه مصدر التهديد ، حتى لو كان عونها من الفرنجة يأتيها وتعاقب على حكم دمشق عدة اتابكة فيهم من رفع شانها كالأتابك طغتكين وولده تاج الملوك بوري من بعده ، وفيهم من ارداهـــا إلى الهاوية غير ميال بما تصير اليه الحال ، كما فعل اخر اتابكتها الظلوم الغشـــوم مجيـــر الدين ابق عندما وضع دمشق تحت الحماية الفرنجية ، وبهذا التصـــرف الخيـــاني المشـــين انتهى عمر الاتابكية في دمشق عام 549هـ/1154 م .

انتهى عهد الاتابكية ولسان حاله يردد نصيحة ، كان احوج من غيره اليها في عقـــل اللبيب مكان ، ان الظلم ظلمات وعواقبه وخيمة ، ولا تجعل تدبير الملك إلى النساء حتى لـــو كن لك امهات ، واحذر عاقبة الخيانة فأنها تؤدي إلى اســـوا ممـــات ، ســـائلين الله تعـــالى للمسلمين العافية من سوء الخاتمات .

المصادر

- ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630 هـ/1232 م)

الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت ،دار الكتب العلمية 1405هـ-1985م.

الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل ،تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ،دار الكتب العلمية الحديثة 1383هـ-1963م.

-ابن اياس الحنفي : محمد (ت930هـ/1524هـ)

بدائع الزهور في وقائع الدهور، مصر، مطبعة بولاق 13114هـ .

-ابن البطريق : سعيد (ت485هـ/1066م)

التاريخ المجموع على التحقيق ،بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين 1909.

- ابن بطوطة : ابوعبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي(ت779هـ/1379م)

تحفة النضار في عجائب الامصار المسماة رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر 1384هـ- 1964م.

- ابن تغري بردي : ابو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)

النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ،القاهرة ،المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة والنشر 1942.

- ابن تيمية : احمد بن عبد السلام (ت728هـ/1328م)

الوصية الكبرى ، تحقيق اياد عبد اللطيف ابراهيم ،بغداد ،مطبعة الزمان 1409-1990م.

- ابن جبير : محمد بن احمد الكتاني (ت578هـ /1179م)

تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروفة برحلة ابن جبير ،بيروت ،دار التراث 1388-1968م.

- ابن الجوزي : ابوالفرج عبدا الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ/1200م) تلبيس ابليس ، بغداد، منشورات مكتبة التحرير 1988م.
المنتظم في اخبار الملوك والامم ،تحقيق الدكتور سهيل زكار ،بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ - 1995م.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/ 1405م)
العبرو ديوان المبتدا والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات 1391هـ-1971م
المقدمة ،تحقيق الدكتور علي وافي ،القاهرة، دار الشعب د.ت.
-ابن خلكان : ابو العباس احمد بن ابي بكر(ت681هـ/1282م)
وفيات الاعيان في اخبار الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية 1984م.
-ابن دحية : عمر بن علي بن الحسن الكلبي (633هـ/1235م)
النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، بغداد، مطبعة المارف 1365ه-1946.
-ابن الراهب : ابوشاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذب (ت681هـ/1282م)
تاريخ ابن الراهب ، نشر الاب لويس شيخو اليسوعي ،بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين 1903.

-ابن شاكر الكتبي : محمد (ت764هـ/1364م)

عيون التواريخ ،تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ،بغداد ،وزارة الاعلام سلسلة كتب التراث 1397هـ-1977م.

-ابن شداد :عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم (ت648هـ/1248م)

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تاريخ دمشق) ، تحقيق سامي الدهان، دمشق 1382هـ-1962م.

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين) ، تحقيق سامي الدهان، بيروت ،المطبعة الكاثوليكية 1961م.

-ابن الصير : في علي بن انجب (ت542هـ/1147م)

الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص ،القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي 19230.

-ابن طولون : شمس الدين محمد (ت953هـ/1549م)

الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ،تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي 1956م .

-ابن عباد : الصاحب (ت385هـ/995م)

المحيط في اللغة تحقيق محمد حسن ال ياسين ،بيروت عالم الكتب 1414هـ-1994م.

-ابن عبد الحكم :عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/871م)

فتوح مصر واخبارها ، ليدن مطبعة بريل 1920م .

فتوح افريقيا والاندلس ، بيروت دار الكتاب اللبناني 1970م.

-ابن العبري : غريغوس بن هارون الملطي (ت685هـ/1286م)

تاريخ مختصر الدول طبع الاب انطوان الصالحاني ،بيروت المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين 1890م.

-ابن العديم : ابو القاسم عمر بن هبة الله (ت660هـ/1261م)

زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق الـدكتور سـامي الـدهان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية 1383هـ-1964م.

ابن العماد الحنبلي :عبد الحي (ت1089هـ/1679م)

شذرات الذهب في اخبـار مـن ذهـب، بيـروت، دار المسـرة 1399هـ/1979م.

ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت 580هـ/1183م)

الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق ودراسة قاسـم السـامرائي، ليدن مطبعة بريل 1973م .

- ابن فارس : ابوالحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م)

معجم مقايس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هـارون ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1979 م.

- ابن قاضي شهبه : تقي الدين (ت851هـ/1147م)

طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق الدكتور محسن فياض ، النجف ، مطبعة النعمان ، 1393هـ1973 م .

- ابن قاضي شهبه :ابو الفضل بدر الدين محمد بن ابي بكـر بـن احمـد الاسدي (ت874هـ/1471م)

الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق الدكتور محمد زايد ، بيروت ،دار الكتاب الجديد ، 1971 م .

- ابن قطلوبغا : ابو العدل زين الدين قاسم (ت879هـ/1478م)

تاج التراجم في طبقات الحنفية ، بغداد ، مكتبة المثنى، 1962 .

- ابن القلانسي :حمزة بن اسد (ت555هـ/1160 م)

ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين ،1908م.

-ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1311هـ)

لسان العرب ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، د.ت .

-ابن ميسر : محمد بن يوسف بن جلب (ت677هـ/1278م)

تاريخ اخبار مصر ، اعتناء وتصحيح هنري ماسية ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، 1919 .

-ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1299م)

مفرج الكروب في مناقب بني ايوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، 1953 .

-ابن الوردي : زين الدين عمر (ت768هـ/1368م)

تتمة المختصر في اخبار البشر ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1389هـ/1969م .

خريدة العجائب وجريد الغرائب ، القاهرة ، المطبعة الشرقية ، 1314هـ.

- ابو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن سماعيل المقدسي (ت665هـ/1267م)

الروضتين في اخبار الدولتين والنورية الصلاحية ، تحقيق محمد حلمي محمد احمد ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1956م .

-ابو الفداء : اسماعيل بن عمر (ت732هـ/1232م)

تقويم البلدان ، تصحيح البارون ماك كوكين ديسلان ، باريس ،دار الطباعة السلطانية ، 1840م .

المختصر في اخبار البشر ، مصر ، المطبعة الحسينية ، 1325هـ.

- اسامة ابن منقذ : ابو المظفر مؤيد الدين من مرشد بن علي بن منقذ (ت584هـ/1187م)

الاعتبار ، تحرير فيلب حتي ، مطبعة جامعة برستون ، 1930م .

- البدري : ابو البقاء عبد الله بن محمد المصري (ت847هـ/1442 م)
نزهة الانام في محاسن الشام ، القـاهرة ، المطبعـة السـلفية ، 1341هـ.

-البغدادي : عبد القادر بن طاهر (ت429هـ/1037م)
الفرق بين الفرق ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، بيروت ،دار الافاق الجديدة ودار الجيل ، 1408هـ- 1987م .

-البلاذري : احمد بن يحيى (ت279هـ/892 م)
فتوح البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1866 .

البنداري : الفتح بن علي (ت583هـ/1185م)
سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، القـاهرة ، مكتبـة الخانجي ، 1979 م .
مختصر دولة ال سلجوق ، بيروت ، دار الافاق الجديـدة الطبعـة الثانية ، 1978م .

- بنيامين بن بونة التطيلي (ت569هـ/1174م)
الرحلة ، ترجمة عزرا حداد ، بغداد ، 1364 هـ - 1965م .

-الحميدي : ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بـن عبـد الله الاسـدي (ت488هـ/1095م)
جدوة المقتبس في اخبار المغرب والانـدلس ، القـاهرة ، الـدار الوطنية والتاليف والترجمة والنشر ، 1966م .

-خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/864م)
تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق اكرم العمري ، النجف ،مطبعة الاداب ،1386 هـ- 1967م .

-الدمشقي : ابو الفضل جعفر بن علي (ت ق6هـ/12م)

الاشارة الى محاسن التجارة ، تحقيق البشري ، الشوربجي ، الاسكندرية ، مطبعة اجمد ، 1397هـ- 1977 .

-الداواداري : ابو بكر بن ايبك (ت764هـ/1364م)

الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1380 -1961 .

-الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز (ت748هـ/1348م)

دول الاسلام في التاريخ ، الهند ، حيدر اباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الثانية ، 1370هـ-1951 م .

سير اعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة الغمروي ، بيروت ، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع ، 1417هـ-1997 م .

العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ،وزارة الارشاد والانباء ، 1963 .

-سبط ابن الجوزي : ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/1254م)

مراة الزمان في تاريخ الاعيان ، الهند ، حيدر اباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1373هـ-1954م .

-السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (902هـ/1496م)

الاعلان بالتوبيخ بمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنثال ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1382هـ-1963م .

-سنيط بن قتيبو الاربلي : عبد الرحمن (ت717هـ/1318م)

خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك ، طبع وتصحيح السيد مكي السيد جاسم ، بغداد ، د. ت .

-السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ/1505م)

تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بغداد ، مطابع منيـــر ، الطبعة الثالثة ، 1407هــ- 1987 م .

-شيخ الربوة : شمس الدين ابي عبد الله بن ابي طالب الدمشقي (ت720هــ/1320م)

نخبة الدهر في عجائب البـــر والبحـــر ، بطرســبورغ ، مطبعـــة الاكادميـــة الامبراطورية ،1281هــ- 1865م .

-الشارتري : فوشيه دي شارتر (ت522هــ/1128م)

تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة الدكتور زياد العسلي ، عمان ،دار الشروق الجنشر والتوزيع ، 1990 م .

-الصفدي : صلاح الدين بن ايبك (ت764هــ/1363م)

امراء دمشق في الاسلام ،تحقيق الدكتور صلاح الـــدين المنجـــد ، دمشـــق ، مطبعة الترقي ، 1955 .

الوافي بالوفيات ، اعتناء يوسف فان ، بيروت ، مطابع دار صادر 1393ه-1973م

- الطبري محمد بن جرير(ت310ه\930م)

تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد ابو الفضـــل ابـــراهيم ،القـــاهرة، دار المعارف 1987م .

- العدوي : محمود بن احمد (ت1032هــ/1623م)

الزيارات ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، 1956م .

- العمري : ابن فضل الله (ت749هــ/1349م)

مسالك الابصار في مملك الامصار ، تحقيق الاســـتاذ احمـــد زكـــي باشـــا ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1342هــ-1924 م .

-الفارقي : احمد بن يوسف بن الازرق (ت590هــ/1193م)

تاريخ ميافرقين المسمى بتاريخ الفارقي ،تحقيق عبـــد اللطيـــف عـــوض ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1974 م.

-القرماني : احمد بن يوسف (1019هــ/1610م)

اخبار الدول واثار الاول ، بغداد ، 1282هـ-1865م .

-القلقشندي : احمد بن علي (ت821هـ/1418م)

صبح الاعشى في صناعة الانشى ، القاهرة ، مطابع كوستا تسوماس ، 1388هـ-1920 م .

-الكارزوني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت697هـ/1299م)

مختصر التواريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد، 1390هـ- 1971 م .

-المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت854هـ/1343م)

اتعاتظ الحنفا باخبار الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1367هـ-1948 م .

السلوك في معرفة دول الملوك تصحيح الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1934م .

مؤلف مجهول :(ت ق 6هـ/12م)

اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1958 م.

-النعيمي : عبد القادر بن محمد (ت927هـ/1523م)

الدارس في اخبار المدارس ، نشر وتحقيق جعفر الحسني ، دمشق مطبعة الترقي ، 1367 هـ- 1948 م .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت722هـ/1131م)

نهاية الارب في فنون الادب ، القاهرة ، مطابع كوستا تسوماس ، 1935م .

الهمداني : محمد بن عبد الملك (ت5221هـ/1127م)

تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرت يوسف فان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1961 م.

-اليافعي : عبد الله بن اسعد (767هـ/1367م)

مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،بيروت ، مؤسسة الاعلامــي للمطبوعــات ، الطبعــة الثانيــة ، 1390هـ- 1970 م.

ياقوت : شهاب الدين ابــي عبــد الله يــاقوت بــن عبــد الله الحمــوي (ت626هـ/1228م)

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، 1376هـ- 1956 م.

المراجع

- الالوسي : جمال الدين
اسامة تبن منقذ بطل الحروب الصليبية ، بغداد ، مطبعة اســعد ، 1387هـ-1967م .
-الباز العريني : السيد
الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1963 .
مؤرخ الحروب الصليبية ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1962 .
-بدران : عبد القادر
تهذيب تاريخ دمشق لابــن عســاكر ، بيــروت ، دار المســرة ، 1399هـ-1979م .
منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، دمشق المكتب السلامي للطباعة والنشر 1379هـ-1960م .
-بدوي : الدكتور احمد محمد
الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت .
- البستاني : عبد الله
البستان (معجم لغوي) بيروت ، المطبعة الامريكانية ، 1927م.

- البستاني : فؤاد افرام
دائرة معارف الشعب ،بيروت ، 1964 .
-التهانوي : الشيخ المولوي محمد بن اعلى
موسوعة اصطلاحات الفنون الاسلامية المعروفة بكشاف اصطلاح الفنون بيروت شركة خياط للطباعة والنشر ، د.ت .

-الجميلي : الدكتور رشيد عبد الله
دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، الرباط ، مطبعة المعارف الحديثة ، 1395هـ-1975م .
دولة الاتابكية في الموصل بعد عماد الدين زنكي (541-631هـ)،بيروت ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1975 م .
-الجندي : محمد سليم
تاريخ معرة النعمان ، تحقيق وتعليق عمر رضا كحالة ، دمشق ، مطبعة الترقي ، 1383هـ-1963 م .
- الجنزوري : الدكتورة علية عبد السميع
امارة الرها الصليبية ، القاهرة ، مطابع سجل العرب ، 1975م.
- حتي : الدكتور فيليب، جبور : الدكتور جبرائيل ، جرجي : ادورد
تاريخ العرب مطول ، بيروت ، 1975 .
- الحجي : علي عبد الرحمن
اندلسيات ، بغداد دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 1391هـ- 1971 م .

- حسنين :عبد النعيم محمد
سلاجقة ايران والعراق ،القاهرة ،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،1959م.
- الحصني : محمد اديب ال تقي
منتخبات التواريخ لدمشق تقديم الدكتور كمال الدين الصليبي ، بيروت، دار الأفاق الجديدة 1391هـ-1979م.
- حلمي : كمال الدين

السلاجقة في التاريخ والحضارة ، القاهرة، مطبعة لجنة التـــاليف والترجمة والنشر ، 1959م .

- الخضري بك : الشيخ محمد

محاضرات في تاريخ الامم (الدولة العباسية) ،مصـــر ، المكتبـــة التجارية الكبرى ، 1970م .

-خليل : الدكتور عماد الدين

عماد الدين زنكي الموصل، مطبعة الزهراء ، 1406هـ-1985 م.

نور الدين محمود ، الرجـــل والتجربـــة ، بيـــروت ، دار القلـــم ، 1400هـ-1980 .

دياب : الدكتور صابر محمود

سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اول القرن الثاني الى نهاية العصر الفاطمي ، القاهرة ، عالم الكتـــب ،1972 م.

رضا : الشيخ احمد

معجم متن اللغة ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ،1377هـ- 1975م.

الريحاوي : عبد القادر

مدينة دمشق ،دمشق ، 1389هـ-1969م .

-السامر : فيصل

الحمدانيون في الموصل وحلب ، بغداد ، مطبعة جامعـــة بغـــداد ، 1973 .

-شلبي : الدكتور احمد

موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، 1968م .

-الطباخ : محمد راغب

اعلام النبلاء في بتاريخ حلب الشهباء ، حلب ، المطبعة العلمية ، 1342هـ-1924 م .

-عاشور : الدكتور سعيد عبد الفتاح
اضواء جديدة على الحروب الصليبية ، القاهرة ، دار القلم ، 1964م .
الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، القاهرة ، مطبعة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية 1982 م .
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1972 م .

-العبادي : احمد مختار
في التاريخ العباسي والاندلسي ، القاهرة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1971 م .
-عبد الرؤوف : عصام الدين
بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي ، القاهرة ، دار القران للطباعة والنشر والتوزيع ، 1975م .
-عطية الله : احمد
دائرة المعارف الحديثة ، القاهرة ، مكتبة ، الانجلو - المصرية ، الطبعة الثانية ، 1982 م.
القاموس الاسلامي ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، 1383هـ-1963 .
-عوض : محمد مؤنس
الحروب الصليبية دراسة نقدية تاريخية ، تقديم الدكتور عبد الله البيشاوي ، عمان ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1419هـ-1999 .
-غالب : مصطفى

تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، بيروت ، دار الاندلس ، الطبعة الثانية ، 1961 م .

-غربال : محمد شفيق
الموسوعة العربية الميسرة ، بيروت ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، 1980 م .

-فوزي : الدكتور فاروق عمر
تاريخ العراق في عصور الخلافة الاسلامية ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، 1988 .

-قاسم : قاسم عبدة
ماهية الحروب الصليبية ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 1410هـ- 1999 م .

- قساطلي : نعمان
الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، 1404 هـ- 1984 م .

-كرد علي : محمد
خطط الشام ، بيروت ، مطابع دار القلم ، 1390هـ-1970م .

-كيلاني : محمد سيد
الحرب الصليبية واثرها في الادب في مصر والشام ، القاهرة ، مطبعة ،دار الكتاب العربي ، 1949 م .

- المعاضيدي : خاشع عيادة
الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر الفاطمي ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1976 م.

-المطوي العروسي : محمد

الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، تونس ، دار الكتب الشرقية ، 1374هـ-1954م .

-المنجد : الدكتور صلاح الدين
مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، 1976م .

-النبراوي : الكتورة فتحية
العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ، القاهرة ،دار التضامن ، 1402هـ-1982 م .

-الهرفي : سلامة محمد سلمان
دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، مكة المكرمة ،دار الندوة الجديدة ، 1405هـ- 1985م .

المراجع الأجنبية المترجمة :

-باركر : ارنست
الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1962 م .

- بروكلمان : كارل
تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، 1977 .

-بولنياك : أ .ن
الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، ترجمة كاظم كريم ، بيروت ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، 1948م .

رنسيمان : ستيفن
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، 1967م .

-زابروف : ميخائيل

الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين ، الاتحاد السوفيتي ،دار التقدم ، 1986 م.

- زامباور : معجم الانساب وتاريخ الاسر الحاكمة ترجمة وتعليق احمد السعيد سليمان ، مصر دار المعارف ، 1972 .

-اسميل : ر . س

الحروب الصليبية ، ترجمة سامي هاشم كمبردج ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1954 م .

-كاهن : كلود .

تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، بيروت ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، 1972 .

-لامب : هارولد

شعلة الإسلام ، ترجمة محمود عبد الله يعقوب ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، 1967 م .

- لين بول : ستانلي

الدول الإسلامية ، ترجمة صبحي فزرات ، دمشق مكتبة الدراسات الإسلامية ، 1393هـ-1973م .

-مجموعة من المستشرقين ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون ، القاهرة ، 1933م .

الدوريات :

-المعاضيدي : خاشع .

السلاجقة في بلاد الشام ، المجلة التاريخية العراقية ، الجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، بغداد ، مطبعة اسعد ، س1 ، ع1،اب ،1970م .

- النقيب   مرتضى حسن .
عماد الدين زنكي ، مجلة المورد ، دار الشؤن الثقافية ، وزارة الأعلام
بغداد ، 1987 . مجلد 16 ، العدد الرابع ،

الرسائل الجامعية :

الجنابي :   طلب صبار محل .
إمارة انطاكية ، دراسة فـــي علاقاتها السياسية بالقوى الإسلامية
، (419-666هـ / 1089-1268م) ، رســالة دكتــوراه فــي
التاريخ الإسلامي ، بغداد ، كلية التربية ، أبن رشد ، 1417هـ /
1996م

الزهاوي :   عباس عبد الستار .
القدس عشية الغزو الصليبي ، دراسة فــي احوالهــا السياســية
والإدارية (463- 494هـ / 1071- 1101م) ، جامعة بغداد ،
كلية الآداب ، 1998م .

المراجع الأجنبية :

- Macdonald and Jans . The enceyclopedia of Military history .(u . s . A) Revised edition . 1976

Abstract

The Atabikiya of Damascus was one of the Atabikiya which emerged within the matrix of Saljukite state after being subject to weakness and division. Officially and politically, it was a state pertained to the Saljukite Sultanate. His Atabik ruled over the kingdom of Damascus and other parts from Syria, such as, Biqa'a, bu'qa'a which its Atabik inherited from Taj Al-Dulla Tittish's family after the death of king Daqaq (died in 1104 A.C./497 A.H.). Apparently, it was subject to the Saljukite sultanate and the aspects of subjection were preaches and coins in the name of Abbasid Caliph. Practically, it was entirely independent.

The reign of Tughtakeen's family in Damascus passed by three stages. The first is that of power, which included the stage of Tughtakeen's, Taj Al-Mulk Buri's, and Shams Al-Mulk Isamail's rules (1135-1104 A.C. 529- 497 A.H). the second stage was that of weaknes, which was the period of ruling Shihab Al-Deen Muhammed and the three years of Mujeer Al-Deen Abiq's rule (1149-1135 A.C., 544-529 A.H).it was the period when Damascus kings were subject to the guardianship of Queen Safwat Al-Mulk and prince Mu'een Al-Deen Abaq overruled Damascus affairs. He was unable to keep it up due to his excessive persecution of its families and his alliance with the crusaders.

Damascus went on its cultural extension in the economic and scientific fields. The intellectual movement flourished to give birth the pioneers of thought who enriched the Islamic and Arabic culture with books and writings which, in theirs turns, were the source of enrichment to the Arab library in the Atabikite epoch.

The role of Damascus did not confine to that role only, but it took upon itself the task of fighting the crusaders in Al-Sham as it was the direct part of confrontation with the crusaders who had been able to occupy some parts of the Islamic Arab territories especially Jerusalem (Al-Quds), the city of religious

importance for the Moslems, Christians, and the Jews in an equal manner. It was occupied by the crusaders making use of the prevalent division among the Islamic world at that time.

The stand of Damascus of fighting the crusaders varied according to the different prevalent political circumstances in Al-Sham. When Al-Sham was torn into small kingdoms and emirates due to the fall of Tittish's kingdom in 1095 A.C., 488 A.H. Damascus had the lead to direct fighting against the crusaders. It gave birth to glorious leaders and kings who were the source of pride, one of them was king Tughtakeen who had respect in being able to stop the crusaders crawling and to prevent the occupation of what rested of Al-Sham. Damascus had good and amicable relationships with all Islamic forces in Al-Sham. It cooperated with them to stop the crusaders aggression and it was able to employ its limited human and economic resources for the sakes of the holy fighting.

The relationships between Damascus and other Islamic forces deteriorated when these forces threatened the independence of Damascus in the reign Emad Al-Deen Zanki (1146-1147 A.C, 541-521 A.H.). Damascus changed from an enemy leading fighting operations against the crusaders into an alliance with them due to the continuous attacks pf prince Emad Al-Deen Zanki. It aided and gave the crusaders money and castles to ward off the prince Emad Al-Deen's danger.

The relationship between Damascus and Aleppo improved after the death of Emad Al-Deen Zanki (1146 A.C., 5414 A.H). They held an alliance when Damascus jeopardized by the crusaders aggression in (1146 A.C., 541 A.H) and 1148 A.C., 543 A.H). yet this alliance did not continue and failed after the death of prince Mu'een A;-Deen Anar. It gets back again to ally with the crusaders causing its fall at the hands of king Al-Adel Nur Al-Deen Mahmood in 1154 A,C., 549 A.H.